المعرفة 143

العدد ١٤٣ صفر ١٤٢٨ هـ مارس ٢٠٠٧م

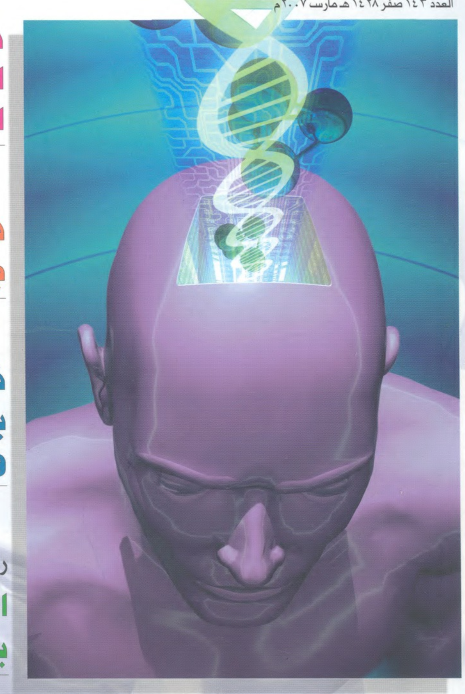
سيناريوهات المستقبل للتعليم الإلكتروني السعودي

دعوة لإجراء تغيير جذري في المدرسة

فكر في المستقبل بشيء من الحكمة وقدر من الشجاعة

راشد الكثيري :

انتقلت إلى التربية بسبب ضفدع!



علم أم خرافة .. أم علم وخرافة

البرمجة اللغوية العصبية NLP


المعرفة





مجلة شهرية تصدر عن

وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز

وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٤٣) - صفر ١٤٢٨ هـ - مارس ٢٠٠٧ م

إدارة النشر

awnaa

Specialized Communication

رونــاء للإعلام المتخصص

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

البند الأول : المــواد المنشــورة في هــذه المجلــة لا تعبر بالضــرورة عــن رأي وزارة التربيــة والتعليم.

البند الثاني : تبويب الموضوعات والمقالات في هذه المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

يعدّ قرار إلغاء مركزية اختبار الثانوية العامة وإسنادها إلى المدارس من أكثر قرارات وزارة التربية والتعليم (الذي صدر مؤخرًا) إثارة للآخذ والرد والزيادة والإنقاص، لا سيما أن هذه الاختبارات الوزارية أصبحت سنة من سنن التعليم التي جرت طقوسها على أجيال متعاقبة، ما منحها جلال العلم ومخاوف المستقبل!

والحقيقة التي تكشفها الرؤية البعيدة أن هذا القرار لم يكن مستبعدًا أو مفاجئًا بعد اعتماد التقويم المستمر (المعدل التراكمي) في احتساب درجات طالب المرحلة الثانوية، وبعد إقرار اختبار القدرات العامة (الذي يتولاه المركز الوطني للقياس والتقويم في وزارة التعليم العالي) في القبول للدراسة الجامعية.

وإن كانت الاختبارات المدرسية لشهادة الثانوية العامة التي ستطبق في العام القادم وفق جدول مواصفات وشروط محددة تعني لدى البعض نهاية للجان وضع الأسئلة ومجموعات التصحيح والمظاريف المشمعة، فإنها ستكون بداية لاعتماد المعايير والمرونة في بناء المناهج لدى البعض الآخر.

من المؤكد أن الأحاديث التعليمية والتربوية في الفترة القادمة لن تخلو من مقارنات بين ما كان وسيكون، وبين السابق واللاحق، لكن أي وثوق بمثل هذه المقارنات سيبدو متلبسًا بالغموض ما دامت هذه التجربة الجديدة لم تأخذ دورتها الطبيعية من التطبيق والتقويم ومن ثم تحديد نقاط الإيجاب والسلب في التجربة. المعرفة

المراسلات

باسم: رئيس التحرير

ص.ب ٢٣٠٠٠٧ الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،

الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،

البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠بيسة،

اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،

الأردن ١,٢٥ دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،

مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،

المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال

وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.

سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض:4197333 ـ فاكس: 4197696

فاكس مجاني: 8001242277

Subscriptions@rawnaa.com

التوزيع

الوطنية للتوزيع



حقيقة أم خرافة أم حقيقة وخرافة؟

البرمجة اللغوية العصبية

الكيفية التي يحقق عن طريقها المتفوقون والمتميزون والناجحون نجاحاتهم و«كيف» يمكن تقليد تفكيرهم ونماذج سلوكهم هي ما تعتني به البرمجة اللغوية العصبية NLP.

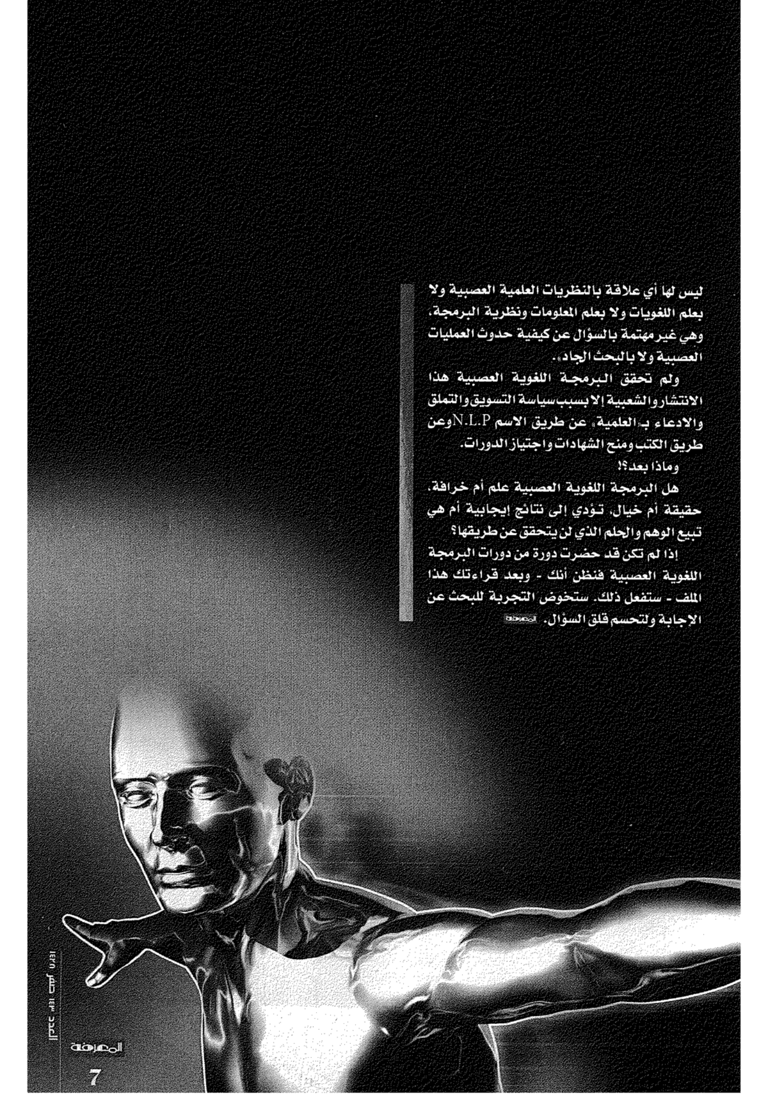
والبرمجة هنا تعني أن نبرمج أفكارنا وسلوكنا «كما يبرمج الكمبيوتر للقيام بأشياء محددة». واللغة هنا إشارة للدور الكبير الذي تقوم به اللغة في اتصالاتنا مع الآخرين وفي تنظيم أفكارنا. أما «العصبية» فتعني الحواس التي نستخدمها في عمليات التفكير الداخلية، وأيضًا لتجربة العالم الخارجي عن طريق النظر والسمع والشعور والتذوق والشم.

البرمجة اللغوية العصبية تدعي أنها تساعد الناس على «التغيير» عن طريق تعليمهم كيف «يبرمجون» عقولهم إذ إننا وهبنا - كما يقول المبرمجون اللغويون العصبيون - عقولاً بدون كتيب استخدام، وما يقوم به أولئك المبرمجون هو أن يقدموا لنا كتيب الاستعمال!

ومعرفتنا واستخدامنا لـ«كتيب الاستعمال» هذا سيتيح لنا أن نعرف الطاقات الكامنة، المتعددة والهائلة للعقل والروح البشرية، وعن طريق معرفة «القدرات» و«كيفية» استخدام هذه القدرات سوف يمّكننا أن نتغير ونتميز وننجح.

بهذا الوجه «المشرق» يقدم المؤيدون والمتحمسون البرمجة اللغوية العصبية، وفي المقابل هناك من يتشكك بل ويتهم ويرفض «بدعة» البرمجة اللغوية العصبية، فهي - كما يقول المعارضون - خليط من عقائد وفلسفات ونظريات مخالفة للمبادئ الإسلامية. ويرفضها أكاديميون غربيون ويرون أنها «تعتمد على نظريات اعتبرت قديمة منذ زمن ومفاهيم غير مفهومة أو مجرد (فبركات) ونتائج مبنية على نتائج خاطئة. ونظريتها وممارستها





ليس لها أي علاقة بالنظريات العلمية العصبية ولا بعلم اللغويات ولا بعلم المعلومات ونظرية البرمجة، وهي غير مهتمة بالسؤال عن كيفية حدوث العمليات العصبية ولا بالبحث الجاد».

ولم تحقق البرمجة اللغوية العصبية هذا الانتشار والشعبية إلا بسبب سياسة التسويق والتملق والادعاء بـ«العلمية» عن طريق الاسم N.L.P وعن طريق الكتب ومنح الشهادات واجتياز الدورات.

وماذا بعد؟!

هل البرمجة اللغوية العصبية علم أم خرافة، حقيقة أم خيال، تؤدي إلى نتائج إيجابية أم هي تبيع الوهم والحلم الذي لن يتحقق عن طريقها؟

إذا لم تكن قد حضرت دورة من دورات البرمجة اللغوية العصبية فنظن أنك - وبعد قراءتك هذا الملف - ستفعل ذلك. ستخوض التجربة للبحث عن الإجابة ولتحسم قلق السؤال. المعرفة

البرمجة اللغوية العصبية هل هي ..

علم أم خرافة أم علم وخرافة؟!

إيمان الكرود - الدمام

افتح الجريدة وستقرأ إعلاناتها. شغل جهاز التلفاز وستجد مروجيها. تجول في الشارع وستوزع النشرات التي تدعوك لحضور دوراتها. إنه علم البرمجة اللغوية العصبية- الـNLP الذي كما تزعم الإعلانات سيضمن لك الثراء والتفوق والسعادة فليس بينك وبين تحقيق أحلامك إلا دورة NLP، وطبعًا المال الذي ستدفعه حتى تدخل الدورة.

هناك ستتعلم عددًا من المهارات الكفيلة بتغيير مسار حياتك على الإطلاق. إذ ستعرف فيما كان يفكر رئيسك عندما كان ينظر إلى الجهة اليمنى في الأعلى، وماذا كان يدور في رأسه عندما نظر بعد لحظتين إلى الجهة اليسرى في الأسفل. وستكشف لك شفرات الكلام وستبدأ تقرأ الناس ككتاب، وسيصبح الطالب الضعيف متفوقًا، وسيبيع التاجر الذي كان على وشك الإفلاس بضاعته الكاسدة، وستحصل على الترقية التي كنت تحلم بها منذ زمن. أما أصحاب الأوزان الثقيلة فليبشروا بالفرج فما عليهم إلا أن يبتاعوا عددًا من الأشرطة ويسترخوا ويستمعوا للمتحدث وهو يقول لهم «أنت الآن رشيق» لتتولد عندهم الطاقة التي تدفعهم إلى التخلص مما زاد من أوزانهم ولا داعي للعمليات التجميلية، فجلسات التنويم المغناطيسي تقوم بما يقوم به المبضع والجراح فتكبر وتشد أعضاء الجسم. وأما ترسبات الماضي فأمرها سهل فقط حولها إلى صورة تلفزيونية في ذهنك وكبر الصورة وقربها ثم بحركة من يدك ألقها في سلة المهملات. أو لسنا في النهاية أجهزة كمبيوتر نبرمجها كيفما شئنا. وستعرف أن أديسون وأينشتاين وأحمد زويل ليسوا أذكى منك على الإطلاق، فوفقًا لأنتوني روبينز جميعنا نمتلك الجهاز العصبي ذاته ونختلف فقط في طريقة استخدامه وكل ما عليك هو أن تقلد طريقتهم في التفكير والكلام والسلوك وستنتج ما أنتجوا، بل ربما أكثر وفي وقت أقصر أيضًا. ومن يدري قد تظهر كتب إرشادية تشرح لنا خطوة خطوة كيف كان يفكر فلان من الناس وأي جزء من الدماغ كان يستخدم عندما اخترع جهازه المعروف فيتبعها الناس وتكثر الاختراعات ويعم الخير البلاد.

هذا جزء من الأعاجيب التي تحققها البرمجة اللغوية العصبية لمتبعيها، فما هي حقيقة هذا العلم؟ وهل يحقق لممارسه الأعاجيب التي يدعيها؟

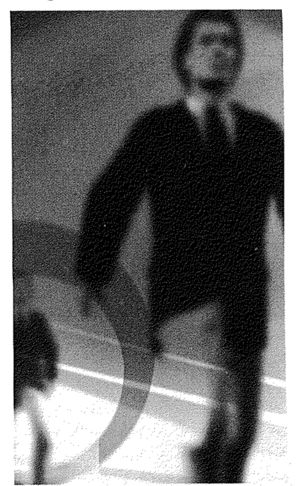
البرمجة العصبية اللغوية صرعة جديدة دخلت عالمنا العربي في أواسط التسعينيات من القرن الماضي وانتشرت في بدايات الألفية الثالثة حتى غدت على كل لسان، ولكن إذا كان هذا العلم قد دخل توًا في عالمنا العربي إلا أنه بدأ في الغرب منذ سبعينيات القرن العشرين وتحديدًا عام ١٩٧٣ على يد كل من ريتشارد باندلر وجون جرايندر وقد حقق ضجة كبيرة في الغرب تفوق تلك التي في بلادنا، وأثار جدلاً كبيرًا منذ ظهوره بين مؤيد ومعارض، وكتب الكثيرون ينتقدونه ويحذرون منه واصفين إياه بالعلم الزائف والطائفة والتجارة والبدعة الجديدة وغيرها من أوصاف، ولكن يظل الموقف المتحفظ الذي يتخذه منه الكثير من العلماء في الأوساط الأكاديمية العلمية

والذي يبلغ أحيانًا حد العداء هو أعلاها صوتًا.

ما البرمجة اللغوية العصبية؟

يقول الدكتور هاري ألدر إن علم البرمجة اللغوية العصبية يهتم في الكيفية التي يحقق عن طريقها الأشخاص المتفوقون في المجالات المختلفة نتائج متميزة وكيف يمكن تقليد تفكيرهم الناجح ونماذج سلوكهم(١).

ولمن يتساءل عن سبب هذه التسمية فإن الجزء العصبي يعني العمليات العصبية من نظر وسمع وشعور وتذوق وشم، أي الحواس التي نستخدمها في عمليات التفكير الداخلية وأيضًا لتجربة العالم الخارجي. أما الجزء اللغوي من الاسم فيعترف بالدور الذي تلعبه اللغة في اتصالاتنا مع الآخرين وفي تنظيم أفكارنا. فيساعدنا الـ NLP في استخدام اللغة اليومية من أجل تفكير أفضل وسلوك أكثر نجاحًا. أما البرمجة فتعني الطريقة التي نبرمج بها أفكارنا وسلوكنا، بالضبط كما يبرمج جهاز الكمبيوتر للقيام بأشياء محددة(٢).



ويدعي الـ NLP أنه يساعد الناس على التغير عن طريق تدريسهم كيف يبرمجون عقولهم. إذ إننا وهبنا، كما يقال، عقولاً بدون كتيب الاستخدام. وما يقوم به الـ NLP هو أن يقدم لك كتيب الاستعمال(٣).

وقد بدأ في بدايات السبعينيات عندما درس جون جرايندر، عالم لغويات، وريتشارد باندلر عالم رياضيات ومعالج نفسي وخبير كمبيوتر طرق ثلاثة معالجين نفسيين من الرائدين في مجالهم والذين كانوا قادرين باستمرار على أن يحققوا نتائج مذهلة في السلوك الإنساني، هم: فرجينيا ساتير وميلتون إريكسون وجريجوري بايتسون(٤) وبدأ صيتهما يذيع عندما ألفا كتابهما الأول. ولكن باندلر المعروف بصبي الـ NLP الطائش والذي شخص في صباه بالمضطرب عقليًا عنده رواية أخرى. فهو يقول إن فكرة الـ NLP خطرت على باله على شكل سلسلة من الهلوسات العقلية، بينما كان يجلس وحيدًا في كابينته الصغيرة حيث يتسرب المطر من السقف ويكتب على آلته الطابعة القديمة في عام ١٩٧٥(٥) فمن هو ريتشار باندلر؟

مدمن المخدرات يعطي دروسًا في النجاح

ولد باندلر عام ١٩٥٠م في نيوجيرسي. كان مصابًا باضطراب في اللغة. وكان طالبًا غير مبال ومراهقًا منعزلاً متقوقعًا على ذاته، كل ما يحلم به هو أن يصبح طبالاً مثل Buddy Rich إلا أن موهبته المتواضعة لم تسعفه في تحقيق حلمه بالرغم من تفانيه في التدريب.

ولكن في المرحلة الثانوية حدث أول منعطف حقيقي في حياته، إذ قابل باندلر أول الذين شكلوا حياته من الرجال الأكبر سنًا. ففي سن السادسة عشر استأجره روبرت سبتزر، وهو طبيب نفسي حلو اللسان وكريم، ليعلم ابنه قرع الطبل. ولقد لاحظ الطبيب، الذي أصبح لاحقًا أبًا روحيًا لباندلر، عبقرية الصبي الكامنة فأعاره بعض الكتب في علم النفس التي التهمها باندلر بسرعة. كما قدمه أيضًا لاختصاصية علاج العائلة الرائدة فيرجينيا ساتير التي لعبت هي الأخرى دورًا مهمًا في حياة الصبي.

بعد تخرجه في الثانوية دخل كلية صغيرة مجاورة، حيث درس الفلسفة التي كان يتحدث عنها لساعات.

في عام ١٩٧٠م بدأ باندلر يدرس علم النفس في جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز، حيث قابل هناك جون جرايندر برفسور اللغويات المتطرف الذي جمع مجموعة من الأتباع المخلصين أبرزهم ريتشارد بانلر، وبدؤوا يستخدمون اللغويات لدراسة علم النفس. في عام ١٩٧٣م حصل باندلر على شهادة البكالوريوس في علم النفس وبعدها بعامين حصل على الماجستير في علم النفس التنظيري من كلية لون ماونتن في سان فرانسسكو.[٦]

إلى هنا تبدو القصة عادية، ولكن إذا ما كان قد ذكر هنا هو حقيقة فهو مجرد جزء من الحقيقة وإلا فإن في حياة باندلر الكثير من الحقائق التي تجعلنا نفكر مرتين قبل أن نتبنى أفكاره.

ففي عام ١٩٨٦م بدأ الوجه الآخر لباندلر وهو وجه قبيح يتكشف للعامة عندما اتهم بقتل كورين كريستنسن، وهي صديقة صديقه الحميم تاجر المخدرات جيمس مارينو، حيث وجد دمها على قميص باندلر، بالإضافة إلى عدد آخر من الأدلة المجرمة. وقد اعترف باندلر بوجوده في مكان الجريمة وقت حدوثها عندما أطلق، بحسب رواية باندلر، جيمس مارينو النار على الضحية التي كانت على مقربة من باندلر وهذا سبب وجود الدم على قميصه. وعند سؤاله عن سبب امتناعه عن التبليغ ذكر باندلر أنه ما كان ليبلغ عن جريمة ارتكبها صديقه وبدلاً من ذلك ذهب إلى منزله ليتناول المسكرات ويتعاطى الكوكايين الذي عرف عن باندلر إدمانه الشديد عليه والذي كان يتفاخر بتعاطي كميات كبيرة منه. ورغم أن باندلر برأ لاحقًا إلا أن براءته مازال مشكوكًا فيها ومازالت هناك العديد من الأسئلة التي تحتاج إلى من يجيب عنها، خصوصًا إذا عرفنا أن باندلر شخص سيئ الخلق فظ الطبع لدرجة أن الطلاب الذين سكنوا معه في المنتجع الذي يملكه روبرت سبتزر في جبال سانتا كروز طالبوا بطرده[٧]. وبعد سنتين فقط من زواجه رفعت زوجته قضية طلاق وذكرت أنه حاول خنقها وهو يضحك مهددًا إياها بالقتل. كما هدد أصدقاءها من الرجال بالقتل قائلاً: «كل ما أحتاجه هو أن أدير سبعة أرقام وبصلاتي مع المافيا أستطيع أن أمسحكم جميعًا من على وجه الأرض قبل أن تطرف عيني».[٨]

ما من شك في أن البرمجة اللغوية العصبية استطاعت في غضون ثلاثين سنة - وهو عمر قصير نسبيًا- أن تحقيق نجاحًا ساحقًا وتكسب عددًا كبيرًا من الأتباع وتنتشر في الكثير من البلدان ومع ذلك فعلاقتها بالأوساط الأكاديمية مازالت متوترة يكتنفها الشك ويغلفها العداء المتبادل

البرمجة اللغوية وعلم النفس الأكاديمي: هوة عميقة

ما من شك في أن البرمجة اللغوية العصبية استطاعت في غضون ثلاثين سنة - وهو عمر قصير نسبيًا- أن تحقق نجاحًا ساحقًا وتكسب عددًا كبيرًا من الأتباع وتنتشر في الكثير من البلدان ومع ذلك فعلاقتها بالأوساط الأكاديمية مازالت متوترة يكتنفها الشك ويغلفها العداء المتبادل حتى ليخيل للمرء أن هناك معسكرين بينهما هوة لا تردم معسكر أتباع الـNLP ومعسكر الأكاديمين من العلماء. إذ على الرغم من الأدبيات الكثيرة التي كتبت في البرمجة اللغوية العصبية تلك التي تسرد عجائبها وتتغنى بإنجازاتها إلا أن الملاحظ على هذه الأدبيات أنها كتبت في الأغلب من قبل أهلها، أي من منشئيها وطلابها ومدربيها والقلة القليلة فقط كتبت من قبل علماء أكاديمين مما يطرح الكثير من علامات الاستفهام حول مصداقية الادعاءات التي تروج في هذه الكتب، خصوصًا إذا عرفنا أن أغلب الأدلة التي يستند إليها أهل البرمجة في دعم مزاعمهم هي مجموعة من الحكايات والقصص والشهادات التي يدللون بها على صحة مبادئهم التي يبدو أنهم يملكون منبعًا لا ينضب منها. وهنا نتساءل ما مدى صحة هذه الحكايات والشهادات؟ ألا يمكن أن تكون من خيال مخترعي هذا العلم؟ ثم لماذا يرفض أهل

البرمجة أن تخضع مبادئهم وفرضياتهم للاختبار متعللين بأنها لا يمكن أن تخضع للاختبار والقياس؟

العلم الزائف

في عام ٢٠٠٠ صدرت موسوعة العلم الزائف حيث ضمت هذه الموسوعة عددًا كبيرًا من العلوم الزائفة، وكم كانت صدمة الكثيرين كبيرة عندما ذكر الـNLP كأحد هذه العلوم(٩). ولكن هل هو حقًا علم زائف؟ وما صفات العلم الزائف؟

يذكر بيتر جي. دي. درنث وهوأحد العلماء بأن العلم الزائف يتميز برغبته في أن يبدو علميًا. العلماء الزائفون يتغزلون بالمصطلحات والمفاهيم العلمية ويكتبون مقالات وكتبًا بطريقة علمية وبحجج علمية ويوحون بأنهم يريدون أن يشاركوا في النقاش العلمي. وعادة ما يكون عندهم مدارس تدريب خاصة أو يلقون دورات خاصة. وهم يمنحون الألقاب والشهادات لخريجيهم على الرغم من أنها خارج الأكاديمية(١٠).

وهو - أي درنتش - يصنف أيضًا الـNLP كعلم زائف وهو يستشهد بما قاله اللغوي النفسي لفيلت الذي يقول: «إن الـ NLP يعتمد على نظريات اعتبرت قديمة منذ زمن ومفاهيم غير مفهومة أومجرد (فبركات) ونتائج مبنية على افتراضات خاطئة. نظرية وممارسات الـNLP ليس لها أي علاقة بالنظريات العلمية العصبية ولا بعلم اللغويات ولا بعلم المعلومات ونظرية البرمجة. الـ NLP غير مهتم بالسؤال عن كيفية حدوث العمليات العصبية ولا بالبحث الجاد».(١١)

ويعتقد درنث أن الشعبية التي يتمتع بها الإنترنت في الأوساط المختلفة التي تدفع الناس إلى دفع المال من أجل حضور دوراته تعود في المقام الأول إلى سياسة التسويق، ثم هناك التملق للعلم ممثلاً في الاسم-NLP- وشهادات الماجستير والكتب العلمية. ولكن متى ما تتم مواجهته علميًا يرد بردود متهافتة من قبيل «نحن نهتم بنوع آخر من الحقيقة»، «من الممكن أن يكون الشيء حقيقة بدون الدليل العلمي» «إنه بديهي» «الزبائن سعيدون وراضون»(١٢).

أما الدكتور كيلتون روذز فهو لا يعتبر الـNLP علمًا على الإطلاق وهو يفرق بين علم النفس الاجتماعي والـNLP.

فعلم النفس الاجتماعي هو علم يعتمد على التجريب والبحث والطريقة العلمية وجمع المعلومات والتحليل الإحصائي في سبيل الحصول على حقائق مؤكدة عن الطبيعة البشرية الأساسية. وهو فرع معترف به داخل علم النفس ويدرس في أغلب الجامعات. وممارسيه في الغالب من حملة الدكتوراه الذين ينشرون في مجلات يشرف عليها أقرانهم. أما الـ NLP فهو يعتمد على الحدس وهو فلسفي في مذهبه. وهو يستعير بكثرة من بعض العلاجات النفسية وأصوله مرتبطة بدراسة السحر والتنويم المغناطيسي. وهو ينشر الآن بواسطة شبكة من ممارسي الـNLP الذين يقومون بتوزيع الشهادات(١٣).

في عام ٢٠٠٠ صدرت موسوعة العلم الزائف حيث ضمت هذه الموسوعة عددًا كبيرًا من العلوم الزائفة، وكم كانت صدمة الكثيرين كبيرة عندما ذكر الـNLP كأحد هذه العلوم. ولكن هل هو حقًا علم زائف؟ وما صفات العلم الزائف؟

تهافت ادعاءات الـ NLP

وقد خضع عدد من المبادئ والفرضيات التي تقوم عليها البرمجة اللغوية العصبية إلى دراسات أكاديمية جادة. وأظهرت كثير من الدراسات تهافت هذه الادعاءات التي من أهمها ذلك الذي يتمثل في الأنظمة التمثيلية الرئيسية، وهي من أهم مبادئ الـNLP ولا تذكر البرمجة اللغوية العصبية إلا وذكرت قاعدة الأنظمة التمثيلية الرئيسية. ووفقًا لهذه القاعدة فإن الناس ينقسمون في الغالب إلى أنماط ثلاثة: حسيين وسمعيين وبصريين. وبعبارة أخرى فإن الناس لهم طرق مفضلة في استقبال

وتخزين المعلومات، فالبعض منا بصري والبعض حسي والبعض سمعي، ونستطيع عن طريق ملاحظة الكلمات والعبارات التي يستخدمها الشخص وهي تسمى «الكلمات الدالة» أن نعرف من أي الأنماط هو. فالشخص البصري دائمًا ما يستخدم عبارات مثل «أرى أن المشكلة....»، «قصدك واضح» والشخص السمعي يقول عبارات مثل «رنت هذه العبارة في ذهني» أو «لم أسمع بهذا من قبل»، أما الشخص الحسي فسيقول عبارات من قبيل «دق قلبي» و«دار رأسي». ويزعم هذا العلم أن معرفة أنماط الناس عن طريق ملاحظة الكلمات والعبارات التي يستخدمونها ومحاولة مطابقة النظام التمثيلي للشخص الذي أنت على اتصال معه تنشئ نوعًا من الألفة. ولكن ما مدى صحة هذه المزاعم؟

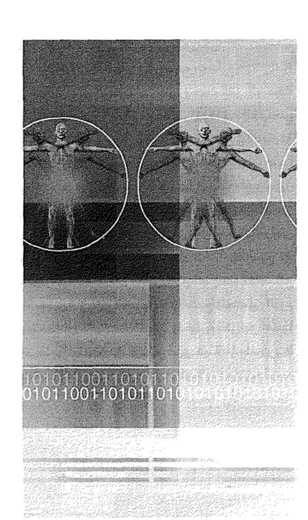
- ٣٢ دراسة بحثت في الزعم الذي يقول إننا نستطيع أن نتعرف الشخص من الكلمات والعبارات التي يستخدمها والتي تسمى predicates ويترجمها البرمجيون العرب بالكلمات الدالة. واكتشفت ٢١ دراسة من هذه الدراسات (أي ٦٦٪) أن استخدام هذه الكلمات ليس لها أي تأثير في بناء أوتعزيز العلاقات[١٤].

- درست ٣٦ دراسة مفهوم الأنظمة التمثيلية، ٢٩ من هذه الدراسات (أي ٨١٪)منها لم تجد أي دليل يدعم استخدام النظم التمثيلية واستنتجت أنها لا تلعب أي دور مهم في الاتصالات [١٥].

- أما حركات العيون التي يزعم الـ NLP أنها تدل على العديد من الأشياء منها أنماط الناس فقد بحث في هذا الموضوع ٣٥ دراسة، ٢٣٪ فقط من هذه الدراسات أيدت استخدام العيون، أما باقي السبع والعشرين دراسة فأثبتت أن حركات العيون ليس لها أي أثر سلباً أوإيجاباً عندما تستخدم في التفاعلات الشخصية[١٦].

أما الدكتور هيبDr. Heap وهو عالم نفس إكلينيكي من سلطة شيفيلد الصحية ومحاضر في جامعة شيفيلد فقد أجرى ثلاث دراسات عن الـ NLP وقد خلص إلى التالي:

«الكاتب الحالي مقتنع بأن تأكيدات مزاعم كتاب الـ NLP فيما يتعلق بالأنظمة التمثيلية قد تمت دراستها بموضوعية ونزاهة ووجد أنها مازالت



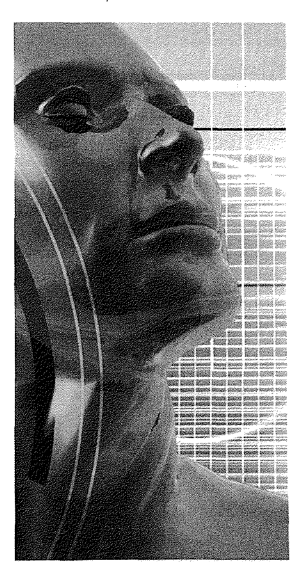
ينقصها الدليل. هذه المزاعم وضعت في مصطلحات غامضة عن طريق مؤسسي الـ NLP ومن الواضح من كتاباتهم أنهم يدعون أن ظواهر مثل النظم التمثيلية والكلمات الدالة وحركات العيون عمليات نفسية ذات تأثير قوي، وهي تثبت بسهولة وإقناع في دورات تدريبية بواسطة المعلمين والمدربين وباتباع تعليمات بسيطة وتمارس في الحياة اليومية. لذلك وفي ضوء غياب أي دليل موضوعي مقدم من المنشئين الأصليين لنظرية النظم التمثيلية وفشل البحوث التجريبية اللاحقة لدعمه بكفاية فمن المناسب الآن أن نستنتج أنه لا يوجد ولم يوجد قط أي دليل يدعم أن الناس يمثلون عالمهم داخليًا في وضع مفضل يستنتج من اختيارهم للكلمات ومن حركات العيون»[١٧].

في عام ١٩٨٧م بحث مجلس البحث الوطني NCRوهو جزء من الأكاديمية الوطنية للعلوم في عدد من التقنيات التي تطور من أداء الإنسان تحت طلب من الجيش الأمريكي وقررت أن الـNLP لا يمكن أن يوثق كأداة فعالة للتأثير على الآخرين،

ونصح بعدم تدريسه للجيش الأمريكي(١٨).

الأخلاق في خطر

من أهم الانتقادات التي وجهت إلى البرمجة اللغوية العصبية تلك التي تتعلق بالنواحي الأخلاقية، إذ إن الـ NLP يعلم الناس في الحقيقة استغلال الآخرين وحملهم على القيام بما لا يرغبون به من حيث لا يعلمون، وما مهارات الإقناع وتعزيز العلاقات التي يدرسها الـ NLP – بغض النظر عن حقيقة تأثيرها أوعدمه - إلا من أجل تحقيق أغراض شخصية لمستخدم هذه المهارات(١٩). فتصبح في النهاية العلاقات بين الناس قائمة على مبدأ المصالح الشخصية لا على الود. بل لقد أصبح المحامون اليوم يستخدمون تقنيات الـ NLP المختلفة التي من أهمها الربط والمطابقة في التأثير على هيئة المحلفين وفي استمالة الشهود أوتغيير شهاداتهم(٢٠). وعندما وجه



باندلر وجرايندر بهذا الاتهام أجابا بلا مبالاة «أن الشخص لا يستطيع أن يتجنب استغلال الآخرين. ومع تدريب الـNLP سيكون على الأقل مدركًا لهذا الاستغلال وسيتحكم به».(٢١) إضافة إلى ذلك فإن الـNLP يستخدم اليوم في ممارسات لا أخلاقية كالإغراء والسحر و«غسل الدماغ».

هل هو طائفة cult؟

كثير من منتقدي الـ NLP يعتقدون أنه ليس إلا دينًا جديدًا أوطائفة من الطوائف التي تظهر في الغرب من وقت لآخر، خصوصًا أنه يحمل الكثير من صفات الطوائف. فالعدد الهائل من الأتباع الذين يؤمنون إيمانًا جازمًا بمبادئه ويرفضون رفضًا قاطعًا أي تشكيك بصحتها. والقائد الذي يتمتع بكاريزما طاغية والممارسات التي تحدث في الدورات مثل المشي على النار والتنويم المغناطيسي والرقص على أنغام السامبا، والاستغلال المادي للناس ومبادئه المأخوذة من أديان شرقية وفلسفات قديمة كلها ليست إلا صفات تشترك فيها الطوائف. البعض يقول إنه حتى لو لم يكن الـ NLP طائفة إلا أنه أضحى اليوم أخطر الأدوات التي تستخدمها الطوائف في تحقيق غاياتها و«غسل دماغ» أتباعها.

عالمة النفس لويس ساموايز قضت ردحًا من الزمن تدرس التقنيات التي تستخدمها الطوائف ودورات تطوير النفس في أستراليا للسيطرة على العقول، وقد تلقت الكثير من التهديدات من أتباع هذه الطوائف حتى توقف أبحاثها. وهي تقول إنه في بداية الستينيات بدأت تظهر في أمريكا العديد من الطوائف التي تستخدم تقنيات مثل التنويم المغناطيسي الجماعي والبرمجة اللغوية العصبية التي تسيطر على الناس من خلال خدع لغوية خفية ورسائل لا شعورية وخدع لغة الجسم. وهي تعتقد أن هذه الطرق أضحت تستخدمها اليوم كل الطوائف تقريباً ودورات تطوير النفس وحتى العرافات والسحرة. إلا أنها تعتقد أن التنويم المغناطيسي هو أخطر سلاح في يد هذه الطوائف فهي تقول «إن التنويم المغناطيسي ليس حالة تشابه النوم في أي وجه من الوجوه، بل هو حالة عقلية متغيرة خاصة مختلفة ذاتيًا عن الحالة الطبيعية المتيقظة، حيث من الممكن

أن تغير معتقدات ورؤى الشخص بل حتى أكثر القيم رسوخًا». ولكن إذا كان التنويم المغناطيسي من أخطر هذه الأدوات فإن الـ NLP من أخبثها - حسب ما تعتقده السيدة ساموايز - إذ تستخدمه الطوائف والجماعات المشابهة ليأجحوا العواطف أو كمثيرات بعد التنويم المغناطيسي للسيطرة على السلوك[٢٢].

التجارة الرابحة

شيء واحد يحسب لمنشئي هذا العلم هو فهمهم لنفسيات الناس وتعطشهم للنجاح واستعدادهم لدفع ما يملكون في سبيل الحصول على ذلك، وهكذا أرشدتهم عقولهم التجارية إلى عقد الدورات وبأسماء مختلفة لإيهام الناس بأنهم يقدمون الجديد، فهي تارة البرمجة اللغوية العصبية وتارة هندسة النجاح وتارة التنويم المغناطيسي. فجون جرايندر يقدم اليوم نوعًا جديدًا من الـNLP وأنتوني روبينز يدرس الـNAC وباندلر يحاضر عن DHE وكلها أسماء مسجلة تجاريًا لا يسمح باستخدامها بدون إذن مخترعيها. ومن الطريف أن باندلر رفع دعوى على شريكه جرايندر يزعم فيها أن اسم NLP من حقوقه الخاصة ويطالب جرايندر بدفع ملايين الدولارات لتعديه على حقوقه الفكرية[٢٣]. وعندما أحس ريتشارد باندلر بأن الأضواء بدأت تنحسر عنه انضم إلى المنوم المغناطيسي المعروف باول ماكينا ليكونا ثنائيًا لا ينفصل هذا يتحدث وذاك ينوم.

لقد أصبح عقد مثل هذه الدورات وتوزيع الشهادات عمل من لا عمل له، لاسيما أنها تجر أرباحًا هائلة يدفعها أولئك المتعطشون للنجاح. ففي أستراليا تجني هذه الدورات أرباحًا تزيد عن بليون دولار سنويًا[٢٤]. أما في أمريكا فإن هذه الأرباح تزيد على ثمانية مليارات دولار[٢٥]. ناهيك عن الكتب وأشرطة الكاسيت والفيديو التي تظهر كل عام. مما جعل رموز هذه الدورات من كبار المليونيرات. ولنأخذ على سبيل المثال أنتوني روبينز وهو أشهر خريجي مدرسة البرمجة اللغوية العصبية على الإطلاق، وهو مؤلف كتب مشهورة مثل «أيقظ المارد الذي في داخلك» و«القوة اللامحدودة». يملك روبينز حاليًا تسع شركات منفصلة منها شركة إدارة للأطباء ومنتجع فاخر في فيجي وشركة إنتاج تلفزيوني وشركة منتجات تغذية، بالإضافة إلى الدورات التي يقيمها والتي تتراوح أسعارها بين ١٩٩ دولارًا و٥٤٩٥ دولارًا للشخص الواحد. بل هناك حوالي ثمانية وأربعين متحدثًا يدفع كل واحد منهم لأنتوني روبينز حوالي ٣٦,٠٠٠ دولار مقابل عقد دورات باسمه. وهو اليوم وجه تلفزيوني معروف يظهر يوميًا في الإعلانات التلفزيونية لترويج آخر إصداراته التي بلغت مبيعات أحدها وهو كتاب «القوة الشخصية» بجزأيه حوالي ١٥٠ مليون دولار[٢٦].

«إنهم يسرقونني وأنا حي»

أما الشهادات التي تمنح لحضور دورات الـ NLP فهي محل جدل كبير، لا سيما تلك الشهادات التي تمنح بعد حضور دورات لا تتجاوز مدتها أربعة وعشرين يومًا وفي بعض الأحيان أقل، يتأهل بعدها الحضور لأن يصبحوا معالجين نفسيين بعد أن يجتازوا امتحانًا فريدًا من نوعه، وأهم ما يميزه أنه لا يرسب فيه أحد وينافس هؤلاء المعالجون أولئك الذين قضوا السنوات الطوال للتأهل لهذا المنصب من حملة الماجستير والدكتوراه من المعالجين المتخصصين. بل نجد من مدربي الـ NLP من يملك الجرأة فيقول إنه بالرغم من قصر المدة التي يحصل عليها متدربو الـNLP والتي يتأهلون بعدها لأن يصبحوا مدربين ومعالجين نفسيين إلا أنهم يتفوقون على أولئك الذين قضوا العمر وهم يدرسون في الجامعات العلاج النفسي وفق أصوله الأكاديمية، وحتى لو سببوا بعض الضرر لمرضاهم فهو أخف وطئًا من الذي قد يحدثه المعالجون المتخصصون وذلك لأنهم-أي معالجي الـNLP- يمتلكون صندوق أدوات الـNLP وهذا ما لا يملكه غيرهم[٢٧]. ومن العجيب أن ريتشارد باندلر وهو أحد مؤسسي هذا العلم من أكبر المعارضين لعملية منح الشهادات هذه والتي أصبحت أشبه بتجارة، فنجده يقول في إحدى مقابلاته:

«البرمجة اللغوية العصبية هي الاسم الذي عبرت به عن أفكاري. لقد قضيت خمسة وعشرين عامًا وأنفقت ملايين الدولارات وما لا يعد من الساعات وأنا أطور النماذج لأنني أردت أن يستخدمها الناس. في وقت مضى اجتمعت جماعة من الناس وأخبروني

عن رغبتهم في تشكيل منظمة صغيرة حتى يتسنى لهم الاتصال ببعضهم البعض والقيام بنشاطات. لم يخبروني بأن ما أرادوا هو تسفيه التعبير الذي صنعته للعامة. عندما بدأت أمنح الشهادات، حتى بعض الناس الذين يمنحون الشهادات اليوم ضحكوا علي. والبعض رفض أن يشارك فيها. ما يقوم به هؤلاء هو عرض الشهادات والتشويش على العامة. اسم هذا الفعل هو الاحتيال. ونسميه في المنطقة التي أتيت منها بالسرقة... بأي حق يمنح هؤلاء الأشخاص شهادات عن عملي بدون إذني؟... هذا عمل حياتي، وسرقة أعمال الناس بينما هم لا يزالون أحياء أمر شنيع.

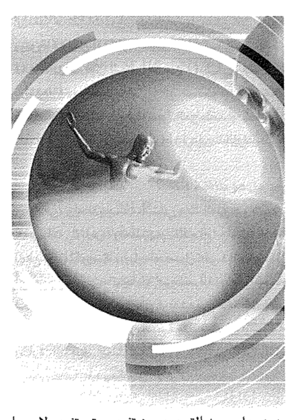
كل ما أستطيع أن أقوله عن الوضع هو أنه خاطئ. والخاسر الحقيقي هم العامة؛ لأنه ليس لدي أي أدنى فكرة فيما إذا كان هؤلاء الناس الذين يعلمون ويوزعون الشهادات يميناً وشمالاً يقدمون عملي.

بعض هؤلاء الأشخاص الذين يوزعون الشهادات لم يتلقوا تدريباً من خمسة عشر عاماً. هناك نماذج أنشأتها لم نعد نستخدمها. لم نعد نستخدم إعادة التأطير reframing لأنه نموذج قديم ولا يوجد حاجة له. ولكن هؤلاء الناس يقولون: «إذا لم تقم بإعادة التأطير فأنت لست مبرمجاً لغوياً عصبياً»... أستلم الآن رسائل من أحدهم يقول فيها إنه حضر دورة ممارس من فلان ولم أسمع بهم من قبل. كيف يمكن لأحدهم أن يوزع شهادات عن عملي ولم أسمع بهم من قبل. أستطيع أن أفهم لو أنني كنت ميتاً ولكنني مازلت شاباً. هؤلاء الناس لا يريدون أن يتعلموا أفضل ما في هذا العلم، بل يريدون فقط طريقة سريعة لتحصيل النقود والحصول على مال من العامة[٢٨].

أما عن الاختبارات التي تجرى لحضور هذه الدورات فيعلق عليها باندلر قائلاً:

«لا أجري امتحانات بل مسابقات لأجعل الناس يحاولون، وليس لجعلهم يؤدون اختبارات كتابية التي هي أمر سخيف جداً»[٢٩].

السؤال المهم هو: هل تفيد البرمجة اللغوية العصبية دارسيها؟ ربما! وفي النهاية فإن البرمجة اللغوية هي خليط من علم النفس وفلسفات قديمة وأديان شرقية قد تصيب وقد تخطئ. ولكن لا أحد



يدري على وجه التحديد من تفيد ومتى تفيد، لاسيما في ضوء غياب أدلة مقنعة يقدمها لنا أهل البرمجة. إلا إذا كانت الحكايات والشهادات التي يسوقونها تعد ضمن الأدلة القاطعة، خصوصاً مع إصرارهم على أن تقنياتهم لا يمكن اختبارها في المعمل كما يقول الكثيرون. لكن المؤكد أن البرمجة اللغوية بالغت أيما مبالغة عندما وضعت الإنسان فوق قدره ونست أن الإنسان في النهاية ليس إلا إنساناً لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً.

وإلى أن تحسم المعركة بين البرمجة اللغوية العصبية والأوساط الأكاديمية لا أجد ما أقول إلا ما قاله الدكتور هيب: «الحكم الصادر على NLP هو حكم مؤقت. قد يكون كل من إينسبرتش Einsprech وفورمان Forman صائبين في إصرارهما على أن فعالية علاج الـ NLP المستخدم في بيئة إكلينيكية حقيقية من قبل ممارسين متدربين لم يبحث جيداً إلى الآن. إذا اكتشف أن هذه العلاجات سريعة ومؤثرة كما يدعون فلن يبتهج أحد أكثر من الكاتب الحالي. أما إذا اكتشف أن هذه الادعاءات ليست بأفضل من تلك التي بحثت من قبل فإن الحكم الأخير على الـ NLP سيكون قاسياً في الحقيقة»[٣٠]. ■

المراجع

1-Dr. Harry Alder , NLP the new art and science of getting what you want,Piatkus,2004

المصدر السابق-٢.

3-Robert Todd Carol ,Skeptics Dictionary. Visit (website) http://skepdic.com

4- Dr. Harry Alder , NLP the new art and science of getting what you want,Piatkus,2004

5-Jon Ronson,"Don't worry, get therapy," The Guardian, May 20,2006.

6-Frank Clancy & Heidi Yorkshire, "The Bandler Method," Mother Jones Magazine, Feb/ March 1989.

المصدر السابق-٧.

المصدر السابق-٨.

9-Putting NLP Metaprograms Research in Context: Studying the scientific Validity of NLP

10-Pieter J.D. Drenth, 'Growing Anti-intellectualism in Europe: A Menace to Science'

المصدر السابق-١١.

المصدر السابق-١٢.

13-Kelton Rhoads, ' What About NLP?'

14-Garry Platt, ' NLP-No Longer Plausible?' Training Journal

المصدر السابق-١٥.

المصدر السابق-١٦.

المصدر السابق-١٧ .

18-Rick Branch, 'Mind Control in the 1990's :Neuro-Linguistic Programming,' The Watchman Expositor, Vol.7. No. 3, 1990.

19-Visit website Wikipedia

20- Terry Carter, ' Secret Sway,' ABA Journal, September 2001.

21- Frank Clancy & Heidi Yorkshire, "The Bandler Method," Mother Jones Magazine, Feb/ March 1989.

22--Garry Tippet, ' Inside the cults of mind control,' Sunday Age, April 3, 1994.

23- Visit Website http://www.nlp.org/NLP/random/lawsuit-text.htm

24-Garry Tippet, ' Inside the cults of mind control,' Sunday Age, April 3, 1994.

25-Michael Shermer, 'Sham Scam', Scientific American Magazine, May 2006.

26- Ron Rhodes, ' Anthony Robbins and the quest for Unlimited Power,' SCP Journal, Summer/ Fall 1998

27- Steve Andreas, "NLP Practitioners therapy! Anchor Point, June 2000.

28- Bruce Felts, ' Bandler Unplugged,' NLP Network News, Vol. 1 No.4

المصدر السابق-٢٩

30- Dylan Morgan. "A Scientific Assessment Of NLP". The Journal of the National Council for Psychotherapy and Hypnotherapy Register. Spring 1993.

البرمجة اللغوية العصبية NLP

دليل تشغيل لـ «عقلك» يقودك للتغيير وتحقيق النجاح!

م. رياض ناصر الفريجي* - الرياض

*مدرب معتمد من الأكاديمية البريطانية

في عام ١٩٧٥ من الميلاد، ظهر لنا علم جديد، علم لم نكن نعرفه، أو حتى تتوفر لدينا خلفية عنه، كان هذا العلم ناتجا عن تفاعل فكري بين الرياضيات واللغات فقد أخرجه لنا عالم الرياضيات ريتشارد باندلر وعالم اللغويات جون جرندر، بعد أن أمضوا وقتا في متابعتهم لثلاثة من عمالقة المعالجة آنذاك وهم ميلتون اريكسون وفرتز بيرلز وفرجينيا ساتير، أخذوا يمزجون في طرق المعالجين علهم يجدون شيئا جديدا يثرون به العالم الذي بات مريضا آنذاك، وحتى الآن.

كان الهدف الذي جمعهما على ذلك محاولة اكتشاف السبب وراء تحقيق بعض الناس التميز دون غيرهم ثم الوصول بعد ذلك إلى نماذج اقتداء تسمح لأشخاص آخرين أن يحذوا حذوهم، ومن هذا المنطلق بدأ باندلير وجرايندر في دراسة نماذج بعض العلماء من أمثال ملتون اريكسون وفيرتز برلز وفرجينيا ساتير. ومع مرور السنين برزت أسماء أخرى ممن أسهموا في تطوير مجال البرمجة.

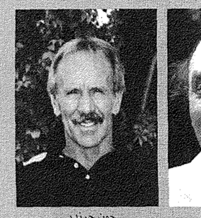
وبدأ الاثنان اكتشافهما من خلال السؤال الذي قادهم لاكتشاف العلم هو (كيف يكون لفرد مهارة دون الآخر رغم الاتفاق في البيئة والظروف) فكان اهتمامهم بـ(كيف) أكبر من اهتمامهم بـ(لماذا؟) حتى قاما في العام ١٩٧٥م بتأليف كتابهما وهو من جزئين والذي اعتبر أول كتاب في علم الـNLP.

بدأت قصة هذا العلم لأول مرة حينما كان ريتشارد باندلر طالبًا في الجامعة يدرس الفلسفة وعلم النفس والمنطق والكمبيوتر والرياضيات، ولم يكن مهتمًا كثيرًا بهذه المواد، وقد أظهر براعة في معرفة (قراءة تعبيرات الوجه) في مادة علم النفس آخذًا على معلمه الحديث عن هذا الأمر بشكل نظري، وهو ما أسخط باندلر مطالبًا أن يكون علم النفس عمليًا أكثر من كونه نظريًا، وكان باندلر يحرر كتابات فيرتز بيرلز مؤسس الجاشتلية، وكان أيضًا مهتمًا بعلم حل مشاكل العائلة حيث كان هذا العلم يقوم على نظام الإيحاء.

ثم صادف أن عُين جون قريندر- وكان بروفيسورًا في وقتها- بكلية كرسيج للدراسات العليا



ريتشارد باندلر



جون جرندر

وأصبح مشرفًا على باندلر في بحث حول تغيير السلوك الإنساني، وكان جريندر مهتمًا باللغويات بحكم تخصصه ودراسته لنظرية اللغوي اللساني الشهير نعوم شومسكي مع تركيزه على بنية الكلمة أو الجملة.

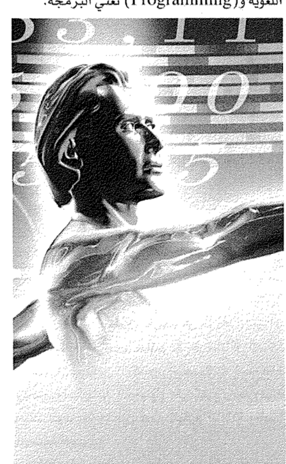
ومن هذا اللقاء وجد الاثنان تقاربًا بينهما وأن كلاً منهما يحتاج للآخر، باندلر بخبرته في نماذج المهارات السلوكية، وجرندر الخبير في النماذج السلوكية اللغوية، ثم بدأ الاثنان بدراسة نماذج كل من فرتز بيرلز وفرجينيا ساتير ثم أخيرًا ميلتون اريكسون، وقاما بتطبيق طريقة كل من فرتز بيرلز في الجاشتلية وفرجينيا ساتير في حل مشاكل العائلة والخطيبين وميلتون اريكسون الشهيرة في استخدام الإيحاء، واستطاعا الحصول على نتائج رائعة وقوية بسبب أنهما مزجا بين هذه العلوم الثلاثة وظهرا بالصيغة الجديدة.

ولقد بنى جريندر وباندلر صياغتهما الأولى

NLP من خلال استخدام هذه الصيغة المدموجة، وهذه الصيغة عملت بشكل أساسي على أنها صيغة للاتصال البشري، حيث إننا نتطور بشكل دائم تبعًا لاستجاباتنا ولردود أفعالنا، وهذه الصيغة ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث إنها رسمت الاستراتيجية المثلى لاستخدام المهارات الشخصية في الابتكار والتطوير والتغيير.

ثم تطورت البرمجة بعد ذلك بدمج علوم وموضوعات أخرى له مثل: الفلسفة وعلم النفس بجميع فروعه ودراسات العقل الباطن وعلم الجهاز العصبي وعلم وظائف الأعضاء وغيرها، وبعد ذلك عملا معًا على وضع صيغة عن كيفية (برمجة الإنسان).

لقد أطلق عليها العرب (البرمجة اللغوية العصبية) أو (برمجة الأعصاب لغويًا) والترجمة مأخوذة من أصل الكلمة في اللغة الإنجليزية وهي : Neuron Linguistic Programming فكلمة (Neuroun) تعني العصبي و(Linguistic) اللغوية و(Programming) تعني البرمجة.



لقد حدد العالمان ريتشارد باندلر وجون جرندر هدفًا أن يوجدوا للناس طريقًا للعلاج مما يعتريهم من إحساس بالفشل أو عدم قدرة على كسب مهارات معينة. إن التساؤل الذي طرحاه على أنفسهما، وهو كيف يكون لفرد مهارة دون الآخر رغم الاتفاق في البيئة والظروف؟ يؤكد أن تلك العقليات كانت فذة في تحليل المشكلة فهم لم يقولوا لماذا لكي تعلل لهم الظاهرة إنما أرادوا أن يصلوا لكيفية وصول الإنسان إلى تلك الحالة، وعند معرفتهم لذلك من السهولة بمكان أن يجدوا علاجًا لتلك الـ(كيف؟).

العلم الذي يدرس الامتياز البشري، هذا ما قاله روبرت دلتس عن الـNLP، يعرفها الدكتور إبراهيم الفقي أنها (هي فن وعلم الوصول بالإنسان لدرجة الامتياز البشري والتي بها يستطيع أن يحقق أهدافه ويرفع دائمًا من مستوى حياته). وحسب موقع جامعة البرمجة اللغوية العصبية ورد التعريف التالي:(تصف البرمجة اللغوية العصبية الديناميكا الأساسية بين العقل (عصبي) واللغة (لغوي) وكيف تؤثر في تفاعلنا الجسمي والسلوكي (برمجة).

وهي مدرسة واقعية من الفكر (نظرية ومعرفة) تخاطب العديد من المستويات الإنسانية، وهي عملية متعددة تتضمن تطوير القدرات البشرية، واكتساب المرونة وتعمق محاولات الفهم بالجزء (الروحي) للتجربة الإنسانية، وهي لا تدور فقط حول القدرات والمهارات ولكن حول الحكمة والرؤية).

إن الغرب مع اختلافنا معه من ناحية إيديولوجية إلا أنه متقدم عنا بمراحل كبيرة من ناحية العلم والصناعة والتكنولوجيا، ففي الزمن الذي كانت الأمة العربية نائمة نوعًا ما كان لدى الغرب صحوة منحته القوة المادية والمعنوية للاستيلاء على مدخراتنا العلمية والفكرية، إن في الأمة اليوم أصواتًا تنادي بابتكار العلم وصناعة علم جديد، لكنها للأسف لا تدرك أن عليك أن تبدأ من حيث انتهى الآخرون وليس من حيث بدؤوا!

إن علم الـNLP هو أن تخضع منهج تفكير الإنسان وخبرته تجاه العالم الخارجي للدراسة، ولكن علينا أن ندرك أن هذا المنهج معقد للغاية وغير موضوعي، فهو لا يستند دائمًا إلى تركيبة أو صيغة دقيقة. لكنه يعتمد على نماذج عن الطريقة

التي يعمل بها العقل استخلص علم البرمجة من خلالها أساليب وتقنيات لتسهيل عملية تغيير الأفكار والاعتقادات والسلوكيات تغييرًا سلسًا وسريعًا. وقد تشكلت تلك «النماذج» بعد دراسة بعض من استطاعوا بلوغ التفوق البشري، فمثلًا وضع «نموذج ميتا» استنادًا إلى دراسة المعالجة والخبيرة الشهيرة في مجال الاتصال فرجينيا ساتير، أما «نموذج ملتون» فقام على دراسة خبير التنويم الكبير الدكتور ملتون اريكسون.

إن حياتنا اليومية مليئة بالممارسات التي تحتاج إلى الاستفادة من علم الـNLP، فلو نظر الإنسان مثلًا إلى عقله الذي يولد معه، لكنه منذ أن يولد فهو للأسف لا يوفق من قبل من يتلقوننا، فتكون عقولنا التي منحنا الله إياها متمتعة بقدر لا يضاهى من العبقرية والذكاء، نكون قد أخضعناها أو أخضعت رغم أنوفنا للأهل والمدرسين والأصحاب الذين قاموا ببرمجتنا كما يريدون لا كما نريد، إن الـNLP يمنحك دليل تشغيل لعقلك كذلك الذي تجده مع جهازك الكهربائي الجديد والذي يمنحك قواعد التشغيل كاملة لتتمكن من الاستفادة من كافة القدرات التي منحنا إياها الله تبارك وتعالى منذ ولادتنا.

إن البرمجة اللغوية العصبية تهتم كثيرًا بالنتائج وتتمتع بالمرونة العالية وقلما تراها تسعى وراء ما يجب أن ينجح، إنما هدفها دائمًا هو ما سينجح بالفعل، كثير من الناس يقومون بأشياء ولكن مساعيهم تبوء بالفشل لأنهم يشعرون أن ما يقومون به لابد أن يكونَ هو الصواب. إذا لم ينجح هؤلاء فإن البرمجة ستسلك معه طريقًا آخر وتظل تجرب أكثر من طريقة معه حتى توصله إلى النجاح في نهاية المطاف. وهذا يعني أنه في الـNLP لا مجال للفشل الـNLP لا تهتم سوى بالنتائج التي تحققها وتمنح الناس ما يطمحون إليه في حياتهم اليومية والمستقبلية.

الـNLP هو دليل تشغيل عقلك الذي غفلت عنه طول سنوات عمرك التي مضت، ولكنه الآن يأتي إليك تحت مسمى الـNLP، ويمنحك فرصة التعرف على عقلك اللاواعي، ويوفر لك التقنيات التي تساعدك على التغيير سواء بحياتك أو بحياة الآخرين وسيزودك بالخريطة التي تجعلك تحقق النجاح في الحياة، هذا العلم سيمنحك القوة والتمكين في فن التواصل الحقيقي الذي يسمح لك بفهم زملائك والتأثير عليهم ناهيك عن إحداث تغييرات حقيقية في طريقة عملك وحياتك بمنتهى السهولة ويعطيك الدليل لإطلاق طاقاتك الكامنة.

PATTERNS OF THE HYPNOTIC TECHNIQUES OF MILTON H. ERICKSON, M.D.
VOLUME 1
RICHARD BANDLER AND JOHN GRINDER

فيما مضى حاولت جاهدًا أن أوجد لدى القارئ العزيز رؤية شافية لعلم الـNLP الذي كثر الجدل حوله من علماء الدين وكذلك من بعض علماء الإدارة ولعل أبرز العلماء الإداريين الذي لديهم تحفظ على مسألة الـNLP هو الدكتور طارق السويدان حسبما ذكرت إحدى المجلات في لقاء معه، ولكن من وجهة نظري فأنا أرى أن علم الـNLP كأي علم آخر يمكن أن يكون علمًا صالحًا لتعليمه واستخدامه في مجتمعنا مباشرة دون قيود، أو أنه علم يحوي عددًا من الشوائب والعقائد الفاسدة ويبدو لي أنه للثانية أقرب ولكنه مع هذا يمكن أن ينقى وتستفيد منه الأمة في تعليم جيلها القادم الذي يتوقع له النهوض والصعود بها.

إن الاختلاف بيننا في موضوع الـNLP يؤدي إلى تنافر شديد بين المدربين والإداريين في الأمة، لكنه من الممكن جدًا أن يقلل البعض من حدة الاختلاف ليصل لخلاف لا يفسد للود قضية عندما يرخي كل طرف حبله ذراعًا ليكسب الطرف الآخر دون أن تتصادم الآراء.

ومن خلال المرور على تاريخ الـNLP نرى أنه لم يحتو تاريخها على توجه عقدي معين، بل كان يهدف لخدمة الإنسان والرقي به أيا كانت ديانته أو توجهه، وقد يكون لخروجها من الغرب سبب في وجود عدد من الترسبات الإيديولوجية التي من السهل أن نتخلص منها وننظر للعلم نظرة جيدة بعيدة عن الإقصاء، فما لايدرك كله لا يترك جله. ■



البرمجة اللغوية العصبية . . أو

التدريب الخرافي...

د.عبدالله البريدي* ـ القصيم

* عضو هيئة التدريس - جامعة القصيم

نعم... لا مناص من تقرير أنه ثمة تدريب خرافي وإلا كنا مضطرين لأن نسمع من يقول بخرافة التدريب كله وتفاهته وعجزه المطلق عن تحقيق أي كسب في معركة بناء الاتجاهات الإيجابية أو إكساب المهارات الفائقة، وليس شيئًا يحمل أولئك على ذلك الاعتقاد السيئ تجاه التدريب غير المبالغة الأسطورية التي تقترف في بعض ميادين التدريب وحقوله، ومقتضى هذا أننا أمام خرافة حتمية: إما خرافة التدريب برمته أو خرافة بعض ألوانه وبرامجه، ونحسب أننا مجمعون على صوابية الرأي الثاني والذي يجنبنا مخاطر كبيرة قد تؤدي بالتدريب وترديه صريعًا بعد انعتاق التدريب من مرحلته الطفولية في عالمنا العربي، فهل نبادر بالدفاع عما يستحق من التدريب؟

هذا الموضوع كُتب لتحقيق ذلك الغرض أو للإسهام في تحقيقه، كتبت هذا الموضوع لنقول لمن يضع الشمس في يمين المتدرب والقمر في يساره كف عن هذا الهراء، والحقول التدريبية التي أصابها هذا الداء كثيرة، من أبرزها ما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية (البرمجة اختصارًا) NLP. وسأقصر حديثي بل نقدي على البرمجة كرمز أو نموذج لتلك الحقول.

بدأ ارتباطي ومعرفتي بحقل البرمجة اللغوية العصبية منذ أحد عشر عامًا، حيث بدأت رحلتي معها بقراءة كتاب[1] عن البرمجة وضعه الصديق الدكتور محمد التكريتي، وبعد فراغي من الكتاب والتأمل في تقنيات البرمجة المقترحة أحسست أنها ظريفة ومفيدة، غير أنني توقعت للبرمجة ألا تعدو مجرد كونها «موضة» تدريب وتنقشع، لتجيء موضة أخرى في فضاء ثقافي «يرحب» بالأفكار ولا «يصنعها»!

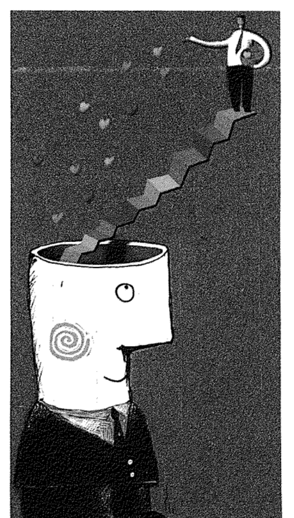
ومما أزعجني في البرمجة أنها تعتمد على المنهج النفعي (سيأتي توضيح ذلك) وغيرها من الأمور. والحقيقة أنني حينذاك لم أكن على دراية بالأسس الفلسفية للبرمجة لعدم وقوفي على المصادر الأصلية لها، حيث إن البرمجة لم تكن من جملة اهتماماتي الأساسية، فذهبت بضع سنوات وأنا أحمل ذات القناعات حيال البرمجة، وكنت طيلة تلك الفترة أسرب بعض قناعاتي «المبدئية» لبعض الأصدقاء وأجد تفاوتًا في الآراء.

ثم ما لبثت البرمجة أن انتشرت بشكل لم يكن يخطر على بالي (مع أنني مصر على أنها موضة أو هكذا يجب أن تكون!)، فتنافست مراكز التدريب وكثير من المدربين المرموقين في العالم العربي على التبشير بها، وجعلت جحافل الترويج للبرمجة تقرع كل أذن وتقع على كل عين، واحتدم النقاش بين مؤيدين ومعارضين، وتوقف قوم، فلا هم من هؤلاء ولا من هؤلاء، ومع شيء من القراءة والنقاش اتضح لي معالم جديدة في البرمجة زادت من مخاوفي السابقة، فقررت أن أبدأ رحلة أخرى مع البرمجة، رحلة أكثر عمقًا تمكنني من الوقوف على جوهرها. ولقد خلصت بعد ذلك إلى كتابة بحث نقدي تضمن بعض النتائج التي رأيت أنها جديرة بالطرح والنقاش في الساحة الثقافية، علها تكون معينًا لنا على الوصول إلى الحقيقة تجاه البرمجة بكل تجرد وموضوعية. وأثبت هنا أهم ما توصلت إليه من نتائج

وبشكل مكثف مع التركيز على الجوانب التي توضح خرافية التدريب التي تتسم بها البرمجة!

ماهية البرمجة

البرمجة حقل معرفي نشأ وتبلور في السبعينيات الميلادية على أيدي مجموعة من المنظرين والفلاسفة الغربيين أبرزهم على الإطلاق ريتشارد باندلر وجون قريندر[٢]، وشاركهما في تأسيس وتأطير وتطوير الحقل جملة من المنظرين الآخرين أمثال روبرت ديلتس وجوديت ديلوزير[٣]. مع أنه يجب أن نأخذ في الاعتبار أن هذا الحقل قد تأسس على بعض الرؤى الفلسفية لمجموعة أخرى من الفلاسفة الغربيين[٤]. حقل البرمجة يتعاطى مع الظواهر الإنسانية من خلال ثلاثة مكونات هي: الجهاز العصبي Neuro واللغة Language والبرمجة Programming. وهذه المكونات الأساسية أعطت للحقل اسمه المعروف



البرمجة اللغوية العصبية Neuro-Linguistic Programming (NLP).

يعرف ريتشارد باندلر البرمجة بقوله إن: «البرمجة اللغوية العصبية هي اتجاه (أو توجه) ومنهجية يخلفان أثرًا من جراء تطبيق بعض التقنيات». في حين يذهب روبرت ديلتس أن «البرمجة اللغوية العصبية هي كل ما يحقق النتائج».

البرمجة والفلسفة البرغماتية

يقوم هذا الحقل على ما يسمى بالمنهج النفعي «البرغماتي» Pragmatic Approach، وهو المدخل الذي يرى أن النفعية هي المعيار لتحديد المعرفة الإنسانية الصحيحة/ الدقيقة، أو التي تمتلك مقومات التفعيل في المحيط الاجتماعي. إنه منهج مشابه لما يفعله مع الآخر المشابه في الأعراض والشكوى، دون إخضاعه للتجربة بضوابطها المنهجية المحكمة. وكذلك يفعل المتخصصون في البرمجة اللغوية العصبية «أو المبرمجون- اختصارًا» إذ إنهم يطبقون كل نموذج «يعمل» دون النظر في منطلقاته الفلسفية والفكرية أو صحته بل إن منظري البرمجة يعدون هذا واحدًا من أهم مزاياها. وهنا قد يثور تساؤل جوهري بل أكثر مفادها:

- ما الخطأ في هذا المنهج النفعي الذي يتبناه حقل البرمجة؟
- وهل سلم المنهج العلمي من الأخطاء، حتى نحاكم الحقول المعرفية له ونحكمها بها؟

يمكننا تقديم الإجابة عن الشطر الثاني من السؤال- لاعتبارات منطقية- وذلك بالقول إن المنهج العلمي باعتباره فكرًا إنسانيًا لا يمكن الزعم مطلقًا بخلوه من المثالب والعيوب والصعوبات فلسفيًا ومنهجيًا وعمليًا، غير أنه أسلم المناهج الذي يمكننا من الحصول على المعارف الإنسانية واختبارها وتجريبها وإنضاجها فلسفيًا أو عمليًا أو معًا. وربما تتضح معالم هذا التميز والتفوق من خلال استعراضنا لبعض مثالب وعيوب ونتائج تبني المنهج النفعي في الحقول المعرفية، مع الأخذ في الاعتبار أن التركيز سيكون على تلك التي لها صلة أكبر وأوثق بحقل البرمجة.

يمكننا تلخيص أهم عيوب المنهج النفعي عبر

النقاط التالية:

١- عدم إمكانية التحقق من نتائجه Verification باعتبار الصحة المنهجية/ الفلسفية أو التجريبية وباعتبار أثر هذه النتائج من حيث ديمومتها وطبيعتها وقوتها، وذلك لانعدام وجود معايير وطرق وخطوات منهجية وعملية للتجربة والقياس والتحقق.

٢- صعوبة تحديد من يمتلك حق التصديق أو «الختم» على أنها هذه المعرفة أو تلك نافعة «معرفة تحقق النتائج وتحدث أثرًا مرغوبًا!». وتتأكد الإشكالية في هذا السبيل إذا ما روعي أن حقل البرمجة نشأ وطور على أيدي مجموعة من المنظرين الغربيين الذين يمتلكون خصائص فلسفية ومعرفية ونفسية وكارزمية مميزة. وفي هذا السياق يحق للناقد أن يتساءل:

- هل هذه الخصائص لهؤلاء المنظرين معيارية؟

- هل يجب توافرها في كل من يروم تنظيرًا وإسهامًا في البرمجة؟

- أم يفتح باب الاجتهاد «النفعي» لكل أحد دون شرط أو قيد ما دام أن الحقل يعتنق المبدأ النفعي؟

- هل يوافق من يرى أن «المشي على الجمر» تقنية برمجية نافعة؟ ولماذا لا يكون المشي على مسامير نافعًا أيضًا؟ ما المعيار في ذلك؟ أليس النفعية؟

هذه الأسئلة- وأمثالها كثير- تحتاج إلى إجابات «منهجية» (أو قل «مقنعة»!- حتى لا يشغب البرمجيون على استخدام كلمة منهجي) من منظري وفلاسفة المنهج «الفعلي»، بحسب قراءتي المتواضعة لأدبيات البرمجة لم أقف على إجابات مقنعة عن تلك الأسئلة الخطيرة. وهنا نتساءل مجددًا عن مدى إمكانية الظفر بإجابات من قبل البرمجيين العرب والمسلمين حيال هذه القضايا ذات البعد الأيدلوجي.

٣- ينتج مما سبق مشاكل وصعوبات غاية في التعقيد والخطورة والتي منها:

أ- إشكاليات كبيرة فيما يتعلق بالتعميم: يمكن استجلاء بعض الإشكاليات التي تصاحب وتنجم عن المنهج النفعي بخصوص قضية التعميم عبر طرح الأسئلة الخطيرة التالية:

- هل يمكن تعميم «نفعية» كل النماذج التي ثبت نفعيتها عند كل أحد؟ أم يلزم ثبوتها عند رواد الحقل ومنظريه (وفلاسفته)؟ هل يمكن تعميم نتائج أو آثار التطبيق؟

- هل الأثر الذي يتركه تطبيقات البرمجة دائم أم مؤقت؟ وما المعايير في التفريق بين هذا وذاك؟

ب- انعدام التراكمية: وهنا أشير إلى قناعة (فلسفية) لدي وهي أن استمرار هذا الحقل على النهج النفعي- على افتراض إمكانية استمرار الحقل أصلاً!- سيؤدي إلى إنتاج تراكم معرفي أو قل «أخلاط» معرفية لا تنتظم بأي إطار فكري أو فلسفي يمكّن من تقييم النماذج والتطبيقات المبعثرة في خريطة الحقل، حيث ستتراكم أكداس من التطبيقات التي ربما يعارض بعضها بعضًا أو يلغي بعضها أثر بعض. وهنا تتضح أكثر فأكثر بعض المشاكل لا سيما في الحقل الثقافي، وفي تلك المرحلة ربما تزداد أصوات المطالبين بمزيد من الحزم «المنهجي»- بشقيه الثقافي والفلسفي- في التعامل مع هذا النثار المعرفي.

البرمجة تحاول أن تقدم نفسها كحقل معرفي يتناول كافة الظواهر الإنسانية بالتحليل والعلاج، ولم تكتف بهذا، بل راحت تعد بتقديم أفضل الحلول وأسرعها، تهويلا ومبالغة، وقد انعكس هذا المسلك المشين بجلاء على جملة البرمجيين في كتاباتهم وتطبيقاتهم

النسبية «المطلقة» Absolute Relativism

طبقًا لمنظومة قيم البرمجة Belief System of NLP. تتبنى البرمجة مبدأ «النسبية» في تحصيل العلم أو المعرفة بما يتضمنه ذلك من: التفكير، الإدراك، التحليل، الفهم، حيث تؤمن البرمجة باستحالة الظفر بـ«المعرفة أو الحقيقة

الموضوعية» من قبل أي إنسان!

وهذا يجعلنا نرجع هذه الفلسفة ونربطها بفلسفة أخرى وهي ما يعرف بالفلسفة «التركيبية» Constructioism. هذه الفلسفة تؤمن بأنه لا يمكن للإنسان أن يظفر بمعرفة موضوعية وذلك أن المعرفة لا يمكن فصلها عن الإنسان فكرًا وقيمًا Value-Laden. وهي إنما تتشكل بحسب رؤية وتركيب الإنسان لها في خضم التفاعل الاجتماعي. وأدت- حتمًا- هذه الفلسفة التركيبية إلى ثغرات ضخمة من أبرزها إيغالها في النسبية المطلقة أو فلسفة «كل شيء ماشي!».

فلاسفة البرمجة اللغوية العصبية يريدونها «أيدلوجية حياة»

يعتقد البعض أن البرمجة مجرد حقل معرفي يعالج بعض الظواهر الإنسانية، وهو الأمر الذي كنت أعتقده في بداية اطلاعي على البرمجة- منذ ما يقارب العشر سنوات-، ولكنني بدأت أتلمس خيوطًا جعلتني أتشكك في هذا الفهم «المبدئي» وأتساءل عن سر هذه الفلسفة التي بدت وكأنها تحمل بين طياتها بعدًا أيدلوجيًا عميقًا، وربما يكون مفيدًا أن أشير إلى أنه ثمة مجموعة من الأسباب تفاعلت في ذهني بعد اقترابي من «الحدود الفلسفية» للبرمجة وجعلتني أخلص إلى نتيجة مغايرة، ومن هذه الأسباب:

- أن البرمجة تؤمن بتأثير الإطار القيمي والفلسفي وتأثير ذلك على السلوك الإنساني ولذا فالبرمجة تؤكد أهمية مراعاة ذلك في منهجها وتطبيقاتها، وهنا تساءلت عن الأطر القيمية الفلسفية للبرمجة:

هل هي الأطر العربية الإسلامية؟ بالتأكيد لا!

هل هي الأطر الغربية؟ بالتأكيد نعم! إذًا تستحق هذه وقفة وتسجيل.

- إنها تزعم أنها تعالج كافة الظواهر الإنسانية حتى الروحية منها، وفي هذا المعنى يقول أصحاب الموسوعة (روبرت ديلتس وجوديث ديلوزير) إن بحث واستكشاف بنية الخبرة الروحية قضية في غاية الأهمية بالنسبة للبرمجة اللغوية العصبية[٥].

- إنها تعرض نفسها كإطار ابستمولوجي (معرفي) شامل. والابستمولوجيا- كما أقرؤها في أدبيات الفكر الغربي- هي فلسفة من نوع «ثقيل»، أي أنها ذات طابع أيدلوجي.

ومن هنا خلصت إلى نتيجة خطيرة مفادها أن البرمجة تعدت كونها حقلاً معرفيًا يعالج بعض الظواهر الإنسانية إلى الادعاء بأنها فلسفة «حياة» شاملة، وهنا تتضح أبعاد الخطورة- إن سلم لي بهذا- وذلك بمزاحمة ومنافسة البرمجة للدين، المكون الأساسي في بنية حياة المسلم والمشكل الرئيسي لحضارته!

البرمجة تعدت كونها حقلاً معرفيًا يعالج بعض الظواهر الإنسانية إلى الادعاء بأنها فلسفة «حياة» شاملة ، وهنا تتضح أبعاد الخطورة- إن سلم لي بهذا- وذلك بمزاحمة ومنافسة البرمجة للدين ، المكون الأساسي في بنية حياة المسلم والمشكل الرئيسي لحضارته!

البرمجة اللغوية العصبية تؤله الإنسان «السوبر» وتجففه إيمانيًا

يؤكد منظرو البرمجة ومؤيدوها أنها تعين الإنسان على التعرف على طاقاته المخزونة، كما ترشده إلى كيفات (كيف؟) مقترحة تمكنه من تفجير هذه الطاقات، كما تجدر الإشارة إلى التأكيد على أهمية هذا المنحى التعريفي التشجيعي في التعاطي مع طاقات الإنسان المسلم- وبالذات العربي- في زمن كالذي نحياه الآن، وذلك لتعرض المسلم- وتحديدًا العربي- إلى ألوان من الإهانة «النفسية» بعضها مدروس ومبرمج ومؤدلج وبعضها الآخر عشوائي.

وللحق أقول إن البرمجة نجحت- جزئيًا- في هذا المجال بشكل يستحق التنويه، غير أننا نلحظ في الوقت ذاته مظهرًا بل منهجًا وفلسفة تؤمن بها

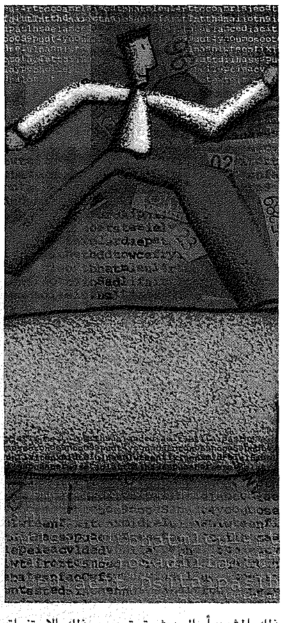
البرمجة وتبني عليها إطارها الفكري ومداخلها العملية في اتجاه تفعيل طاقات الإنسان، وهذه الفلسفة لها خطورتها البالغة على البعد الإيماني، مما يجعلنا ندرك أن إيجابيات البرمجة وإنجازاتها في هذا الاتجاه ربما تغوص وتنغمر في محيط متلاطم من السلبيات والثغرات الخطيرة التي تتجه بالإنسان إلى «الركون» و«الاعتزاز» بقدراته الذاتية، وقدراته فحسب، دون توكل قلبي وارتباط وجداني بالخالق العظيم...

البرمجة اللغوية العصبية «فلسفة مغرورة»!
البرمجة تكتشف «الإنسان الأزرار»!

ربما يكون البعض قد لمس ما أرمي إليه في هذا العنوان من خلال تحليله لما تقدم. على كل، برز مما تقدم أن البرمجة تحاول أن تقدم نفسها كحقل معرفي يتناول كافة الظواهر الإنسانية بالتحليل والعلاج، ولم تكتف بهذا، بل راحت تعد بتقديم أفضل الحلول وأسرعها، تهويلاً ومبالغة، وقد انعكس هذا المسلك المشين بجلاء على جملة البرمجيين في كتاباتهم وتطبيقاتهم، إذ جعلوا يحتقرون ويقللون من شأن بقية الحقول المعرفية وإسهاماتها الضخمة في التعاطي مع مختلف الظواهر الإنسانية!

تتعامل البرمجة مع الإنسان في بعض مناهجها وتطبيقاتها تعاملاً «ميكانيكيًا»، وبعبارة أخرى يمكننا القول إن البرمجة اكتشفت «الإنسان الآلة» أو «الإنسان الأزرار» الذي يمكن تحريكه بأي اتجاه، كما يمكن تنمية إنتاجه وفعاليته وكفاءته من خلال لمسة سحرية لا تكلف أكثر من «ضغطة»، من خلال ما يسمى في البرمجة بتقنية «الإرساء»[٦] Anchoring (هذه التقنية تعتمد بشكل ضمني على نظرية الارتباط الشرطي الشهيرة لبافلوف). أي أن البرمجة تزعم أنها تحيلنا إلى «إنسان متفوق» في مجال أو آخر عن طريق ممارسة وتطبيق تقنية الإرساء.

فمثلاً يمكنك استدعاء مشهد من خزان ذاكرتك، وليكن مشهدًا كنت فيه متألقًا في خطابك والقائك مع ثقة كافية، هنا يأتي إليك البرمجي «ليبرمجك» على هذا الوضع من خلال تمرين تدريبين تكون فيه حالة من «التطابق»[٧] مع صورة



ذلك المشهد أو الحدث، تستصحب ذلك الاستغراق في هذا المشهد إلى لحظة زمنية معينة لتقوم بعدها بإرساء أو تثبيت هذا السلوك من خلال- على سبيل المثال- ضغطة على معصم يدك اليسرى.

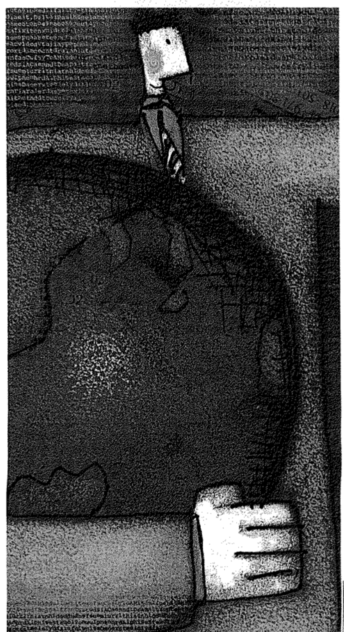
البرمجة تقول لك إنها «تضمن» في حالة «نجاح» عملية الإرساء أنك قادر على الوصول إلى نفس الدرجة من التألق والتميز في الخطابة والإلقاء في مستقبل أيامك بمجرد لمسة أو ضغطة!

وربما يكون مفيدًا إيراد مثال آخر على القدرة «الفائقة المزعومة» للبرمجة في هذا المجال. للبرمجة دائرة يسمونها بـ«دائرة التميز»[٨] Circle of Excellence. وبطريقة مشابهة يمكنك أن تضمن تميزًا في بقية مشاهد عمرك وذلك فيما يتصل

بالمهارة المتضمنة في الخبرة التي قمت بإرسائها عبر دخولك في دائرة تسميها بدائرة التميز!

وقفات ثقافية مع البرمجيين العرب
هل يُنسف حقل البرمجة ويدفن؟

تزعم البرمجة أنها قادرة على نمذجة السلوك، ومن ذلك نمذجة السلوك الإبداعي للمتميزين من أجل إكسابه الآخرين، ومن تلك النماذج ما يعرف بـ«استراتيجية ديزني للإبداع» Disney Creativity Strategy. وإمكانية مثل هذه



النمذجة والإكساب محل تسليم لدي، ولكن بشروط وبيئة ومعايير ومقادير محددة[٩]، لم تنل من البرمجة أي اهتمام يذكر، ولم تدخل نسيجها الفلسفي وأطرها الفكرية، بعكس الحال في الحقول المعرفية ذات الصلة بأدبيات الإبداع والتي راعت بمنهجية علمية تلك العوامل المحددة والمؤثرة في الإبداع إيجابًا وسلبًا.

أعود لزعم البرمجة في هذا المجال وأقول دعونا نسلم جدلاً صحة هذا الزعم، لأتساءل عن مدى إمكانية أن يقوم البرمجيون العرب والمسلمون ببرمجة تفكيرهم وتوجيه بوصلتهم الفكرية نحو الإبداع في حقل البرمجة، وذلك ببلورة وتطوير وإنضاج فلسفات فكرية وتقنيات عملية تتناغم مع منظومتهم الثقافية وإطارهم الحضاري. لماذا لا يتبنون أي استراتيجية- يرونها مناسبة- في الإبداع ليخرجوا من حيز التطبيق الميكانيكي لتطبيقات باندلر، وقريندر، ودليتس، وديلوزير وأضرابهم إلى فضاءات الأصالة والطلاقة والمرونة التي تقود إلى إبداع أصيل فكرًا وروحًا وتطبيقًا، لا سيما في القضايا ذات الصبغة الأيدلوجية، والتي منها على سبيل المثال ما يسمى بـ«البرامج العليا» Meta Programmes. ذلك أنها تنطلق وتتأثر بعقيدة الإنسان، والتي تحدد له هدفه الرئيس في الحياة لتضبط بعد ذلك بوصلة تفكيره ومتاريس سلوكه صوب ما يحقق ذلك الهدف.

أصدقكم القول إنني- ومع ولعي واحترامي وإجلالي لكافة الحقول المعرفية- أرى- وبكل حسرة- نسف هذا الحقل بوضعه الحالي، حيث إنه جدير بذلك ومستحق له، هذا الحكم مترتب في حالة استمرار الحقل على نهجه وفلسفته التي أبنت عن شيء من عللها ومخاطرها وآثارها. ودعوتي هذه لا يُفهم منها البتة الدعوة إلى عدم التعاطي والإفادة من النماذج والتقنيات والاقتراحات التي جاء بها هذا الحقل أو طورها، كلا، بل نحن مطالبون معاشر المتخصصين في كافة العلوم الاجتماعية أن نفيد من هذه التركة، في محيط يضبط بالمنهج العلمي معايير وشروط وصفات، ذلك أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. ■

هوامش ومراجع

1 . د.محمد التكريتي (1993)، آفاق بلا حدود، الرياض: دار المعارج، ط1.

2 . لقريندر وباندلر العديد من الكتب التي تعتبر المراجع الأساسية للبرمجة. من هذه الكتب ما يلي:

- Grinder, J. and Bandler, R. (1975- 6), The Structure of magic 1- 2, Science and Behaviour Books.
- Bandler, R. and Grinder, J. (1979), Fogs into princes, Real People Press.
- Grinder, J. and Bandler, R. (1981), Trance- Formations, Neuro- Linguistic Programming and the structure of hypothesis, Real People Press.
- Bandler, R. (1985), Using Your brain for a change, Real People Press.

3- انظر مثلاً:

- Grinder. J. and Bandler. R. and Delozier. J. (1977). Patterns of hypnotic technigues of Militon H. Ericson, MD, Meta Publications.
- Dilts, R. (1983), Applications of Neuro- Linguistic Programming: A practical guide to communication, learning and change, CA: Meta Publication.

4 . من الفلاسفة والباحثين الغربيين الذين أسهموا بتأسيس بعض منطلقات البرمجة باحث اللغويات البولندي ألفريد كورسيبسكي Alfred Korzybski وهو صاحب المقولة بل الفلسفة التي أثرت على كثير من جوانب البرامجة وهي «الخريطة ليست هي الواقع» The map is not the territory، ومعنى هذه الفلسفة أن العالم في ذهن الإنسان ليس هو العالم الحقيقي، ومنهم الفيلسوف الأمريكي ويليام جيمز William وهو من أشهر من طور المنهج النفعي.

5 _ Dilts, R. and Delozier, J. Encyclopedia of systemic NLP and NLP new coding, available in the internet at: www.nlpuniversirypress.com (see the section of the letter S).

6 _ See for example:

- Dilts, R. and Delozier, J. Encyclopedia of systemic NLP and NLP new coding, available in the internet at: www.nlpuniversirypress.com (see the section of the letter A).
- O'Conner, J. (2001), NLP workbook, London: Element.

7 . تسمى هذه الحالة في البرمجة بحالة «الاتحاد» Association والتي تقابل حالة «الانفصال» Dissociation، ويعنون بحالة الاتحاد تلك الحالة التي تكون فيها مندمجًا في الحدث الذي تفكر فيه أي أنك تتصور نفسك وكأنك تعيش ذلك الحدث، تراه، وتسمعه، وتشمه، وتحسه. في حين تعني حالة الانفصال تلك الحالة التي ترى فيها الحدث من الخارج، أي بدون معايشة له. وهذا توصيف جيد، وهو معمول به في بعض الحقول النفسية. لمزيد من المعلومات يمكنك الرجوع إلى المراجع السابقة.

8 . تقنية «دائرة الامتياز»، مضحكة حقًا وفيها استخفاف كبير بالإنسان، وقد لاحظت أن بعض المدربين يقولون إن هذه التقنية تناسب الأطفال فقط وبعضهم يعممها على الكبار. لمزيد من المعلومات انظر المراجع السابقة.

9 . من أهم عوامل تنمية الإبداع وتشجيعه الدافعية الداخلية والاستعداد الفكري والنفسي، ومنها الاهتمام أو ما يسميه المفكر السعودي الأستاذ إبراهيم البليهي بـ«عبقرية الاهتمام» وهو مصطلح في غاية العمق، وثمة جملة من العوامل الأخرى المؤثرة في الإبداع في المحيط النفسي والعقلي والاجتماعي يدركها المتخصصون في حقل الإبداع.

رؤية نفسية وتربوية

لماذا يذهبون إلى دورات تطوير الذات؟

محمد عبدالله الصغير - الرياض

بعد نشأتها في الغرب منذ أكثر من ثلاثين سنة لأسباب متعددة وحاجات متنوعة وصلتنا دورات تطوير الذات وانتشرت في البلدان الإسلامية ولاسيما دول الخليج، وظهر انتشارها خلال السنوات السبع الماضية تقريبًا، أيضًا لأسباب متعددة وحاجات متنوعة، وقد تباينت مواقف الناس تجاه هذه الدورات ما بين قبول غير مستبصر ورفض مجحف وما بينهما بناء على ما في هذه الدورات من إيجابيات وسلبيات ذات أبعاد متعددة نفسية واجتماعية (فكرية وسلوكية...).

ينبغي تأكيد أن الدورات التدريبية تُعنى بتطوير المهارات العملية تطبيقًا عمليًا يتم من خلال وجود المتدرب مع مدرب ومجموعة متدربين في وسط تدريبي. وليس الهدف الأساس من الدورات التدريبية صب معلومات نظرية من فم المدرب في آذان الحضور الذين يستطيع الواحد منهم الحصول عليها أو أفضل منها من أي مصدر آخر. وهذا المفهوم المهم للدورات التدريبية غاب عن أذهان عدد من الإخوة والأخوات الذين دخلوا مجال التدريب دون وعي عميق وإعداد جيد فصار بعضهم يعقد دورات تسمى تدريبية وهي في الحقيقة أشبه ما تكون بالمحاضرات لا تفيد في إكساب المهارات العملية المطلوبة ولاسيما إذا كان عدد الحضور كثيرًا.

لماذا يقبل بعض الناس على دورات التطوير الذاتي؟

الأسباب متعددة ومتفاوتة وتختلف باختلاف نوعية الدورات وطبيعة الأشخاص وظروفهم ودوافعهم، فمنهم من تكون لديه طموحات ورغبات لبناء شخصيته بناء قويًا متكاملاً ورفع قدراته ومهاراته واستثمار طاقاته، ومنهم من تكون لديه معاناة أو عقبات أو نقص يريد التغلب عليه ليكون في وضع أفضل وحال أحسن.

ومما لوحظ في حضور دورات التطوير الذاتي (حتى في الغرب بشهادة عدد من المدربين الغربيين) أن البعض يسيء فهمها والإفادة منها فيكثر منها لأجل جمع الشهادات أكثر من حرصه على تعلم المهارات ويستغلها في الحصول على الجاه والشهرة والمال، وبعض الذين لديهم معاناة نفسية يستمر في حضور دورات تطوير الذات ويجمع فيها من الشهادات ما يظن أنه يتغلب به على مشكلته فتكون هذه الدورات حيلة نفسية توهمه بانتهاء معاناته والتغلب على مشكلاته، بل قد توهمه بالقدرة على حل مشكلات الناس وعلاجها علاجًا نفسيًا، وقد وجدت من ذلك الشيء الكثير في مثل هذه الدورات ولاسيما في دورات البرمجة اللغوية العصبية ونحوها، وفي المقابل هناك من المرضى النفسيين من أفادته دورات التطوير الذاتي فائدة حسنة لم يجدها في العيادة النفسية (على سبيل المثال بعض مرضى الرهاب الاجتماعي تفيده دورات فن الإلقاء والخطابة).

لماذا يُقبل المرضى النفسيون على دورات تطوير الذات؟

لأنهم يريدون التخلص من معاناتهم النفسية ولهم كل الحق في ذلك ولا ملامة عليهم فيه، ولاسيما أن العيادات النفسية محدودة والذهاب إلى طبيب نفسي يشوبه ما يشوبه من الحذر الاجتماعي والديني والنفسي، فكم من الناس من لديه معاناة نفسية عميقة لا يريد أن يقال عنه مريض نفسي ولا يريد أن يعالج لدى طبيب نفسي! كما أن كثيرًا من المرضى لديهم معاناة نفسية طويلة الأمد، ولاسيما إذا كانت متعلقة بخلل في التواصل مع الآخرين أو في المشاعر السلبية أو التفكير الخاطئ، وهؤلاء قد لا يجدون في العيادات النفسية من يساعدهم

بالقدر الكافي إما لنقص المختصين في هذه المجالات أو لعدم اهتمام بعض المعالجين النفسيين بالمرضى بالقدر المطلوب.

ألا تغني مناهجنا التعليمية عن دورات تطوير الذات؟

مناهجنا التعليمية فيها خير كثير، ولاسيما فيما يحتاج إليه الشخص في أمور دينه، ولكن الحياة العملية تتطلب إكساب مهارات عملية تطبيقية تفي بحاجة الشخص لشق طريقه في الحياة والتكيف مع مستجداتها وظروفها وعقباتها وهذا - فيما يبدو لي - لدينا فيه نقص واضح نلاحظه في المجتمع وفي العيادات النفسية بشكل واضح فمثلاً:

- طلاب الصف الثالث الثانوي كثيرًا ما يعانون القلق والتوتر والإحباط رغم كون كثير منهم متفوقين دراسيًا ولكن لديهم نقص في المهارات النفسية الاجتماعية ولم يدرسوا شيئًا من ذلك خلال مراحل دراستهم منذ الابتدائية وهم أحوج ما يكونون إلى تعلم المهارات النفسية مثل: إدارة الوقت وفهم الذات والتوافق النفسي والتحكم في الضغوط النفسية والتفكير الإيجابي ونحو ذلك.

- الأزواج الشباب والشابات حديثو الزواج كثيرًا ما يحدث بينهم خلافات زوجية أو يكون لدى بعضهم ضعف في الثقة بالنفس ونقص في مهارات التواصل وأخطاء معرفية وسلوكية أو انحرافات عاطفية رغم كون كثير منهم ذوي ذكاء مرتفع وثقافة واسعة وتفوق دراسي.

- الانحرافات السلوكية والتصرفات المضادة للمجتمع موجودة في مجتمعنا بوضوح (كأي مجتمع يتعرض لمؤثرات ثقافية واجتماعية مهيئة) مع أن التعليم لم يقصر في النواحي المعرفية التوعوية والوقائية والعلاجية لتلك الانحرافات، فالحاجة ماسة لإكساب الناس،

ملاحظات حول دورات التطوير الذاتي

محمد عبدالله الدويش - الرياض

حتى نفهم هذه الظواهر (دورات تطوير الذات) فهمًا أوسع ينبغي أن ننظر إليها في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه وثقافته في التعامل مع هذه القضايا.

إن مجتمعنا يتعامل مع كثير من القضايا بما يصطلح الناس على تسميته بالموضة، فالتعامل مع الأفكار الجديدة يفتقر إلى الاعتدال والتوازن والتمحيص، ويسيطر في الأغلب الرفض المطلق أو الحماس المطلق.

وإعطاء الشخص رأيًا دقيقًا في هذه القضايا يفتقر إلى امتلاك قدر كاف من المعلومات يؤهله للحكم والتقويم، وهو ما أحسب أن كثيرًا منا ينقصه ذلك.

لكن من خلال الانطباع العام حول هذه الدورات أسجل هذه الملحوظات الشخصية:

❖ التدريب والسعي لتطوير النفس كلاهما مطلب مهم، ووعي الناس بالحاجة إليهما، واقتناعهم بالإنفاق على ذلك مظهر إيجابي.

❖ لا ينبغي أن ننكر ما لهذه البرامج من أثر إيجابي - مهما رأينا عليها من ملحوظات - ولا ينبغي أن نتجاهل ما فيها من ثغرات أو نعترض على نقدها لوجود جوانب إيجابية.

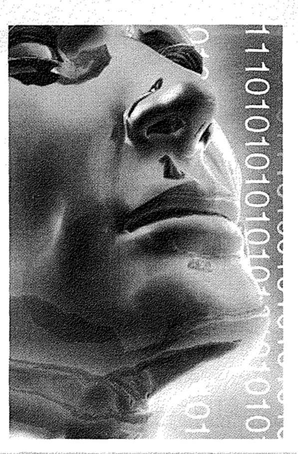
❖ مما يلحظ على هذه البرامج والدورات ما يلي:

- عدم وعي كثير من القائمين عليها بفلسفة التدريب، فالتدريب يعنى بإكساب مهارة أو تنمية اتجاه، وليس التدريب هو الخيار الأنسب لكل فكرة، فربما بعضها تناسبه المحاضرة وبعضها الكتابة...إلخ.

- كثير من هذه البرامج تعاني غياب المنهجية في التصميم التدريبي، فكثير من الأنشطة وورش العمل - على سبيل المثال - التي تستهلك جزءًا كبيرًا من البرنامج التدريبي ليست وظيفية، ويمكن إيصال مضمونها بصورة أفضل وأكثر إيجازًا في وقت أقل.

- غياب العناية بالتخصص، ودخول كثير من المدربين في غير تخصصهم، فهم يدربون في الإدارة، والتربية، وعلم النفس، والعلاقات الاجتماعية... إلخ.

- السطحية في كثير من المواد المقدمة، فمنها ما



ولاسيما الشباب، المهارات الأساسية التي يحتاجون إليها في حياتهم (مهارات في فهم الذات ومكوناتها وتقديرها والثقة بالنفس وحسن التواصل مع الغير والتغلب على العقبات وإدارة الوقت وإدارة المال والعلاقات الاجتماعية ونحو ذلك).

إن تطوير الذات مطلب حضاري جوهري أساسي لرقي المجتمع وتطور الدول، فالطالب يمكن أن يستفيد من تطوير الذات في كسب المعلومات والمهارات الدراسية والمعلم في المهارات التعليمية والزوج مع زوجته (والزوجة كذلك) في المهارات الزوجية والأسرية والإداري في المهارات الإدارية وهكذا كل فيما يحتاج إليه.

وهذا ما أظهرته الدراسات في البلدان الغربية التي أخذت تكثف من تعليم المهارات العملية في مناهجها الدراسية وتقلص من المعلومات النظرية غير الضرورية،

يدور حول فكرة واحدة تضخم، ومنها يعمم التجارب والآراء الفردية غير المنظمة، ويفتقر إلى المستند العلمي.

- ضعف إعداد كثير من المدربين، فغاية ما يملكه بعضهم حضوره لبعض الدورات والبرامج المماثلة، والطلاقة اللفظية، وهذا ليس بكاف في تأهيله، بل إن كثيرًا منهم يدرب من هو أكثر منه علمًا وأعمق فكرًا وربما في المجال نفسه.

- تأثير الجانب المادي بشكل واضح، فيزيد حجم المادة والوقت بما لا حاجة له، وقد يصل في بعض البرامج إلى الضعف أو أكثر، إذ السعر يتلاءم مع الوقت.

- تهميش الفكر والمعرفة، فالإفراط في التعامل مع الدورات التدريبية يقلل من اعتناء الأفراد بالقراءة والاطلاع، ولاشك أن المعرفة والعلم لهما أثرهما في بناء شخصية الإنسان بصفة عامة، ولهما أثرهما في تغيير شخصيته.

- تبسيط بعض الأمور المعقدة واختزالها في أفكار محدودة؛ فالنجاح يمكن تحقيقه من خلال إقناع الإنسان لنفسه داخليًا، والروح الإيجابية يمكن أن تصنع للإنسان المستحيل، والثقة بالنفس مفتاح التغيير...إلخ. ولا شك أن لهذه العوامل أهميتها التي لا تنكر، لكنها ليست هي كل شيء، فقدرة الإنسان على إدارة ذاته، وقدرته على اتخاذ القرار، وقدرته على توظيف المعرفة والتعامل معها، وامتلاكه لمهارات التفكير... إلخ عناصر لها أهميتها البالغة وهي ما لا يمكن تحقيقه من خلال مجرد دورات عاجلة.

- بناء الشخصية نتيجة للتربية، وهي تتطلب وقتًا وجهدًا ومنهجية، لكن كثيرًا من هذه البرامج تفترض تحقيق أهداف تربوية مهمة من خلال دورة يومين أو ثلاثة أيام.

- وجود مخالفات وتجاوزات شرعية في عدد من هذه الدورات.

ومع كل هذه الملحوظات، تبقى لهذه الدورات إيجابيات وفوائد لا يمكن إنكارها، ومما أدعو إليه في ذلك ما يلي:

❖ احترام التخصص وعدم دخول المدربين فيما ليس من مجال اختصاصاتهم.

❖ تحكيم هذه البرامج والدورات من قبل جهات علمية متخصصة.

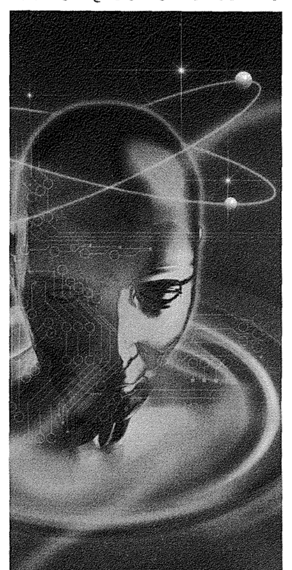
❖ وضع معايير وضوابط لهذه البرامج والدورات.

❖ اشتراط حد أدنى من التأهيل الشخصي للمدربين.

فمثلاً أظهرت بعض الأبحاث أن معدل الخلافات بين الطلاب في الفسحة قد انخفض بشكل كبير بعد أن وجد في المنهج الدراسي بعض المهارات النفسية الاجتماعية.

بعض طلابنا وطالباتنا يعرفون معلومات نظرية (في العلوم أو الرياضيات أو الجغرافيا...) قد لا يعرفها أساتذة الجامعات في الغرب، في حين تنقصهم أهم المهارات النفسية والاجتماعية التي يحتاجون إليها كل يوم في البيت والمدرسة والسوق...

انظر إلى سلوك الطلاب عند الانصراف من المدرسة أو عند التزاحم على بوفيه المدرسة (المقصف)، وانظر إلى سلوك الناس عندما يصطفون في طابور في البنك أو في المطار أو نحو ذلك، وانظر إلى سلوكهم في قيادة السيارات في الطرقات وهل تقع الحوادث بسبب



نقص معلومات أم (بقضاء الله تعالى طبعًا) بسبب نقص مهارات وضعف في تربية الذات.

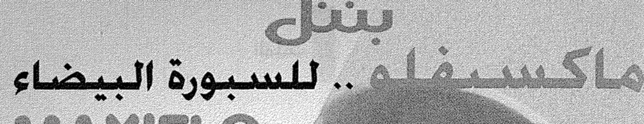
هل الدورات الموجودة مرضية بوضعها الحالي؟

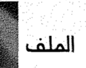
فيما يبدو لي أن الجواب هو (لا)، فالوضع غير منظم ولا يوجد تقييم لجدارة المدربين ومصداقية شهاداتهم وتخصصاتهم وقدراتهم التدريبية ولا للمحتوى الفعلي للدورة التدريبية فمن شاء درّب كيف شاء بالمعلومات التي يشاء وبالطريقة التي يشاء ويأخذ من جهود الآخرين ما يشاء وينسب إلى نفسه ما شاء ويوصي بما شاء ويحذر كيف شاء ولذلك تتبلبل أذهان بعض المتدربين أمام كثير من المعلومات وكيفية تطبيق بعض المهارات. ومما أوجد هذا الخلل عوامل عدة منها:

- كون الشهادات التي حصل عليها المدرب شهادات تجارية تمنحه مسميات علمية دون اختبارات اجتياز أو قياس كفاءة فحضور دورة أسبوعين يكفي للحصول على مسمى مدرب معتمد في كذا (دون اختبار).
- نقل كثير من المدربين معلومات غير دقيقة علميًا ينقلونها عن مدرب تجرأ على تخصصات لا يحسنها وخاض فيها بدون فهم.
- نقل كثير من المدربين عن الكتب المترجمة في مجالات تطوير الذات، وقد يكون في هذه الكتب أخطاء علمية بسبب بعد المؤلف عن التخصص أو بسبب سوء الترجمة أو بسبب خلل في فهم القارئ المدرب.
- كون الهدف لدى بعض المدربين وبعض المراكز هدفًا تجاريًا في المقام الأول، ومن ثم فالاهتمام بالنواحي العلمية وإفادة المدرب إفادة حقيقية لا تعطي الاهتمام المطلوب.

توجد دورات جيدة في محتواها وتنظيمها وفي قدرة مدربيها وبعضها يقدم مجانًا عن طريق بعض الجهات الخيرية (أو بسعر رمزي) وقد لاقت إقبالاً حسنًا وتستحق الثناء والإشادة والتشجيع.

وهناك دورات تحتاج إلى ضوابط وإشراف ومتابعة جهات ذات اختصاص لتطويرها وضمان تحقق النفع المرجو منها وانتفاء ضررها، ولاسيما الدورات التي لها بعد علاجي نفسي خصوصًا ما يتعلق بالتنويم الإيحائي فإنه سلاح ذو حدين قد يستخدمه من له أغراض سيئة في مصالحه الشخصية على حساب مصالح الناس وحقوقهم وأعراضهم. ■


بنتل
ماكسيفلو .. للسبورة البيضاء



قبل أن تلتحق بدورة تدريبية

بندر المحيميد * - الرياض

*ممارس متقدم للبرمجة اللغوية العصبية .

إنّ حرص الأفراد على تنمية ذواتهم وتطوير قدراتهم لم يأت من فراغ، وليست حمى أصابت وتصيب المجتمعات للنظر في كل وارد جديد أو أنه فراغ تشغل به الأوقات أو أنها أموال فاضت في أرصدة أصحابها فوجدوا في الدورات التدريبية متنفسًا لها، أو أنها في نظر شريحة من المجتمع علامة على مستوى ثقافي وصل إليه المتدرب. ليست هذه الأسباب هي الدافع لأكثر ولا لكثير من الناس نحو التدريب وإن كانت دافعًا لنزر يسير منهم.

إن الشعور بأهمية التدريب أمارة استيقاظ الأمة من غفوتها وزوال الغشاوة عن مستقبلها المشرق بإذن الله تعالى، لما أن يحس الفرد بمسؤوليته تجاه أمته وبمسؤوليته تجاه أسرته ومجتمعه يتحرك نحو تطوير نفسه ليرقى بها وبأسرته ومجتمعه وأمته ليضعها في مكانها الحقيقي الذي تنحت عنه زمنًا طويلًا.

إن شعور الفرد بأن المؤسسات الرسمية لم تقدم له شيئًا يتوق إليه ينمي قدراته ويرعى مواهبه قبل أن تضمر جعله يبادر هو لاستثمار ما يخشى زواله.

وإن رؤية الفرد لما يستورد من عقول تدبر شؤون المجتمعات الإسلامية جعله يشعر بشيء من الذل والدونية التي طالما انتظرها ترتفع ولم يورث انتظاره شيئًا يذكر فما كان منه إلا أن نفض الغبار ودفع المال ولو المستدان ليشعل جذوة نار تورث نورًا في مستقبل الأمة.

وأمام هذه النفوس الكبيرة يأتي من لم يفكر يومًا أن يغير من نمط حياته ورضي بالواقع الذي يعيشه والذي لم يستطيع هو فهمه ابتداء على حقيقته فضلًا عن أن يسلك طريقًا من طرق الإصلاح الحقيقي لهذا الواقع، يأتي ويجلب بخيله ورجله على هؤلاء الذين اعتنوا بأنفسهم وحملوا همّ أمتهم بنقد كنا نتمنى أن كان بناء ولكنّ في غالبه شحنات تفريغ خالية من النقد المنهجي البناء الذي يقبل بشروط. قابل هذه الهجمات الموجهة للتدريب والنفور عنه إقبال غير واضح الأهداف وغيرمدروس عامته ينصب في حقل المعرفة وطلب الكمال الفردي ثم المجتمعي. غير أن هذا الإقبال المحمود في أصله وغايته يحتاج إلى شيء من الوقفات التي لا يستغني عنها واقع التدريب حتى يبقى على هدفه السامي وتجنى ثماره اليانعة.

أولها فيما يخص المتدرب

وهو وضوح الهدف المرجو من كل دورة يقدم عليها، ويعرف موقعها من بنائه المعرفي والمهاري وهل هو يريد معلومة أو مهارة، فالأولى تحصل في دورة تعليمية والثانية في دورة مهارية والأخيرة هي المقصودة لكثيرين، ولكن اللبس يحصل فيها لعدم تفريقهم بين التعليم والتدريب، وأبرز الفروق بينهما:

- أن التعليم هو نقل المعلومة من المعلم إلى المتعلم بخلاف التدريب فإن المقصود منه هو نقل المهارة من المدرب إلى المتدرب، فمتى ما انقلب

التدريب تعليمًا استطاع المتدرب أن يقرأ هذه المعلومة وأضعافها من الكتب التي غالبًا لا تمنح مهارة بقدر ما تمنح معلومة وصار حضوره لهذه الدورة مجرد تحصيل معلومات جامدة والإنسان - كما هو معلوم -يسمع فينسى ويرى فيتذكر ويطبق فيتقن.

وعلى من أراد اكتساب مهارة أن يتأكد من كون الدورة تدريبية وذلك بمعرفة التالي:

١- عدد المشاركين فيها، فإن كثرة العدد تعيق المدرب غالبًا عن إجراء تدريبات وعن الإشراف عليها فبالتالي سيقتصر على سرد المعلومات لعدم كفاية الوقت للتدريب فالدورات الجماهيرية هي محاضرات لا دورات.

٢ - عدد ساعات التدريب وهل هي متوافقة مع المهارات التي يراد نقلها للمتدرب ؟

٣ - مدى امتلاك المدرب لهذه المهارة التي يقوم بالتدريب عليها.

٤ -مدى قدراته على إكساب المهارة ونقلها للمتدرب.

٥ - مناسبة المكان لإقامة التدريبات اللازمة لإتقان هذه المهارة.

- إذا تحققت من ذلك فالدورة التدريبية تستحق أن يمضي المتدرب فيها شيئًا من وقته وينفق فيها ماله.

وإن أراد الفرد دورة علمية لا مهارية له فحاجته غير ما ذكرنا.

فوضوح الهدف إذًا أمر مهم جدًا لتحصل الاستفادة من هذه الدورات بشرط أن يكون

كتب تطوير الذات :

اقرأ لتطير!

إبراهيم عبدالرحمن السحيباني - الرياض

لم أكن أتخيل في يوم من الأيام أن أقف- مشدوهًا- أمام عشرات، بل مئات الكتب حائرًا، ما الذي يجب عليَّ اقتناؤه، وما الذي أعتبره (حشوًا) لا فائدة منه!



عناوين براقة، ومواضيع تلامس حسًا داخليًا، وحاجة ملحة، لمن يرغب في تطوير نفسه بنفسه من خلال القراءة والاطلاع، بل وتمنّيه أن يخرج من هذه الكتب بشحنة طاقات كامنة، وسيطلق العملاق الذي يسكنه- حسب تعبيرها-!

تناولت كتابًا (مترجمًا) ترجمة حرفية، كمعظم كتب تطوير الذات، وقمت بتفحص قائمة المحتويات بداخله، وقرأت تقديم المؤلف، والمترجم، والناشر.. حقيقة ذهلت من هذا الزخم المعرفي (للقراءة الأولى) وما وعدنا به المؤلف من نتائج، وما حدثنا به المترجم من صعوبات في إخراج الكتاب ليتناسب مع بيئتنا المعاصرة، وأحسست- وقت ذاك- أني أمام وجبة (دسمة) من المعرفة، وزاد لن أجده في غير هذا



الهدف:

١ – محددًا.

٢ – مكتوبًا.

٣ – بصيغة إيجابية.

٤ – يمكن قياسه في نهاية الدورة.

ونتذكر دائمًا أن من لم يكن عنده هدف صار هو الهدف.

ثانيها ما يخص غالب مراكز التدريب.

نعلم جميعًا أن مراكز التدريب خاصة التجاري منها وأكثرها كذلك عندما ينشأ فإنه لن يستطيع أن يبني أهدافه بعيدًا عن كسبه المادي والذي يكون المستهدف فيه المتدرب لا غير.

فبالتالي نسمع عن لقاءات اليوم الواحد وإن شئت فقل لقاء الساعتين فإن كان بمقابل فهو في غالبه تسويق أو إن أحسنا الظن فهو محاضرة عامة يستغني الفرد عنها بما هو خير منها، فالمعلومة لم

الكتاب!

ابتعته على عجالة، وبدأت بتصفحه في المنزل، ومن ثم قرأته قراءة متأنية، وبدأتْ تظهر ملامح المشاكل المندثرة بين ثنايا السطور، وانكشف المستور. وحتى لا يكون الحكم عشوائيًا، ومتحيزًا، ومبنيًا على كتاب واحد، اشتريت عدة كتب لعدة مؤلفين مختلفين، ودور نشر متباينة، ومترجمين متفاوتي الجودة أيضًا.

لاحظت أن هذه الشاكلة من الكتب (الكتب المترجمة ترجمة حرفية) تقع في شرك مشاكل لا تستطيع الخلاص منها ما دامت تعيش ذات المسيرة الإنتاجية (التجارية) وذات طريقة الترجمة، والإخراج.

تكمن المشكلة الأولى في الترجمة ذاتها، واختلاف المعنى جذريًا بين نص بلغة إنجليزية- مثلاً- وبين ترجمة حرفية له، وحتى لا أكون متحيزًا- كذلك- قمت بالرجوع لأصل ما تُرجم، وقرأت عدة مقاطع أصلية، وأخرى مترجمة (لعدة مترجمين) وكان التباين كبيرًا، وواضحًا بل في بعض الترجمات فقد ما مقداره ٦٠٪ من أصل المعنى، بسبب الترجمة الحرفية.

كانت المشكلة الثانية- وهي لا تقل أهمية عن سابقتها- في إجابة السؤال: (هل ما يطرح في المجتمع الغربي مناسب- بشكل عام- أن ينشر ويسوق له في وطننا العربي على هيئته الغربية دون «تعريب»؟).

بعيدًا عن الخوض في غمار البعد الديني للمسألة، والرسائل المبطنة في مثل هذه الكتب، والداعية إلى تعزيز معتقد معين، وطمس هوية أصل من الأصول الثابتة لدينا، بعيدًا عن هذا كله، (لا لشيء إلا لسهولة تنقية المادة العلمية من مثل هذه الشوائب، ومن السهل جدًا تمييز الخبيث من الطيب لأقل الناس معرفة بثوابت الإسلام)، تأملت في طبيعة المعيشة الغربية، نمط الحياة، أسلوب العمل، الجو العام، والبيئة المحيطة بذلك كله، وتناسبها مع المكتوب، وكان تناسبًا كبيرًا، ومحفّزًا على ذلك. بل ومعينًا على تطبيق البرامج التدريبية كاملة، وإقامة ورش العمل لذلك، والعمل على تبني الأفكار المطروحة، والأهم من هذا كله: توافق المبدأ مع أسلوب الحياة توافقًا

يكن الوصول إليها في زمن متيسرًا كما هو الواقع في عصرنا هذا.

وإن كان لقاء الساعتين بلا مقابل فهو في غالبه يسلك مسلك الإثارة تشويقًا وتسويقًا لما بعده من دورات.

وانظر من جهة أخرى إلى عناوين بعض الدورات والتعريف بها تجد أمورًا خارقة تجعل الضحية سهلة المنال المنخدعة ببريق تلك العناوين وروعة تلك الأهداف التي سيحققها في هذه الدورة، ثم هو يصطدم بواقع هذه الدورة - إن عاد إلى وعيه- وإن لم يعد إلى وعيه فإن المدرب ما زال يشعره بتحقق كل ما قرأ حتى يصطدم يومًا بواقعه هو وأن جزء كبيرًا مما قرأ كان ضربًا من خيال وسرًا غابت شمسه.

ثالثها مايخص المدرب

ما زلنا معترفين ـ أيا المدرب القدير ـ بسعيك لتطوير مهاراتك وقدراتك ونقر ببذلك مالك وجهدك ما يجعلنا نشكر ذلك لك ويفرض علينا تقديمكم لنفض الغبار عن قدرات كامنة في أمة المليار، غير أنه أفسد عليكم قوم جعلوا كل ما اكتسبوه من مهارات وقدرات أداة كسب وتحصيل لأموال المتدربين بأي طريقة، فهي لا تعوزهم فعندهم من مهارات التفكير والإبداع والاتصال بالآخرين وقدرة التأثير عليهم ما يجعل ذلك سهل المنال.

فنجد لقاءات التسويق الشريك الأكبر. ونجد تلك الأوصاف والألقاب التي تمنح للمدرب بدءًا من الإعلان عن الدورة وفي ثنايا الدورة ينصب جل الحديث فيها عن ذلك المدرب العظيم في مدح وإطراء للنفس مما يجعله منبوذًا من جهة ولكن أين المفر وقد أخذ يتلاعب بعقول ومشاعر المتدربين، ويمنيهم ذلك الشعور بأنهم سيكونون مثله في يوم ما ولا نجد لذلك سبيلًا لا في مادة علمية مقدمة مطبوعة - إذ إنها رأس مال المدرب

كبيرًا يجعل من مادة الكتاب منارًا لمن أراد السير في هذا الطريق، بتميز.

بطبيعة الحال، ما يطرح هناك لا يعني بالضرورة أن يناسب البيئة التي نعيش، أو أسلوب الحياة، ثمة معطيات تاريخية جعلت منا قومًا لهم طريقة حياة مختلفة تمامًا- مختلفة، لا تعني بالضرورة متخلفة.. بل الاختلاف هنا اختلاف تنوع أكثر من كونه اختلاف تضاد- وعليه، (قد) لا تتناسب تلك البرامج مع ما نعيشه، ونخوض غماره في كل يوم.

ونحن هنا نتكلم عن التطوير الذاتي للشخص، لا تطوير المؤسسات، والحديث عن هذه المؤسسات وتطويرها ذو شجون، وتطبيق مبدأ استعارة الفكرة من الغرب أمر يصعب- لا يستحيل- في ظل تخلف عدد كبير من المؤسسات الخدمية بأساسات المهنة، فكيف بشكلياتها؟

وأمر آخر، يعزز هذا الحديث إلى حد كبير: كيف أدير أولوياتي- بناء على قراءة كتاب عن ترتيب الأولويات- وأنا أجهل أهدافي، فضلاً عن أولوياتي كي أرتبها! وإن كان حديثي يحمل نظرة متشائمة، فهو بلا شك يحمل النظرة الواقعية من الجانب الآخر، ويسعى جاهدًا للموازنة قدر المستطاع.

جانب ثالث يعيب هذه الكتب ويجعل منها مادة تسويقية لا أكثر: حشو الكلام المفرط! بل في بعض الكتب لم أخرج بفائدة أكثر من قراءتي لعناوين الموضوعات في فهرس الكتاب.

في المقابل تمامًا، نجد محاولات عربية لإصدار كتب تتناول تطوير الذات من داخل المجتمعات العربية/ الإسلامية، محاولات خجولة، تفتقد في الأغلب الأعم منها التجديد في الطرح، في طريقة العرض والإخراج، وتفتقد أيضًا المادة العلمية المؤصلة- دراسات كانت أو استبانات واضحة ومحددة- ولكنها تبقى- على أقل تقدير- أفضل بمراحل من تلك الكتب المترجمة ترجمة حرفية، لملامستها الواقع العربي وما يحتوي، وقراءتها للبيئة قراءة سليمة صحيحة خالية- غالبًا- من الشوائب.

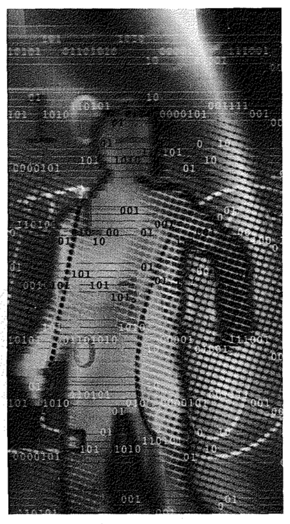
قسم ثالث من هذه الكتب، قد يكون هو الأكثر تميزًا- من وجهة نظري- لجمعه الحسنيين، وخروجه برؤية مغايرة، وطريقة مبتكرة في العرض، والطرح. (الكتب المترجمة بتصرف)، انتهج أصحاب هذا الخيار قراءة الكتب المراد ترجمتها بلغتها

فكيف يبث فيها كل ما عنده - ولا في أسلوب التدريب.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن كثيرًا من الألقاب الممنوحة لبعض المدربين تنصب في كونه يحمل شهادات كذا وكذا - من الدورات- ونعلم جميعًا أن أكثر الدورات تمنح فيها شهادات حضور لا شهادات اجتياز!

ومما يوصف به البعض أنه عضو في جمعية كذا وجمعية كذا وينبغي أن يعلم أن بعض الجمعيات يقتصر كون الفرد عضوًا فيها على بعض المطبوعات التي تصل بين الفرد والجمعية ويلزم أحيانًا لعضوية بعض الجمعيات اشتراك سنوي بثمن بخس دراهم معدودة.

وأحيانًا يوصف المدرب بأوصاف عامة يصعب فهمها والتعامل معها مثل (خبير في........) قدم عددًا من الدورات، شارك في كثير من الندوات، حضر كثيرًا من الدورات ......إلخ مما يخدع



كثيرًا من الناس ممن لا يفهم أن التجارة إبداع ومهارة.

هذا كله وغيره جعل بعض من حضر هذه الدورات وأخذت أمواله بلا مقابل يستحق - ناقمًا عليها فلا تجده إلا يتهم الجميع بجناية البعض الذي يتحمل تبعات صدود عدد من المتدربين عن الدورات المهارية التي لا ولن تستغني الأمة بمجموعها عنها.

ومثل هؤلاء دنسوا شرف التدريب ورسالته العظيمة، ونقول لهم: بإبداعكم وأموالنا أصلحوا ما أفسدتم.

وعندما تقول مراكز التدريب: إن التدريب للتدريب والمال تبع ويعلنها صريحة ذلك المدرب بلسان حاله قبل لسان خطابه. حينها ترقى الأمة وتسمو بأفرادها الذين حملوا همها وراحوا هنا وهناك يستثمرون ما أودع الله فيهم من أسباب القوة. ■

الأصلية، وإعادة كتابتها من جديد بصورة مناسبة للبيئة التي نعيش، بعد فهم لمضمون تلك الكتب، وصياغة المادة العلمية بأسلوب المترجم، وإضافته، وحذفه، وتجاوزه، وتحويره لبعض المعاني في سبيل خدمة الفكرة العامة، وما إلى ذلك من المهارات الكتابية الأخرى.

أظهرت لنا مثل هذه الكتب شيئًا من القدرة الخاصة للمترجمين، وأعطت المترجم فرصة لكتابة رأيه، وتعليقه، وحذفه، وتعديله، وتجاوزه أيضًا.. وأبرزت أثره على ما كتب، وبانت لمساتهم الخاصة على ما ينقلون، بعيدًا عن نقل الجمل بما حمل، خيرًا كان أو شرًا، بل كانت مهمتهم تنقية ما ينفع الناس، وترك الزبد يذهب جفاءً.

يبقى السواد الأعظم من الكتب المتوفرة في المكتبات لتلك المترجمة ترجمة حرفية، لأسباب تسويقية في الغالب، وإعلامية في جانب آخر، ويبقى الفرد العادي مخدوعًا بمثل تلك العناوين والأغلفة الجذابة، وتبقى الحكمة ضالة المؤمن، ويبقى الخيار بيد القارئ وحده. ■



البرمجة اللغوية العصبية .. أصول مشبوهة و ..

تبيع الوهم بالصحة للمرضى وتبيع الوهم بالتميز للأصحاء!!

د. فوز عبداللطيف كردي* - جدة

* باحثة في مجال العقيدة والوافدات الفكرية الفلسفية - كلية التربية للبنات .

تشكل دورات البرمجة اللغوية العصبية بالنسبة للمهتمين بالتربية والتعليم أمرًا مهمًا إذ تخرج إعلاناتها كل يوم وهي تحمل لهم أمل تحقيق مرادهم من الإيجابية والفاعلية والهمم الوثابة العلية في المؤسسات التربوية وبين المعلمين والمعلمات والمشرفين والمشرفات والطلبة والطالبات؛ لذا أقبل عليها كثيرون منهم ونادوا بالانخراط في دوراتها وممارسة تدريباتها، بل وامتهن كثير منهم شخصيًا مهمة التدريب عليها والاتجار بها.

ومع أن مجموع المتدربين لم يتحولوا إلى مميزين في مجالاتهم كما كان الأمل، فلم يثروا المجتمع بإبداعاتهم، ولم يزدد عدد النابغين من الطلبة، ولم يبدع جماهير المعلمين والمعلمات ممن التحقوا بهذه الدورات في تعليمهم وطرائق تربيتهم، ولم يتواصل المديرون والمديرات بكفاءة أكثر مع الطلاب أو الموظفين لديهم، إلا أن تجار دورات البرمجة اللغوية العصبية استمروا في تقديمها ودعم اعتمادها ضمن البرامج التدريبية لمنسوبي وزارة التربية والتعليم!

لذا كان لابد من دراسة برامجها وأصولها وتقييم مخرجاتها والتأكد من صدق ادعاءاتها، وقد تولى ذلك فريق من المهتمين بالوافدات الفكرية الفلسفية فأجروا أبحاثًا علمية ودراسات تتبعية استقرائية كشفت ومازالت تكشف كل يوم عن أنواع من المخاطر المتخفية خلف المنافع المدعاة، وتبرز أسباب الافتتان بهذه الدورات والوهم السائد بنفعها، وقد يسر الله - بفضله ومنه - لكاتبة هذه المقالة ظروف متابعة البرمجة اللغوية العصبية وبحث أصولها وجذورها ودراسة مضامينها وفلسفتها، وفحص مخرجاتها وادعاءاتها ومتابعة حقيقة ما يجري في كثير من دوراتها، وجلسات العلاج بها. وهذه المقالة تمثل موجزًا في بيان حقيقتها أكتبها لمثقفي الأمة والمهتمين بالتربية والتعليم فيها عبر منبر (مجلة المعرفة) الأغر، وهو موجز يشتمل على بعض النتائج البحثية المهمة حول موضوع البرمجة اللغوية العصبية لتعريفهم بخفايا هذا البرنامج التدريبي وحقيقته.

إن البرمجة اللغوية العصبية جزء لا يتجزأ من منظومة تضم عشرات الطرق والتقنيات لنشر فكر حركة «النيو ايبج» (New age Movement) فهي طريقة عملية مبطنة لنشر «فكرهم العقدي وفلسفتهم الملحدة» في قالب جذاب وبطابع التدريب والتطبيق والممارسة الحيوية لا طابع التنظير والفلسفة والدين، لذا فالخطر في «البرمجة اللغوية العصبية» لا يكمن في كونها وافدة من أفراد مشبوهين فقط، بل لأنها تحمل فلسفاتهم وعقائدهم المنحرفة وتدرب عليها، كما أن فرضياتها التي تعامل كحقائق ومسلمات ما هي إلا مجرد ظنون وتخرصات مزجها المدربون بنصوص وقصص تاريخية اشتبهت في ظاهرها بظاهر تلك الفرضيات التي ليس لها مصداقيات إحصائية، وليست نتائج لأبحاث علمية أو دراسات نفسية معتمدة مما يجعل تطبيقها على الناس وتدريبهم عليها يشكل مخاطرة ومجازفة غير محمودة العواقب، ومن وجه آخر فقد مزجت في

تقنياتها بين التدريبات الإدارية والمهنية وبين الطقوس السحرية والطرق المشتبهة في برنامج متكامل متدرج المستويات.

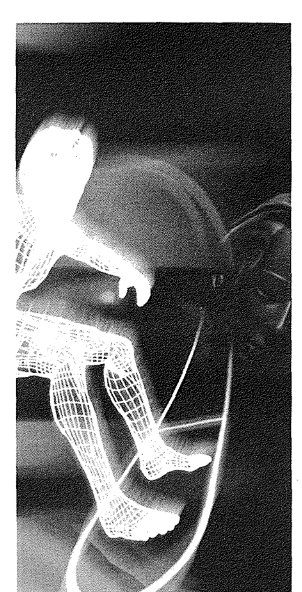
وتعتمد فلسفة البرمجة اللغوية العصبية الأصيلة على فلسفة (الإنسانية) أو الأنسنة التي تسعى تطبيقاتها إلى تنمية ما يعتقدونه من القدرات البشرية للوصول إلى ما يسمونه (الإنسان الكامل) صاحب القدرات الخارقة في التأثير، وقد مثلت هذه الفلسفة في العصر الحديث توجهًا قويًا في الغرب، تبناه فلاسفة ومفكرون بصور شتى، وظهرت لنشره بين الناس عدة جمعيات أبرزها ما كان في القرن التاسع عشر الميلادي متمثلاً في حركة «النيو ثوت» (New Thought) التي أتى بها «فيناس كويمبي» ثم تلتها جمعية «الثيوصوفي» (Theosophy) في نيويورك التي أسستها «مدام بلافاتسكي»، وأخيرًا حركة «النيو ايبج»، وحركة «الوعي» التي خرجت من معهد (إيسلان) بكاليفورنيا محضن فكر الثيوصوفي الباطني، و«حركة القدرة البشرية الكامنة» (Human Potential Movement) بريادة «كارلوس كاستنيدا» ومؤسسي معهد إيسلان «مايكل ميرفي» و«ريتشارد برايس»، وقد تبنى رواد ذلك المعهد البحث في قوى الإنسان الكامنة وخوارق الأفعال والتأثير، واعتنوا بتتبع العقائد والطقوس والفلسفات التي تحرر هذه القوى من إسار المعتقدات الدينية (غير العقلانية بتعبيرهم ويقصدون السماوية القائمة على التسليم للوحي)، كما اهتموا بابتكار طرق لنشر فكر روحاني (spirtituality) يكون بديلاً عن الدين (Religion) بين العامة والخاصة بحيث يلبي حاجاتهم إلى الدين دون أن يشتمل على عقائد الدين وتعاليمه، وبمنهج جديد لا يصادم الدين السماوي ويواجهه وإنما يداهنه ويزاحمه، ويوجه نصوصه وتراثه المعرفي بطرق باطنية لكي يتوافق مع ما تدعو إليه الحركة من التدريبات الجماهيرية والتطبيقية مباشرة المشتملة على الفكر والمعتقدات الباطنية.

وقد كشفت الدراسة العلمية التتبعية لمؤسسي البرمجة اللغوية العصبية ومن بنيت البرمجة اللغوية العصبية على أفكارهم وممارساتهم، بل وغالب على من بقي من ناشريها أنهم إما غنوصيين أو بوذيين أو أتباع طائفة النيو إيبج والشامانية، فجميع المؤثرين في إنشاء البرمجة وتطويرها أصحاب توجه فلسفي باطني قبل أن يكونوا مبرمجين أو مطوري برمجة

وقد كشفت الدراسة العلمية التتبعية لمؤسسي البرمجة اللغوية العصبية ومن بنيت البرمجة اللغوية العصبية على أفكارهم وممارساتهم، بل وغالب على من بقي من ناشريها أنهم إما غنوصيين أو بوذيين أو أتباع طائفة النيو إيبج والشامانية، فجميع المؤثرين في إنشاء البرمجة وتطويرها أصحاب توجه فلسفي باطني قبل أن يكونوا مبرمجين أو مطوري برمجة، وما تبنيهم لها وإسهاماتهم في إخراجها إلا لكونها بتقنياتها وفرضياتها طريقة لنشر أفكارهم وقالب لبث فلسفتهم في ساحة العامة لا في ساحة العلماء، وبطريق المزاحمة المتدرجة لا المواجهة والمصادمة، وبطريق التدريب والتطبيق والممارسة لا بطريق التنظير والفلسفة.

أما من ناحية مضامين البرمجة ومحتوى برامجها فإن البحث العلمي أثبت اشتمالها على أمرين مهمين:

الأول: برنامج انتقائي (eclectic) يضم مجموعة من الفلسفات والنظريات والفرضيات من علوم شتى إدارية ونفسية ولغوية ودينية مع بعض الممارسات والتقنيات لمجموعة من الناجحين بمنظور غربي (منهم ناجحون في السحر والشعوذة والنفاق اللغوي). فمن هذه المجموعة المنتقاة تطبيقات مأخوذة (ومنتحلة) من فروع العلم الأخرى كعلم النفس السلوكي والمعرفي وشيءٌ من الإدارة والعلاج النفسي وغيرها، وعلى هذا فالبرمجة تشمل بعض التقنيات السلوكية الصحيحة لابد منها لإكمال البرنامج ليست من أصلها ولا من ابتكارها



وإبداعها، وإن ظن ذلك كثير من المفتونين بها! صرح بهذا في الغرب كبار روادها، وذكره المدرب (ودسمول) فقال: «ليس في البرمجة شيء جديد». بينما تجد - للأسف - في واقع المتدربين والمدربين من يظن أن كل مهارات الإيحاء برمجة عصبية، وكل نجاحات التربية والتواصل برمجة عصبية، وكل علاج نفسي صحيح برمجة عصبية، وكل مهارة في حل المشكلات برمجة عصبية، وكل مهارات التحفيز برمجة عصبية، وكل فنون الإقناع والتأثير برمجة عصبية، وكل تفكير تفاؤلي إيجابي برمجة عصبية!! بل وكل خير جاء به أحد من البشر برمجة عصبية، حتى ادعى بعضهم أن رسالة خير المرسلين إنما هي برمجة باندلر اللغوية العصبية!! مع أن الفرق بين هذه الأمور وبين البرمجة اللغوية العصبية في الحقيقة هو الفرق بين الحقيقة والزيف.

الأمر الثاني: فلسفة «الوعي الجمعي» وهي صورة مطورة لفلسفة «العقل الكلي» وتطبيق جديد لعقيدة «وحدة الوجود». والظاهر الذي تعرض به هذه الفلسفة ملخصة: أن مجال التطوير والنجاح للإنسان يتم بفاعلية أكثر عن طريق بوابة واسعة تتعدى العقل وإمكانياته المحدودة، وتتجاوز سيطرته على الجسد وقدرته إلى قدرات اللاوعي، حيث يمثل اللاوعي في معتقدهم ٩٣٪ من العقل، بينما الوعي المنتبه «العقل» لا يتجاوز ٧٪ بزعمهم، لذا يرون أهمية الدخول في حالات الوعي المغيرة بالتنويم أو التركيز وقوة التخيل أو التنفس العميق للاتصال بـ«اللاواعي» بهدف إطلاق قوى النفس الكامنة ومخاطبة العقل الباطن والاتصال من خلاله بالوعي الجمعي ليصل الإنسان إلى النجاح والتميز، ويستطيع تغيير واقعه ومستقبله حسبما يريد.

مع أن ما يسمى العقل الباطن أو «اللاواعي» لا يعدو كونه فرضية، وهذا لا يعني أنه غير موجود، وإنما يعني أن هناك عدة ظواهر لم يستطع العلم حتى الآن تفسيرها تفسيرًا دقيقًا، وقد يكون وراءها أكثر من أمر، وجمعها كلها وإطلاق لفظ «عقل باطن» أو «لا واعي» عليها مغالطة علمية مرفوضة عند العلماء، وعند المسلمين منهم هي فرضية مرفوضة بشدة بهذا التجميع، حيث يحتوي القاموس الإسلامي على مصطلحات كثيرة منها (العقل، القلب، الفؤاد، النفس بأنواعها، قرين الجن وقرين الملائكة، الشيطان...) وغيرها مما يجعل عزو الأمور كلها إما إلى عقل «واعي» أو «لا واعي» فقط جهل ومغالطة يرفضها الذي يتربى على قول الله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم. ولعل من الطريف إيراد هذا التساؤل الذي أوردته الأستاذة غادة الفارسي من الكويت - مدربة سابقًا على البرمجة والطاقة - في كتابها (علوم العقل الباطن تحت المجهر - تحت الطبع -) فتقول: «هل العقل الباطن هو خنزب؟». والباعث على تساؤلها موقف تدريبي تحكيه فتقول: «قال لنا المدرب المسلم المتبني لهذا العلم في إحدى الدورات: إن الصلاة هي مرحلة استرخاء يعمل فيها العقل الباطن بقوة لذلك يستطيع الإنسان خلال الصلاة أن يتذكر أمورًا كان قد نسيها!! بينما المصطفى

صلى الله عليه وسلم يفسر هذه الظاهرة بأنها من فعل: «خنزب الشيطان الذي يأتي للإنسان ليشغله عن الصلاة. فهل العقل الباطن هو خنزب؟».

ومن هنا فنقد مضمون برنامج البرمجة اللغوية العصبية نقدًا تفصيليًا ليس مقصودًا عند من يعرف كونها برنامجًا انتقائيًا يضم تقنيات صحيحة لتشكل غطاء لأصله وحقيقته، وقد أكد هذا فضيلة الدكتور عبدالعزيز النغيمشي أستاذ علم النفس والمهتم بالتأصيل الإسلامي في معرض تقييمه للبرمجة اللغوية العصبية: «ومن المخاطر: كون النقد الموجه للبرمجة اللغوية العصبية ليس للمحتوى، وليس نقدًا تفصيليًا فقط، فلو كان كذا، لأمكن تصفيتها، وإنما الخطورة في كونها برنامجًا متكاملاً»، فهي برنامج متكامل وراءه أهدافه ومقاصده البعيدة ليس تجاه الإسلام فقط بل تجاه جميع الأديان السماوية.

فالحقيقة أن البرمجة اللغوية العصبية ليست (علمًا) ولا (فنًا) على الحقيقة، وإذا رغب أحد في تسميتها بهذا أو ذاك فلابد أن يضيف كلمة (باطني)، فهي علم باطني (إيزوتيريك) (Esoteric) والجامعة الغربية التي اعتمدتها في برامجها هي جامعة أميركان باسيفيك (American Pacific University) المتخصصة في العلوم الباطنية.

وإذا أردنا أن ننظر للبرمجة من زاوية بحثية أخرى فنفحص الادعاءات الكثيرة التي تملأ (بروشورات) الدعاية لها ويرددها كثير من المدربين في دوراتهم، وننظر في واقع المخرجات لدى أكثر المدربين والمتدربين سنتبين بوضوح أنه لا صحة لتلك الوعود الكثيرة التي محصلتها أن البرمجة بتقنياتها المطورة قادرة على تغيير البشر إلى نسخ (منمذجة) من المتميزين والعظماء!

ولهذا كان تقويم «البرمجة اللغوية العصبية» بالتأكد من صحة الادعاءات مهمة جادة قام بها عدد من العلماء والجهات المسؤولة في الغرب. وأكدوا في تقاريرهم عنها على كذب ادعاءاتها والإشارة إلى أن غاية ما تفعله البرمجة إنما هو بيع الوهم بالصحة للمريض والوهم بالتميز للأصحاء، ووجهوا انتقاداتهم لها ولغيرها من برامج (النيو ايج) من منطلق العقل فقط، ومن تصريحاتهم في زيف البرمجة ما ذكره الدكتور (مايكل هيب) عالم النفس السريري بجامعة شفيلد البريطانية الذي قام في عام ١٩٨٨م بتقييم سبعة وستين بحثًا علميًا مقدمًا في مفردات البرمجة اللغوية العصبية، وختم جهده بقوله: إن البرمجة اللغوية العصبية تفتقد إلى الأدلة الموضوعية لإثبات ادعاءاتها، وأن البحث التجريبي المقدم في هذه البحوث فشل في دعم فرضياتها.

وكذلك الدكتور (رشلي كرابو) أستاذ علم النفس بجامعة «يوتا» بأمريكا الذي صرح بأنه كان من أوائل المهتمين بالبرمجة اللغوية العصبية نظرًا للادعاءات الكبيرة التي صاحبت ظهورها، وأنه أجرى العديد من البحوث في مجال تقييم ادعاءات البرمجة اللغوية العصبية وكان متحمسًا لها ثم تركها تمامًا سنة ١٩٨٦م، وأعلن فيها رأيه الأخير سنة ٢٠٠٣م



فقال: «لقد وجهنا لذلك الوليد (البرمجة اللغوية العصبية) غاية الاهتمام حتى سنة ١٩٨٦م عندما حوكم مؤسس هذا العلم باندلر (أبو الوليد) في قضايا القتل وترويج المخدرات والقوادة، عندها ألقينا بالوليد مع المغطس».

والمخرج الظاهر بوضوح من وراء دورات البرمجة هو ازدياد أعداد المدربين المبرمجين وازدياد سوق التنافس بينهم، وانتشار الخلاف بينهم بحسب المدارس التي ينتمون لها والمدربين الكبار من الكفرة والسحرة لهم (تاد أو ود أو انتوني...) بالإضافة إلى انتشار أدعياء الطب بالبرمجة وأخواتها وتقنياتها المتنوعة كالعلاج بخط الزمن والطاقة وغيره مما سبب فوضى كبيرة، وأعداد المتضررين تحتاج إلى دراسة ومتابعة من المسؤولين.

فهل يسوغ لنا أن نتغاضى عن ضرر المخرجات الحقيقية المجتمعية العامة، ونقوم البرمجة العصبية بناء على وجود بعض جوانب إيجابية مزجها مؤسسوها بحقيقتها! هل نقومها على أساس أن هناك من انتفع بدورة في البرمجة اللغوية العصبية أو معالجة بها! أو لعله توهم أنها السبب في الانتفاع الذي حصل له؟! فالأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أن الشيطان زين لهم نسبة الأثر إلى ما لا يؤثر نوعًا ولا وصفًا؛ فنسبته إلى وصف قد ثبت تأثير نوعه أولى أن يزين لهم»، ولذلك نادى كثير من الفضلاء بضرورة الانتباه للأمر ودراسته دراسة وافية عبر ساحات متنوعة للمعرفة، ومن هؤلاء الشيخ محمد العوضي في مقالته (الـNLP دجل أم حقائق)، وفضيلة الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي الذي أكد خطورة البرمجة اللغوية العصبية ومبادئها الفلسفية الثيوصوفية.

وفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود الذي صرح بضرورة إيقاف هذه الدورات التي تصرف الناس عن هدي الدين الحق إلى تطبيقات ظاهرها النفع ونهايتها فلسفات الإلحاد، وفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي الذي خطب محذرًا من البرمجة اللغوية العصبية وأهدافها الخبيثة البعيدة. والدكتور طارق الحبيب الذي نادى وزراء الصحة العرب بمتابعة الأمر.

وأذكر في الختام بأن السبيل الأمثل والأصلح

ولهذا كان تقويم «البرمجة اللغوية العصبية» بالتأكد من صحة الادعاءات مهمة جادة قام بها عدد من العلماء والجهات المسؤولة في الغرب . وأكدوا في تقاريرهم عنها على كذب ادعاءاتها

لتطوير قدرات الناس ودعوتهم إلى التفاؤل والإيجابية وتعليمهم طرق التواصل والفاعلية ومعالجة الأخطاء والأساليب التربوية يكون بدراسة متخصصة للاحتياجات، ثم تصميم للبرامج والدورات من منهج ديننا الأسمى ومن ميراث النبوات لأمن ضلالات السحرة والكهنة، فمنهج الكتاب والسنة بحق هو أصلح منهج لتزكية النفوس وللدعوة والتفاؤل والإيجابية والمبادرة، وخير منهج لتربية الأبناء وفنون الإلقاء والتواصل والاتصال وسائر منافع الحياة المتعلقة بالنفس، فالمجال التربوي غني بالأساليب والطرائق الثابتة بالنقل والعقل التي أبهرت نتائجها العالم يوم كان المسلمون روادًا يحملون بكل اعتزاز وفخر دينهم ومصادر عزتهم ليعلموا الناس هدى نبيهم، ويسوسونهم ويزكون نفوسهم بمنهج الكتاب والسنة، ومن العجب أن يُدعى الناس إلى الطرق المشتبهة المجهولة وبين أيديهم تراثهم الغني بالمحكمات!

لذا أدعو في الختام الإخوة والأخوات المروجين لهذه الدورات والمغترين بها إلى الوقوف ومراجعة الأمور وسماع التحفظات والملاحظات حول البرمجة وغيرها مما دخل إلى بلادنا تحت ستار التدريب والتنمية البشرية، وعدم الاعتزاز ببعض الجوانب الإيجابية أو المنافع الظاهرة أو المدعاة لهذه التطبيقات لكون الأمور فيها متلبسة متلونة محبوكة النسج ممن حلف بعزة الله ليقعدن لنا صراط ربنا المستقيم.

والله أسأل أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، ويجنبنا وبلادنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه سميع مجيب.■

حضرت دورة توني روبنز و.. اتخذت القرار؟!

المقال: Altered States
الكاتب: Dave Barry
المصدر: كتاب 'Dave Barry Is Not Making This Up'
عرض: إيمان عبد الرحمن.

لماذا يكبر هذا الطفل ليصبح مجرد شخص عادي، ممل، متوسط الأداء، نكرة من الناس - بدون مؤاخذة- مثلك؛ بينما طفل آخر يكبر ليصبح ثيودور روزفلت، الأم تيريزا، دونالد ترمب، والملك أتيلا الهوني.

هل هو الحظ؟ هل هي الجينات؟ هل درّس السيد والسيدة الهوني أتيلا الصغير درسًا سريًا وضعه على الطريق ليصبح رقم واحد؟ أو هل النجاح شيء يمكن أن يحققه أي أحد، حتى لو متأخرًا في الحياة، إذا كنا على استعداد لأن نعمل بجدية، ونستعمل خيالنا، ونتعلم من أخطائنا، ونحافظ على موقف عقلي إيجابي- وفوق ذلك كله- ندفع مالاً لحضور دورة؟

هذا ما قررت أن أكتشفه بعد أن قرأت إعلانًا يحتل صفحة كاملة في جريدة ميامي هيرالد يعلن عن دورة النجاح ١٩٩٧ لبيتر لوي- وهو حدث يستمر ليوم كامل سيكشف لنا، وفقًا للإعلان- «آخر الاستراتيجيات للنجاح في العمل والحياة الخاصة» هذا عدا أنه «سيدفع بحياتك إلى آفاق جديدة». كانت هناك شهادات من حضور الدورة الراضين، منها واحدة تقول: «سوف تحصل على حماس كامل جديد لتعمل وتعقد علاقات مع الزبائن».

ضرب هذا وترًا حساسًا عندي لأنني لم أملك أبدًا أي مستوى من الحماس للعمل وعقد علاقات مع الزبائن. فعندما كنت صبيًا كان على والديَّ أن يبتاعا جميع حلوى فريق «ليتل ليج» مني لأنني كنت أكثر خجلاً من أبيعها متنقلاً من مبنى لآخر. كشخص راشد كل الاتصال الذي أقوم به هو عندما يخبرني شخص في جريدة ميامي نكتة أمسك فورًا بالهاتف وأرويها لصديقي جين وينجارتن في جريدة الواشنطون بوست، الذي يخبرني عندها أنه سمعها من قبل.

لذا اعتقدت أن دورة النجاح ١٩٩٧ لبيتر لوي قد تفيدني. فالإعلان يقول:

«الناجحون يركزون على الفوز. الفاشلون يركزون على اجتياز الحياة. قد تستطيع أن تجتاز الحياة إذا لم تحضر دورة النجاح ١٩٩٧ لبيتر لوي ولكن ألا تريد أن تكون هناك مع الناجحين؟».

وهكذا وجدت نفسي أصل إلى ميامي أرينا قبل الثامنة بقليل في صباح يوم ثلاثاء في شهر مارس لأبدأ يومًا كل ما يقال ويؤدى فيه سوف يصبح تجربة تحول حقيقية إذا كنت تعرف «التحول» بأنه «يمتد امتداد الحرب الكورية ولكن في بعض الأحيان أعلى».

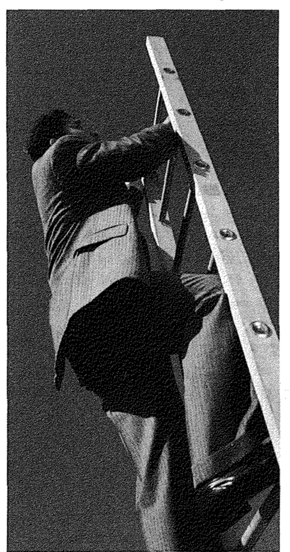
أبرزت تذكرتي التي حصلت عليها عن طريق الاتصال برقم مجاني (حيث يجيب على اتصالك تسجيل صوتي مبتهج وصادق يقول، «إنه يوم عظيم في شركة بيتر لوي العالمية!») تراوحت أسعار التذاكر بين ٥٩ دولارًا إلى ٢٢٥ دولارًا. ابتعت مقعدًا من طائفة السعر المتوسط، الذي يكلف ٩٩ دولارًا إضافة إلى التكاليف العشوائية التي يضيفونها دائمًا، بمبلغ ١١٤,٦٤ دولارًا.

كانت الحلبة تمتلئ بمن سيكونون في النهاية ١٦٠٠٠ ناجح آخر. كان هؤلاء أشخاصًا ودودين مهندمين تتراوح أعمار أغلبهم بين العشرينيات ونهاية الأربعينيات. البعض منهم ذوو مهنة حرة والبعض الآخر عاطلون عن العمل، والكثير كانوا موظفي شركات محلية أمطروا لشهور بالمواد الترويجية لهذه الدورة.

كان الحاضرون يشترون القهوة ويتفرجون على منتجات النجاح المعروضة للبيع في أكشاك مختلفة. أكثر العروض كانت لإصدارات النجاح لأنتوني روبينز. إذا لم تكن تعرف من هو أنتوني روبينز اذهب إلى جهاز التلفاز الآن وشغله. أغلب الظن أنك ستشاهد إعلانًا يصور رجلاً واثقًا جدًا ذا فك بنفس شكل وحجم ولاية نيفادا بالضبط، يتحدث عن نقل حياتك إلى المستوى التالي. ذلك هو أنتوني روبينز الذي كسب ملايين الدولارات وهو يلح على الناس أن يكونوا ناجحين.

حقق روبينز أعلى نجاحه في الثمانينيات أثناء صرعة المشي على النار. هل تتذكر المشي على النار؟ كانت الفكرة هي أن تدفع المال وفي المقابل تمشي على الفحم الحار والغرض من ذلك هو....

يا إلهي، لا أتذكر ما هو الغرض من ذلك. ربما



زيادة حماسك لعقد اتصالات مع الآخرين. كل ما أعرف أنه لفترة كان المشي على النار ذا شعبية كبيرة جدًا وظهر في برنامج فيل دوناهو- واستغل أنتوني روبينز هذه الصرعة منذ بدايتها. الآن هو رمز النجاح. يقول إعلان دورة النجاح ١٩٩٧ لبيتر لوي إن أنتوني روبينز هو «المرجع الأعلى في علم نفس الأداء الشخصي، وقد سمي أحد المؤثرين العظام على جيله. تحدى وألهم الملايين حول العالم، وكان مستشارًا للرئيس كلينتون، والعائلات المالكة، والعديد من الرياضيين المهنيين وعدد لا يحصى من منظمات فورتشن ٥٠٠».

يبيع روبينز عددًا كبيرًا من منتجات النجاح، أغلبها أشرطة سمعية أو أشرطة فيديو مثل «القوة اللامحدودة» و«القوة الشخصية» (الجزء الأول والثاني) و«أطلق القوة التي في داخلك» و«الجسم الذي تستحق» و«كن غنيًا في أمريكا». في دورة النجاح ١٩٩٧ لبيتر لوي تستطيع أن تحصل على اثنين من إصدارات النجاح لأنتوني روبينز بـ ٢٩٩ دولارًا، ثلاثة بـ ٤٢٩ دولارًا، أربعة بـ ٥٤٩ دولارًا، وخمسة بـ ٦٤٩ دولارًا.

لأنني كنت قد صرفت ١١٤,٦٤ دولارًا قررت أن أقاوم إغراء إصدارات النجاح مؤقتًا. ولكنني التقطت كتيبًا مجانيًا يوزع في الدورة. كان على الغلاف صورة كبيرة لأنتوني روبينز والصفحة الأولى كانت رسالة من مكتب أنتوني روبينز تبدأ بـ«صديقي العزيز» وتقول في جزء منها:

«أكنّ لك احترامًا عميقًا لأنك بحضورك اليوم أثبت بأنك فرد ملتزم بالتطور الدائم والمستمر- كان Constant and Never ending Improvement-CAN! فلنعقد التزامًا جماعيًا اليوم بأن يشارك بعضنا بعضًا في مستوى جديد من التركيز والحماس، مستوى يفوق بكثير أي شيء قمت به من قبل. من خلال مستويات طاقتنا المرحة وغير المعتادة والعاطفية لنصنع اليوم الذي يشكل تغيرًا حقيقيًا في حياتك: اليوم الذي لن تنساه سريعًا».

يجب أن أوضح أنه وفقًا لملحوظة في الصفحة الثانية من الكتيب فإن «كان» CAN علامة تجارية لشركة روبينز للبحث العالمية، ولا يسمح باستعمالها بدون إذن. هذا ينطبق أيضًا على عدد من العلامات

التجارية لروبينز التي تشتمل، ولكن لا تقتصر، على: مهارات القوة (علامة تجارية)، من الخوف إلى القوة: تجربة المشي على النار (علامة تجارية)، موعد مع القدر (علامة تجارية)، القوة اللامحدودة (علامة تجارية)، أنتوني روبينز وشركائه (علامة تجارية)، أنتوني روبينز (علامة تجارية) وتوني روبينز (علامة تجارية).

بعد قراءة هذه البنود بدأت أشعر بالخوف من أن يتحول النجاح إلى موضوع معقد حقًا مثل الكيمياء. فكرت للحظة في أن أغادر المكان وأنضم إلى جميع الفاشلين الآخرين في العالم الخارجي وأركز فقط على اجتياز الحياة. ولكن عندها فكرت في نفسي: العديد من الرياضيين المهنيين استوعبوا هذه المفاهيم هذا عدا العائلات المالكة. فما مقدار صعوبتها؟

فذهبت إلى الداخل وجلست في مقعدي واستعددت لأدفع حياتي إلى آفاق جديدة. وهذا ماحدث.

الساعة الثامنة صباحًا

الحلبة تمتلئ. مكبرات الصوت تبث لنا أغنية ديزايري لنيل دايموند. لا أعرف إذا كان الاستماع إلى هذه الأغنية عاملًا مهمًا في صناعة النجاح. إذا كان الأمر كذلك فأنا في مشكلة.

بعد عدة دقائق يعلو الصوت كثيرًا وتبث أغنية أخرى. يدخل ستة أشخاص- ثلاث نساء وثلاثة رجال في زي رجال أعمال- ويعتلون ركضًا ما يشبه السلم إلى خشبة المسرح ويبدؤون بالقفز عليها ويرقصون ويصفقون مع الموسيقى بذلك النوع من الطاقة الذي يأتي في الساعة الثامنة وثلاث دقائق صباحًا. إما بفعل الحماس الصادق أو جرعات عالية من مخدر الميث. وهم يريدوننا أن نرقص ونصفق أيضًا. بدأ بعض الناس - وأغلبهم في المقاعد الغالية التي أمام خشبة المسرح مباشرة - يرقصون ويصفقون.

في المقاعد التي تبلغ أسعارها ١١٤,٦٤ دولارًا بدأ بعض الناس في التصفيق. بينما كان البعض منا، ممن لم يستعدوا بعد للانتقال للمستوى الثاني، يرتشفون قهوتهم.

بعد عدد من الدقائق تخفت الأضواء ويقفز أنتوني روبينز بشحمه ولحمه إلى خشبة المسرح. إنه ضخم جدًا- رأسه ضخم وجسمه ضخم ويداه ضخمتان وأسنانه ضخمة وصوته ضخم يرتدي بدلة سوداء وقميصًا أبيض وربطة عنق حمراء وحمالات بنطلون. يتبادر إلى ذهني أنه من الممكن أن يكون إنسانا آليًا. فقميصه لا يرتفع أبدًا وشعره لا يتحرك أبدًا حتى عندما يقفز إلى الأعلى والأسفل ويلوح بيديه، وهو ما يفعله دائمًا خاصة إذا جعلنا نؤدي «حالة الذروة». ولكنني أسابق أحداث القصة.

> بينما كانت الموسيقى تصدح من مكبرات الصوت وتوني يصدر تعليماته لنا بصوت هو أقرب إلى الصراخ، كنا نقوم بحركات «حالة يجب» ونتلفظ بعبارات «حالة يجب» ونعطي كل واحد منا نظرات «حالة يجب». وبينما كان هذا كله يحدث كنت مشغولا بكتابة ملاحظات «حالة يجب»

توني يتحدث من ميكرفون موضوع على الرأس من النوع الذي يستخدمه نجوم الروك، ويقول لنا أي نوع من الجمهور يريدنا أن نكون: جمهورًا حيويًا. فهو لا يريدنا أن نجلس مثل الفاشلين البليدين.

يقول توني: « سوف نصبح مثل الأطفال!» مما جعلني أخشى أن نقوم ببعض الحماقات. ولكن بدلًا من ذلك يطلب منا توني أن نستدير ونحيي جيراننا. ويجعلنا نقوم بذلك ثلاث مرات، في كل مرة نظهر طاقة وحماسًا أكثر، لذا في المرة الثالثة من المفترض أن نضم جيراننا كما لو كنا فزنا بجائزة عظمى. في البداية بدا الأمر كتمرين سخيف، ولكن عليّ أن أعترف أنه عندما انتهى لم أعد أشعر بالخجل بل فقط بأني أحمق.

بعد ذلك جعلنا توني ندخل في «حالة الذروة»، وهي حالة تكون فيها في ذروة طاقتك وذروة سعادتك، والذروة من كل شيء فلا يقف شيء في طريقك. يشرح لنا توني العملية الفيزيولوجية التي تخص الانتقال إلى «حالة الذروة». لم أنتبه إلى التفاصيل ولكنها بلا شك يدخل فيها الخلايا العصبية..

ربما يجب عليّ ألا أفشي لكم كيف تنتقلون إلى

«حالة الذروة» لأنه من الممكن أن يكون مفهوم نجاح مسجل تجاريًا ولم تدفعوا الـ٦٤, ١١٤ دولارًا. ولكنني أشعر بالكرم لذا أحضروا ورقة وقلمًا واستعدوا لكتابة الإجراء التالي لتدخلوا في «حالة الذروة»، وأرجوكم لا تخبروا أي أحد أنني أخبرتكم بهذه الطريقة السرية:

١- اقفز إلى الأعلى والأسفل وأصرخ.

هذا ما جعلنا توني نفعل. النظام الصوتي للقاعة المرتفع إلى «الذروة» بدأ يبث أغنية جديدة بينما توني يركض حول خشبة المسرح ملوحًا بيديه في الهواء. يقفز أفراد الجمهور إلى الأعلى والأسفل ويلوحون بأيديهم ويصرخون. إنه مثل حفلة روك عدا أنك بدلاً من أن تشاهد ،مثلًا ، فرقة رولينغ ستون على المسرح، تشاهد توني مرتديًا حمالات البنطلون..

بعد حوالي ثلاثين ثانية يوقفنا توني عن طريق توجيه يديه إلى الأمام في حركة «لكم». ثم يخبرنا أن علينا أن نستمر في «حالة الذروة» بينما نستمع إلى أول متحدثة تحفيزية – لنعطيها ترحيب حماسيًا عظيمًا- إليزابيث دول.

جنحة التربيت على الأسد

ها هي تظهر واحدة من نساء أمريكا الأكثر إثارة للإعجاب وقد بدا شعرها في «حالة الذروة». مواضيعها وفقًا لإعلان الجريدة لدورة النجاح ١٩٩٧ تشتمل على «خطوات لتحسن نظرتك للحياة» و«كيف تحصل على وجهة النظر التي ستغير وجهتك» و«نظام دقيق للتطوير» وقاعدة «مصنع المجارف».

قالت السيدة دول إنها سعيدة لأنها هنا في ميامي، وأخبرتنا بأنها عندما كانت ضمن الحملة الرئاسية في العام الماضي مع زوجها بوب «حدثت الكثير من الأشياء المضحكة». لم تخبرنا ماذا كانت تلك الأشياء، ولكنها أخبرتنا بقصة مضحكة عن تلك الأيام في الستينيات عندما كانت محامية جديدة متخرجة لتوها من هارفاد، وكان عليها أن تدافع عن رجل اتهم بأنه قام بالتربيت لا قانونيًا على أسد في حديقة حيوان، وبالرغم من أن الظروف كانت ضدها وأنها كانت امرأة، فقد ربحت القضية! أيضًا أخبرتنا أن الرجال الذين وقعوا وثيقة الاستقلال قاموا بالكثير من التضحيات. ولكن الآن أصبحت الحكومة طموحة أكثر من اللازم. والأمريكيون يمتلكون الكثير من الأفكار الجيدة إلا أننا نتجاوز الحد في بعض الأحيان. ولكننا يجب أن نكون متفائلين بخصوص المستقبل.

في حديثها،كل ما أستطيع أن أقوله، إنه لم يسعف السيدة دول الوقت لكي تفشي لنا قاعدة «مصنع المجارف» أو أي تقنيات نجاح محددة إلا إذا كان مجالك المحدد يتعلق بالدفاع عن الذين يربتون على الأسود. ولكنها تنال تصفيقًا شديدًا في النهاية. بعد ذلك يقفز توني روبينز على المسرح مجددًا ويذكرنا بأنه عمل مع العديد من مديري شركة فورتشن ٥٠٠، ويأمرنا بأن نقف ونحافظ على طاقتنا وتركيزنا. ثم يخبرنا بعد ذلك أن علينا أن نلتفت لجيراننا وندلك بعضنا. وهو يصر على ذلك.

كشخص لم يستطع حتى أن يبيع حلويات فريق ليتل ليج، أعرف أنه من المستحيل أن أدلك شخصًا غريبًا، لذا وقفت هناك فقط بدون أن أحاول النظر إلى أي من جيراني، وبدأت أخربش بعصبية في دفتري متظاهرًا بأنني أكتب تقنية نجاح مهمة من محاضرة دول. بدأ الرجل الذي خلفي يدغدغ ظهري بفتور. استدرت لأنظر إليه. وضحك كل واحد منا في إحراج وتوقف فورًا.

بعد التدليك، تأملت أن أجلس للمحاضرة القادمة ولكن توني يأمرنا بأن ننتقل إلى «حالة الذروة» مجددًا. هذه المرة كنا نقفز ونصرخ مع موسيقى الراب. عندما انتهت قال توني: «إذا كنتم تشعرون بتحسن أفضل من السابق كوروا أيديكم على

في نهاية العرض ينبهنا توني إلى حقيقة أن هناك عددًا من منتجاته في الخارج وهي للبيع . ثم يخبرنا أننا لابد أن ننتقل إلى «حالة ذروة» أخرى لأننا إذا لم نكن في «حالة ذروة» فلن يدير دولاب الحظ



شكل قبضة وقولوا نعم».

«نعم» يصرخ الحشد. أنظر إلى ساعتي. إنها الساعة التاسعة صباحًا. بقي تسع ساعات فقط.

الآن يخبرنا توني أن نشاهد شاشات القاعة الكبيرة التي تعرض شريط فيديو يقدم المتحدث التالي الذي هو أنتوني روبينز! يخبرنا الفيديو أن أنتوني روبينز ذهب إلى جميع أنحاء العالم، وقابل العديد من كبار قادة العالم الناجحين مثل بيل كلينتون ونيلسون مانديلا وميخائيل جورباتشوف والأميرة ديانا وكوينسي جونز وأندريه أجاسي.

ثم يقول المقدم: «سيداتي سادتي أنتوني روبينز» ويقفز توني على خشبة المسرح ليعطينا أسرار نجاحه.

من سوء الحظ لا أستطيع أن أفشي لكم هذه الأسرار لأن العديد منها هي مفاهيم مسجلة تجاريًا وبصراحة لا أريد أن يصبح كل من يقرأ المقال فجأة ناجحًا وينتقل إلى المستوى التالي. فنحن الناجحون نحتاج أن يبقى الناس في نفس مستواهم حتى يكون هناك من ينظف المقاعد المنجدة في طائراتنا النفاثة. ولكنني سأقدم لك بعض المعلومات من عرض أنتوني روبينز.

في وقت من الأوقات كان توني شخصًا فاشلًا مثيرًا للشفقة، وكان يزيد عن الوزن المفترض بـ ٣٨ رطلًا ويعيش في شقة حجمها ٤٠٠ قدم مربع ويغسل صحونه في بانيو الحمام. ولكن في يوم من الأيام كان يستمع إلى أحد أغاني نيل دايموند تلك التي يشكو فيها نيل أنه لا يوجد من يسمعه على الإطلاق ولا حتى الكرسي وألهمت هذه الأغنية توني جدًا لدرجة أنه نهض وتخلص من وزنه واستمر ليصبح ناجحًا بطريقة مميزة جدًا لدرجة أنه يجب أن تغمض عينيك نصف إغماضة لتتمكن من النظر إليه.

«توجيه العظمة»

- لا يكفي أن تصبح ممتازًا. الامتياز للفاشلين المثيرين للشفقة. يجب أن تكون متميزًا!
- أهم شيء في العالم هو:علم النفس.
- بالإضافة إلى عمله مع عدد لا يحصى من الرؤساء التنفيذيين لشركة فورتشن ٥٠٠ وقادة العالم درب أنتوني روبينز ١٥٠٠٠ طبيب نفسي وعالم نفسي فيما يخص: علم النفس.
- إذا ضممت يديك إلى بعضهما وكان الإبهام الأيسر في الأعلى فهذا يدل على شيء، أما إذا كان الإبهام الأيمن في الأعلى فذاك يعني شيئًا آخر وهذا كله مرتبط: بعلم النفس.
- في بعض الحضارات البدائية عندهم تقليد يسمى «التأشير بالعظمة» حيث يؤشر طبيب ساحر بعظمة على الناس فيموتون في نفس الموقع فورًا حتى لو كانوا يتمتعون بصحة مثالية والسبب هو: علم النفس.
- *أندريه أجاسي أصبح لاعب تنس مذهل بعد أن أعطاه توني بعض النصائح في: علم النفس.*
- تحدث توني مع كل من أرنولد شوارزنيغر وسيلفستر ستالون وكلاهما يتفقان مع توني بخصوص: علم النفس.
- بيل جايتس ومايكل جوردان ونيلسون مانديلا وتيد ترنر جميعهم ناجحون والسبب هو: الديدان الشريطية. لا، بجدية السبب بالطبع هو علم النفس.
- لا بد أن يكون الناس مسؤولين.
- سيلفستر ستالون كتب نص فيلم روكي في ثماني

عشرة ساعة.

استمر عرض توني لساعتين تقريبًا. خلال ذلك الوقت كان توني يلقي عبارة ثم يقول «كل من يتفق معي يرفع يده ويقول أنا!» عندما يقول الجمهور «أنا!» يرد توني «مذهل!». في بعض الأحيان يذكر توني شركة مثل أمريكان إكسبرس أو ماكدونالدز فيصيح أفراد الجمهور الذين يعملون في هذه الشركات ابتهاجًا. يضرب توني صدره كثيرًا ويصدر كل مرة صوتًا عاليًا مضخمًا بطريقة مذهلة. إنه بلا شك رجل آلي.

في إحدى المراحل جعلنا توني ننقل أجسامنا إلى «حالة يجب». أنا لست متأكدًا إذا كانت «حالة يجب» هي نفس «حالة الذروة» ولكنني أعرف أن «حالة يجب» مختلفة جدًا ولا ينبغي أن يخلط بينها



وبين «حالة يستحسن» التي هي للفاشلين المثيرين للشفقة. بينما كانت الموسيقى تصدح من مكبرات الصوت وتوني يصدر تعليماته لنا بصوت هو أقرب إلى الصراخ، كنا نقوم بحركات «حالة يجب» ونتلفظ بعبارات «حالة يجب» ونعطي كل واحد منا نظرات «حالة يجب». وبينما كان هذا كله يحدث كنت مشغولاً بكتابة ملاحظات «حالة يجب».

في نهاية العرض ينبهنا توني إلى حقيقة أن هناك عددًا من منتجاته في الخارج وهي للبيع. ثم يخبرنا أننا لابد أن ننتقل إلى «حالة ذروة» أخرى لأننا إذا لم نكن في «حالة ذروة» فلن يدير دولاب الحظ. فانتقلنا إلى «حالة الذروة» وأدار توني دولاب الحظ وفاز رجل محظوظ من الجمهور بجهاز فيديو، والآن حان الوقت لأن يقدم لنا توني المتحدث التالي. لذا فلنظهر بعض الطاقة المذهلة للحاخام هارولد كوشنر.

الحاخام كوشنر هو مؤلف الكتاب الرائج «عندما تحدث الأشياء السيئة للأشخاص الطيبين». وقد ألقى علينا حديثًا عميقًا عن عيش حياة سعيدة حتى لو لم تكن بالضرورة مذهلة. بل في إحدى المراحل لمح بأن الفوز ليس بالضرورة الهدف الأقصى من الحياة. وقد أحببته لأنه لا يجعلنا ندخل في أي حالة من الحالات.

عندما عاد توني صحح الخطأ غير المقصود فورًا، وخلال فترة قصيرة كان الجميع يقفز ويصرخ. بعد عدد من الدقائق أوقفنا توني قائلاً: «اجلسوا وأنتم في «حالة الذروة» من فضلكم». ثم قدم لنا براين تراسي الذي وفقًا لدورة النجاح ١٩٩٧ مدرب مبيعات وخبير الدولة الأعلى في تطوير الطاقات البشرية وأداء الشركات وهو يملك وجهات نظره مثبتة في الامتياز في البيع والإنجاز الأقصى».

في تقديمه يخبرنا توني أن برايان عنده بعض أشرطة النجاح للبيع.

يظهر برايان ويخبرنا فورًا أننا، الأشخاص الذين اخترنا أن نحضر دورة النجاح ١٩٩٧ لبيتر لوي، النخبة. بعض النقاط الأخرى التي قالها هي:

-التفاؤل جيد.

-الشيوعية كانت سيئة. يقول برايان «ذهبت إلى جدار برلين. وذهبت إلى جانبي الستار الحديدي وأستطيع أن أروي لكم قصصًا قد تستغرق وقتًا طويلاً».

-أجهزة الكمبيوتر مهمة ويجب أن نتعلم كيف نستخدمها.
-المستقبل سيكون مختلفًا بلا شك عن الماضي.
-جميعنا رؤساء شركاتنا.
-لا تتذمر أو تشتكي.

يستشهد برايان بأقوال أبراهام لينكون وأرسطو وهاري ترومان وغيرهم. كما يمدح كثيرًا أغنية نيل دايموند «أمريكا» بالرغم من أنه ينسبها إلى نيل سيدكا.

فيقول: «يا إلهي تلك كانت أغنية رائعة».

في النهاية يخبرنا برايان عن منتجاته السمعية المتعددة المتوفرة للبيع والتي تشمل «شريطًا سمعيًا خاصًا سوف يوفق بين نصفي الدماغ». نستطيع أن نشتري إصدارات برايان العشرة بسعر خاص في دورة النجاح ١٩٩٧ يبلغ ٤٧٥ دولارًا فقط.

عند هذه المرحلة تجاوزنا الظهيرة، وأنا فعلًا أرغب بشراء «منتج غداء» ولكن عندما ظهر توني روبينز على خشبة المسرح يقفز مجددًا جعلنا ندلك بعضنا وننتقل إلى «مرحلة الذروة». ثم قدم المتحدث التالي،لو هولتز، الذي استقال لتوه من منصبه كمدرب كرة قدم لفريق نوتردام. من بين نقاط النجاح التي ألقاها:

-يجب أن تتغلب على المصاعب.
-حاول بجد.
-أهم شيء في العالم هو الإيمان.
-إذا أردت أن تصبح أمريكيًا صرفًا يجب ألا تتورط بالمسكرات والمخدرات والجنس والهيروين.

يختم لو بخدعة سحرية يظهر فيها أنه يمزق جريدة يو إس توداي ولكنه في الحقيقة لا يفعل ذلك. ويغادر المسرح بعد تصفيق قوي. بعد ذلك يعاود توني روبينز الظهور ويخبرنا بأن:

- هناك إصدارًا سمعيًا متوفرًا للو هولتز.
- مايك والاس الذي كان من المفترض أن يتحدث في دورة النجاح اضطر لأن يلغي موعده بسبب التهاب الحنجرة ولكنه استبدل به متحدث آخر رائع سنستمع عليه بعد الغداء.
- إذا عدنا بعد الغداء بعد ساعة من الآن بالضبط أي في الثانية والنصف بعد الظهر سوف يدير توني عجلة الحظ مرتين.

جن جنون الجمهور عندما دخل بات مرتديًا بدلة تبدو كما لو كانت تكلف أكثر من ثمن طائرة إف١٦- . وحدثنا حديثًا واثقًا يحتوي على هذه النقاط :
-يأمل أن يفوز فريق هيت في البطولة في يوم من الأيام .
-مايكل جوردان لاعب كرة سلة ممتاز .
-المهمة هي «صورة لحالة مرغوبة ترغب في الدخول فيها .»!!

أمل أنفك وأدخل الكرفس

وهكذا خرج الجمع إلى فناء القاعة. أكلت منتج هوت دوغ ومنتج دايت كوكا وغادرت المكان لأتمشى. في الخارج قابلت رجلًا يجلس على الأرض يتسول.

«هل عندك أي شيء؟»

ربما يجب علي أن أقول لهذا الرجل أن ينهض من الأرض ويدخل في «مرحلة الذروة» أو على الأقل «مرحلة يجب». ولكن يبدو لي أنه من الأسهل أن أعطيه ربع دولار.

في الثانية والنصف عدنا من الغداء. بدا الحشد أكثر خمولًا بعد الفاصل. بالطبع الخمول للفاشلين جدًا. لذا أمرنا توني روبينز أن ننهض على أقدامنا فورًا. هذه المرة طلب من كل واحد منا أن يختار شريكًا ليصبح صديقه الفيزيولوجي. ثم أمر كل الأصدقاء الفيزيولوجين أن يتطلع بعضهم في أعين بعض ويرفعوا أيديهم اليمنى ويرددوا قسمًا طويلًا: («أنا صديقك الفيزيولوجي وأنا ملتزم بالكامل أن أبقيك في حالة طاقة عالية»).

ثم تصدح المكبرات بأغنية «ولدت لأكون عنيفًا» جعل توني الأصدقاء الفيزيولوجيون يرقص بعضهم مع بعض، وكل واحد يقود الرقص بالتناوب. هذا، بالنسبة لي، هو الحدث الأهم إلى الآن. أعني أننا هنا في دورة النجاح قد نكون النخبة، ولكن كراقصين فإننا نملك الحركات الإيقاعية الرشيقة لبقرة تحاول

أن تركب السلم الكهربائي. عبر الممر المقابل لي كان هناك صديقان فيزيولوجيان- وهما رجلا أعمال في الأربعين- يهتزان ويتمايلان كما لو كانا يهاجمان من قبل دبابير غير مرئية. بديا حمقى ولكن ذوي عزيمة. أتساءل إذا قلت للناس إنهم سيصبحون ناجحين إذا تجولوا وقد وضعوا سيقان الكرفس في أنوفهم. هل سيقومون بذلك؟ ربما لا، إذا كان من قال لهم ذلك هو أنت. ولكنني أراهن بأنهم سيقومون بذلك إذا قال لهم أنتوني روبينز. سوف يدفعون لتوني ليأمرهم أن يضعوا سيقان الكرفس في أنوفهم. إلا أن توني سوف يهب طريقة الكرفس هذه اسمًا خاصًا وسوف تصبح مفهومًا مسجلًا تجاريًا.

الآن جعل توني الجمهور يغنون بأعلى صوت: «ولدت لأكون عنيفًا».

تستطيع أن تشتم حماس الاتصال في القاعة

حالما أعادنا توني إلى «حالة الذروة» أدار عجلة الحظ ليفوز أحدهم بجهاز تشغيل الأقراص المرنة.

متحدثنا التالي هو بيتر لوي نفسه. وصف في إعلان دورة النجاح لبيتر لوي ١٩٩٧ بأنه «ظاهرة تجارية فهو الرئيس المؤسس والمدير التنفيذي لمنظمة ثمنها ٢٠ مليون دولار مسؤولة عن أكبر الدورات في العالم-النجاح ١٩٩٧!» يقدمه توني قائلًا إن لوي عنده «مهمة بأن يساعد أكبر عدد من الناس في حياته».

قبل أن يخرج لوي نشاهد فيديو عنه أنتج كما لو كان عملًا وثائقيًا تقدمه امرأة تقول: «المراسل في داخلي يريد أن يكتشف من هو هذا الرجل حقًا». يتبع ذلك عرض صريح يعرض تصريحات لجاك كيمب وباول هاري ونعومي جود نعرف من خلاله أن بيتر لوي بالرغم من أنه في الثلاثينيات إلا أنه إنسان رائع بشكل مذهل.

بعد ذلك يقودنا توني إلى تصفيق بينما يخرج بيتر لوي. ربما يكون لوي شخصًا لطيفًا تمامًا، وأتمنى ألا أفسد حيادي الصحفي عندما أقول إنه بدا لي، شخصيًا، كابن عرس صغير متملق. ولكن حاشا لله أن أحكم على ظاهرة تجارية لذا سوف ألخص النقاط التي قدمها الرجل في عرضه كما فهمتها.

-الضغط سيئ.

-بيتير لوي وقع تحت الضغط بينما كان يعد دورات مثل دورة النجاح ١٩٩٧ لبيتر لوي.



-في إحدى المراحل كان يخسر ٥٠,٠٠٠ دولار في الأسبوع.

- ولكنه لم يتوقف عن العمل.

- الناجحون لا يتوقفون عن العمل.

-أبراهام لينكون لم يتوقف عن العمل.

-باول هاري مثال جيد آخر

-يجب أن لا تترك بذرتك في الحظيرة. («لا تغادر اليوم وبذرتك في الحظيرة». هي كلمات بيتر لوي بالضبط).

أخبرنا لوي أيضًا أنه يوجد له إصدار سمعي متوفر. لكنه لم يخبرنا إذا كان عند أبراهام لنكون أي إصدار سمعي. ثم بعد ذلك أخذنا فترة راحة لمدة خمس عشرة دقيقة وعدنا لنقوم بترحيب حار بينما قدم لنا توني المتحدث التالي: مدرب فريق هيت، بات ريلي.

فأر على السيخ

جن جنون الجمهور عندما دخل بات مرتديًا بدلة

تبدو كما لو كانت تكلف أكثر من ثمن طائرة إف١٦-.
وحدثنا حديثًا واثقًا يحتوي على هذه النقاط:
-يأمل أن يفوز فريق هيت في البطولة في يوم من الأيام.
-مايكل جوردان لاعب كرة سلة ممتاز.
-المهمة هي «صورة لحالة مرغوبة ترغب في الدخول فيها.»!!
-أهم شيء في العالم هو الموقف.
كما يكشف لنا بات أنه لم يكن دائمًا ناجحًا. عندما كان في التاسعة لم يكن يرغب في أن يلعب الرياضة. كل ما أراده هو أن يحفر تحت المطبخ و(أقسم أن هذه هي كلماته) يمسك بكاحل أمه. وقد أراد أن يقلع عن لعب كرة السلة. ولكن والده لم يسمح له بذلك أما الباقي فهو تاريخ.

هذا يذكرني بحكاية ملهمة حدثت لي عندما كنت في المرحلة الثانوية. كنت في فريق رياضي ولكنني كنت فاشلاً ولم أكن أحبه لذا قررت أن أتركه. لذا أخبرت والدي فسألني لماذا؟ فقلت له: «أكرهه». وقال والدي- لن أنسى هذا ما حييت- «حسنًا».

لم أملك أي بذرة في ذلك الوقت، ولكنني لو كنت أملك فمن المحتمل أني كنت سأتركها في الحظيرة.

يغادر بات المسرح وسط تصفيق حاد من الجمهور. المتحدث التالي هو الدكتور تيد بروير مؤلف كتاب كل واشرب وتمتع بالصحة. وقد أخبرنا عن الأطعمة العشرة التي يجب علينا أن لا نتناولها مبتدئًا بأسوأ مجموعة طعام ممكنة والتي وفقًا للدكتور تيد ستقتلك فورًا إذا نظرت إليها مباشرة بدون أن ترتدي نظارات شمسية: لحم الخنزير والنقانق والببروني ومجموعة الهوت دوق. هذه بالضبط هي المجموعة التي تناولتها في الغداء.

ولكي يوضح لنا سوء الهوت دوغ يلوح لنا بفأر بلاستيكي ويزعم لنا أن فئرانًا حقيقية تقع أحيانًا في المكائن في مصانع اللحوم وتعجن مع الهوت دوغ.
«لذا إذا اشتريت يومًا هوت دوغ مغروسًا في سيخ فمن الممكن أن تسموه أيضًا فأرًا على سيخ»

يمممم! شكرًا دكتور تيد.

أشعر بالاكتئاب بسبب هذه المعلومات لدرجة أنني بالكاد استمعت للدكتور تيد وهو يخبرنا عن إصداراته السمعية المتعددة.

إنها الساعة السادسة مساء تقريبًا، وأنا متعب وجسمي يوجعني وأشعر أنني أجلس في القاعة منذ زمن طويل. لذا بشيء من الرعب شاهدت أنتوني روبينز يقفز مجددًا على المسرح و........ لا، أرجوك لا تفعل، أوه لا، سوف يجعلنا ندخل في «حالة الذروة» مجددًا. لا!!!!!!!!....

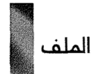
و لكن من المستحيل إيقاف آلة النجاح البشرية. وهو يريدنا أن نظهر أقصى طاقاتنا لمتحدثنا التالي الذي هو – صدقوني لا أختلق هذا- جورج بوش.

إنها حقًا لحظة خيالية عندما يخرج الرئيس السابق للولايات المتحدة ويقف في المكان ذاته الذي كان الدكتور تيد بروير يخبرنا فيه، فقط قبل عدة دقائق، بأن لا نأكل المارجرين.

يفتتح الرئيس بوش كلامه بإخبارنا كم يشعر بالشرف لكونه كان رئيسًا للولايات المتحدة وكم يشعر هو وباربرا بالفخر لأنهما تعاملا مع منصبهما باحترام وليس مثل الأشخاص المثيرين للاشمئزاز في البيت الأبيض الآن. (لم يقل الجزء الأخير بصراحة ولكن التلميحات واضحة.) ثم بعد ذلك ألقى علينا حديثًا مسترخيًا ظريفًا احتوى على عدد من نصائح النجاح.

لأولئك الذين يرغبون بالمغادرة قبل المتحدث الأخير بدأ أنتوني روبينز باختتام اليوم. وبينما كان متحدثو القاعة يعزفون موسيقى إلهامية على أوتار الكمان راجع توني بعض النقاط التي قالها المتحدثون الذين استمعنا لهم. ثم طلب منا أن نقف وندخل في مرحلة نهائية واحدة هي «حالة الذروة» و«حالة يجب» و«حالة الالتزام». أراد توني منا أن نأخذ قرارًا في الحال. وأن نلزم أنفسنا بفعل. ولكي نظهر التزامنا سوف نصفق أيدينا مع موسيقى إلهامية لمدة دقيقتين ونصف.

وهكذا يبدأ عزف الموسيقى ونبدأ بالتصفيق ويتجول توني على خشبة المسرح ويضرب صدره ويتحدث عن التصميم والالتزام والحماس والحب. وبالرغم من أنني بطبعي شخص متشكك جدًا، يجب علي أن أعترف بأنني أشعر بشيء- شيء في أعماق نفسي، شيء يأمرني بأن أتخذ قرارًا الآن، أن ألزم نفسي بفعل حالاً. وهكذا قررت أن أتخطى المتحدث الأخير ووضعت جسدي في «حالة خروج».■



كيف صيرت «حركة مساعدة الذات» أمريكا عاجزة!!

خاص - المعرفة

في الوقت الذي تتصدر فيه كتب تطوير الذات قوائم الكتب الأكثر مبيعًا في أمريكا والعالم، يظهر كتاب جديد في أمريكا منبع هذه الصرعة ليشن هجومًا كاسحًا على حركة مساعدة النفس ومروجيها متهمهم بخداع الفرد الأمريكي وإحداث تغيرات سلبية في المجتمع الأمريكي على امتداد العقود الأربعة الماضية.

الكتاب الصادر في عام ٢٠٠٥م الذي يحمل عنوانًا طريفًا كاشفًا SHAM: How the Self-Help Movement Made America Helpless.

«كيف صيرت حركة مساعدة الذات أمريكا عاجزة» من تأليف الكاتب الصحفي المعروف ستيف ساليرنو Steve Salerno هو أحد الكتب التي بدأت تظهر في الآونة الأخيرة في نقد جوانب مهمة في المجتمع الأمريكي ومنها حركة تطوير الذات التي أغرقت المجتمع الأمريكي فيما كانت تلوح له بقشة النجاة. والكاتب يختصر اسم هذه الحركة Self Help and Self Actualization Movement «حركة مساعدة النفس و تحقيق الذات» تحت مسمى SHAM وكلمة sham الإنجليزية تعني، ويا للمفارقة، الشيء الزائف، فهل هذه الحركة هي في الواقع ليست إلا وهمًا زائفًا خدرت المجتمع الأمريكي مدة من الزمن، وماتزال؟ هذا ما يؤكده مؤلف الكتاب.

وعلى خلاف العديد من ناقدي حركة تطوير الذات الذين تناولوا هذه الحركة وأعلامها بطريقة ساخرة ضاحكة وقد رأوا فيها ضياعًا للمال والوقت من دون أي فائدة تجنى، فإن ساليرنو يرى أن الأمر لا يقتصر على المال والوقت المهدور اللذين كما يعتقد أهون الشرور، بل إن الآثار السلبية لهذه الحركة تتعدى ذلك بكثير، وهو ما يظهر جليًا على المجتمع الأمريكي بعد أربعة عقود من ظهور هذه الحركة. فهو يقول عن هذه الحركة في مقدمة كتابه: «لم أكتب من قبل عن ظاهرة استثمر فيها الأمريكيون رأس مال ضخم بكل ما تعنيه الكلمة - ماديًا، وذهنيًا، وروحيًا، وعصبيًا- معتمدين في ذلك على دليل ضئيل جدًا على فعاليتها، بينما لا يحصلون إلا على عوائد قليلة، هذا إذا وجدت أي عوائد».

فهذه الحركة اليوم دخلت في جميع جوانب المجتمع الأمريكي. إذ ألقت اليوم بظلالها على الطب والقضاء والتعليم والعلاقات والتجارة. فالشركات اليوم تدفع مبالغ هائلة لهؤلاء المتحدثين ليبثوا الحماس في نفوس موظفيها، والمدارس تستدعي أعلامها ليحدثوا طلابها عن القوة والإرادة وتحقيق الأحلام، والمجلات النسائية تستكتب رموزها ليرشدوا النساء في أمور الحب و العلاقات. حتى لو لم يكن المرء من مريديها فلابد أن يصيبه رذاذها.

مجرد تساؤلات

والكاتب يلخص وجهة نظره في سؤال ذكي

هو: إذا كانت هذه الكتب تساعد الناس كما يزعم مؤلفوها على الارتقاء والاستغلال الأمثل لطاقاتهم الجسمية والعقلية، وإذا كانت هذه الدورات تأخذ بأيديهم إلى السعادة وتوفر لهم الحلول لمشاكلهم، فلماذا مازالوا يصطفون في طوابير لشراء آخر ما يصدر من كتب تطوير الذات؟ ولماذا يواصلون حضور هذه الدورات؟ أليس من المفترض أنهم قد أفادوا من هذا الكتاب وتعلموا من ذاك المتحدث؟ فلماذا هذا السعي المحموم لالتهام ما تقذف به المطابع من جديد الكتب؟ ألم يحفظوا عن ظهر قلب وصفة النجاح وينتقلوا إلى المحطة التالية، حيث النجاح والسعادة؟

ليس هذا هو الواقع، على الأقل هذا ما تؤكده الأرقام، إذ مازال يضخ سنوياً عدد هائل من الكتب في هذا المجال، ففي عام ٢٠٠٣م فقط صدر ما بين ٣٥٠٠ و٤٠٠٠ كتاب من كتب المساعدة الذاتية، أي أكثر من عشرة كتب يوميًا، أليس هذا عددًا هائلاً من الكتب التي تصدر في فرع واحد؟! بل وفقًا لماركتداتا إنتربرايزيز Marketdata تمثل اليوم حركة تطوير الذات بكل أشكالها تجارة تبلغ ٨,٥٦ بليون دولار، وقد كانت لا تزيد عن ٥,٧ بليون دولار عام ٢٠٠٠م، وتتوقع ماركتداتا أن تبلغ ١٢ بليون دولار عام ٢٠٠٨م. وهكذا لم يعد من المستغرب أن نجد أتباع هذه الحركة ومريديها يخزنون هذه الكتب في مكتبات المنزل وخزائن المطبخ وحقائب الرياضة حتى في السرير لتضمن لقرائها أحلامًا سعيدة قد يلتقون فيها مع الدكتور فيل أو أنتوني روبينز في مملكة السعادة الأرضية حيث لا هم ولانصب!



ويتبع الكاتب سؤاله الأول بآخر، فنجده يتساءل أيضًا: أليس من المفترض بعد أربعة عقود من بيع روشتات السعادة والنجاح أن ينعكس ذلك على المجتمع الأمريكي، لن أقول أن يصبح مجتمعًا مثاليًا، ولكن يصبح على الأقل أكثر سعادة وأقل مشكلات؟ ولكن الدراسات تقول غير ذلك. إذ من المفارقة أن أمريكا الستينيات، قبل ظهور هذه الحركة، أفضل بكثير من أمريكا اليوم من جميع النواحي. ومرة أخرى هذا ما تثبته الإحصائيات، فمثلاً ٤٥٪ من أطفال أمريكا اليوم يعيشون في «منازل غير تقليدية»، إذ ينجب طفل من كل ثلاثة أطفال من غير زواج، أما في الستينيات فكان الرقم لا يتجاوز طفلاً من كل عشرين طفلاً. أما الطلاق الذي لم يكن يقع في الستينيات إلا في ربع الزواجات فهو اليوم يقع في نصف الزواجات. بل يلفت الكاتب نظرنا إلى مسألة مهمة جدًا وهو أنه حتى ما يطلق عليها «تغيرات إيجابية» في المجتمع قد لا تكون في الواقع إلا إعادة تعريف «الأمور السيئة» لا تعديلها أو تحسينها.

«احرم الشباب من أحلامهم»

والكتاب تتصدره مقولة جميلة لمارلين فوس سافانت المسجلة في كتاب جينيس للأرقام القياسية كحاصلة على أعلى معدل ذكاء IQ، وهي رد على رسالة أرسلها لها شاب صغير تقول فيها:

يتساءل المؤلف أي فائدة سيجنيها الطلاب من سياسة التدليل ؟ فاليوم أمريكا تعاني أكثر من أي وقت مضى مما يسمى بـ«تضخم العلامات» ، على غرار تضخم الأموال ، فالطلاب يتخرجون بمعدلات عالية لا تعكس على أي حال مستوياتهم الحقيقية

«مقارنة بالأشياء الممكنة في هذه الحياة، الأشياء غير الممكنة أكثر بكثير. ما لا أحب أن أسمع الراشدين يقولونه لمن هم في سنكم هو أنكم تستطيعون أن تكونوا رؤساء أو أي شيء ترغبون به، هذا لا يمت للحقيقة بسبب ولو من بعيد. الحقيقة أنكم من الممكن أن ترشحوا أنفسكم رؤساء وهذا كل شيء. في مجتمعنا الحر بشكل رائع، من الممكن أن تحاول أن تكون أي شيء، ولكن فرص نجاحك هي شيء مختلف تمامًا».

وحقيقة لا يملك المرء إلا أن يتوقف أمام مقولتها التي تلخص لنا في كلمات قليلة ما يحدث في هذه الدورات، حيث يروج بين الناس أن بإمكانهم أن يحققوا كل ما يتمنونه بمجرد وجود الرغبة أو كما يقولون Believe it Achieve it آمن به وستحققه. وما لا يعرفه الكثيرون أن زرع هذه المعتقدات داخل النفس له آثاره الوخيمة، فالواقعية مطلوبة بدرجة كبيرة. وما يجب أن يعرفه هؤلاء الشباب، وهذا ما يقوله خبراء الصحة العقلية، هو أن عليك أن تبذل كل ما بوسعك لتحقيق ما تريد، ولكن في الوقت ذاته يجب أن تعرف وتتقبل حقيقة أنه كلما علا طموحك زادت نسبة احتمال وقوع الفشل. وهذه الحقيقة ستكون الدرع الذي يحمي الكثيرين من مشاعر الإحباط والمهانة والذل. وعن هذا يقول أحد الخبراء ضاحكًا: «هناك الكثير من الشباب في حاجة إلى من يسرق منهم أحلامهم».

المسؤولون

الكتاب ينقسم إلى جزأين مهمين. فتحت عنوان المسؤولون The Culprits يخوض المؤلف في تاريخ هذه الحركة ومروجيها، وهو يأخذنا في جولة سريعة إلى بدايات هذه الحركة ومصطلح مساعدة الذات، وسيستغرب القارئ عندما يعرف أنه لما ظهر أولاً لم يكن يعني المفهوم الذي اكتسبه اليوم، بل كان في السابق يعني الكتب القضائية التي تملي على العامة من الناس الخطوات التي يتبعونها عندما ترد لهم مشكلة قضائية بدون الحاجة إلى أن يستعينوا بالمحامين. ومع الأيام اكتسب هذا المصطلح مفهومه النفسي الحديث.

و يشير المؤلف إلى أن أول كتاب من هذا النوع ظهر عام ١٧٣٢ من تأليف بنيامين فرانكلين، وبعد ذلك ظهر العديد من الكتابات التي تتطرق لهذا الموضوع، ولكن يظل كتاب دايل كارنيغي «كيف تكسب الأصدقاء» الذي ظهر في نهاية الثلاثينيات هو العلامة الفارقة، ويستطيع المرء أن يقول إن دايل كارنيغي هو الأب الشرعي لهذه الحركة رغم أن البداية الحقيقية لانتشار هذه الحركة كانت في أواخر الستينيات مع ظهور كتاب توماس هاري I Am OK You Are OK والكتب التي نهجت نهجه.

وجهان لعملة واحدة

القليل يعرفون أن لحركة مساعدة النفس فرعين يمثلان، كما يقول الكاتب، وجهان لعملة واحدة، وهما Victimization و Empowerment وهما كما يظهر من الاسمين مختلفان تمامًا، فالأول يعني أن الإنسان غير مسؤول تمامًا عن تصرفاته، بينما يعني المصطلح الثاني أننا نتحمل كامل المسؤولية عن تصرفاتنا. ولكن رغم الاختلاف الظاهري إلا أنهما في النهاية يكمل بعضهما بعضًا، بل ليس من المستغرب أن يراوح زعماء الفرعين بينهما فيستخدمون أحدهما أو الآخر ليحققوا أغراضهم.

لا تثريب عليك، فأنت مجرد ضحية

مصطلح Victimization مأخوذ من

كلمة Victim التي تعني ضحية، وهو يزرع في الناس الاعتقاد بأنهم ليسوا إلا ضحايا لمجتمعهم. ورغم أن مفهوم Victimization سابق لمفهوم Empowerment التعزيز، إلا أنه ليس بشهرة الآخر وذيوعه. ولكن هذا لا يعني أنه أقل تأثيرًا من مفهوم Empowerment. وقد راق مفهوم Victimization للكثير من الناس، فكلنا نعرف جيدًا ميل الإنسان لرثاء نفسه وتحميل غيره مسؤولية فشله، وهكذا جعل مفهوم Victimization من إلقاء اللوم على الآخرين حقًا مشروعًا، وقد كان ذلك من قبل يعد عيبًا خطيرًا في شخصية المرء. فأصبح كل شخص ينقب في ماضيه عن أحداث، قد أضحت في كثير من الأحيان نسيًا منسيًا، فيخرجها وينفض التراب عنها بعد أن أصبح لها دور مهم، إذ أضحت الشماعة التي نعلق عليها أخطاءنا، ولا يخفى على أحدكم أن هذا الإحساس مريح. فالفشل لم يعد ينسب للشخص أبدًا بل هو بسبب الماضي الذي يأبى أن ينفك عنا. وفلان من الناس لم يخفق في حياته لأنه شخص فاشل أو متخاذل، بل بسبب ما عاناه في طفولته من ظلم وضيم. وهكذا أصبح فجأة لكل شخص أب مدمن وأم متسلطة وعم متحرش جنسيًا ومعلم قاس لعبوا كلهم دورًا في تحطيم حياته. و بذلك أضحى الماضي بشخوصه

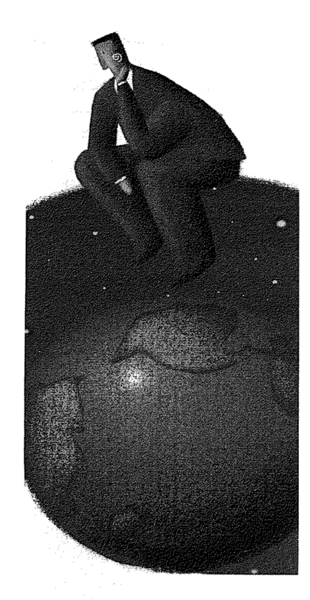
ثم إن هذه السياسات ستجني على المدى البعيد على الطلاب ذاتهم إذ لن يجدوا في بيئة العمل من يبتسم لهم ويربت على ظهورهم عندما يرتكبون أي خطأ . فكيف سيواجهون الحياة الحقيقية وقد نشؤوا من قبل في بيئة خدعتهم عن عيوبهم وزينت لهم نقصهم

وأحداثه قوة كبرى مسيطرة، بل مسيرة للإنسان لا يستطيع عنها فكاكًا.

وقد أثر مروجو هذا المفهوم على المجتمع الأمريكي كثيرًا بطريقة مباشرة وأحيانًا غير مباشرة، والكاتب يدلل على ذلك بتلك القضايا الغريبة التي تشهدها المحاكم الأمريكية باستمرار. فبعد تلك القضية الشهيرة التي رفعتها إحدى زبائن ماكدونالدز بعد أن انسكبت عليها القهوة التي ابتاعتها من المطعم الشهير بينما كانت تقود سيارة ابنها الرياضية متهمة المطعم بأن قهوته ساخنة جدًا. تأتي في عام ٢٠٠٠ قضية أغرب رفعتها سيدة أرادت الانتحار فألقت نفسها أمام القطار. ولكن القطار ارتكب في حقها جريمة كبرى عندما لم يقتلها دهسًا تحت عجلاته. فرفعت قضية في المحكمة حصلت منها على مبلغ ٩،٩ ملايين دولار بعد أن اشتكت من أن القطار بدلاً من أن يقتلها تسبب في بتر ذراعها اليمنى وعدد من الإصابات! لا أجد وصفًا لمثل هذه القضايا أبلغ من ذلك الذي كتبه أحد الكتاب الأمريكيين واصفًا تلك القضايا بأنها دليل على «موت العقل». ويعلق الكاتب قائلاً إنه في الستينيات لم يكن أحد يفكر على الإطلاق برفع مثل هذه القضايا، حتى لو قام بذلك فلن يجد من يستمع له. فمالذي حدث؟ أليس هذا أثرًا من آثار نظرية Victimization التي تجعل الإنسان غير مسؤول عن تصرفاته تمامًا؟

ثم إن هذا المفهوم أدى إلى تمييع معايير الصح والخطأ، فما كان يعد في الماضي ذنبًا كبيراً أصبح يعتبر اليوم نتيجة حتمية للظروف والبيئة التي أفرزت الإنسان. ونتيجة لذلك تحولت تلك الأمور التي كانت تعد في الماضي عيوبًا أخلاقية إلى أمراض. فإدمان الكحول، مثلاً، الذي كان في الماضي صفة تدل على انحلال خلقي، أصبح اليوم مرضًا يستوجب العلاج، بل وتلزم الشركات بمعالجة موظفيها من المدمنين. وقد تغرم مبالغ كبيرة تصل أحيانًا إلى سبعة أرقام إذا فصلت أحد هؤلاء الموظفين رغم كل المشاكل التي يسببونها لشركاتهم. وهكذا أصبح الكذب والسرقة والهوس الجنسي أمراضًا لا يستطيع المرء، كما تزعم هذه الحركة، السيطرة عليها مما يعني أن الإنسان لا

يتحمل مسؤولية تصرفاته. وامتد أثر هذه الحركة إلى أروقة المحاكم، وهو ما ظهر جليًا في الأحكام القضائية المخففة التي تصدر بحق أعتى المجرمين بناء على قصة محبكة تحكي طفولة تعيسة عاشها هذا المجرم أو ذاك. وتحول المجرم في كثير من الأحيان إلى ضحية يستحق الشفقة والرحمة لا السجن والعقاب.



قوة مطلقة

«أن تطلق على الشر اسمًا آخر لا يجعله أقل شرًا».

هذا ما تقوله الدكتورة لورا وهي من أشهر أعداء مفهوم Victimization. وكرد فعل لهذا المفهوم ظهر مفهوم Empowerment ليكون، ظاهريًا، النقيض لحركة Victimization وهكذا بعد أن كان الإنسان عاجزًا تمامًا أمام القوى التي تحيط به أصبح فجأة نصف إله لا يقف في وجهه شيء، وهو، بعكس مفهوم الضحية، مسؤول عن جميع تصرفاته ويستطيع أن يحقق كل ما يتمناه إذا أراد ذلك.

وتحت تأثير هذه الحركة تحول الإنسان إلى شخص أناني، تفكيره منصب على ذاته، لا هم له سوى إرضاء نفسه والوصول بها إلى درجة كبيرة من الإشباع بغض النظر عن الطرق التي سيسلكها من أجل تحقيق أهدافه. فالكل يريد أن يصبح رقم واحد بينما يرفض أن يقدم أي تنازلات.

يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم

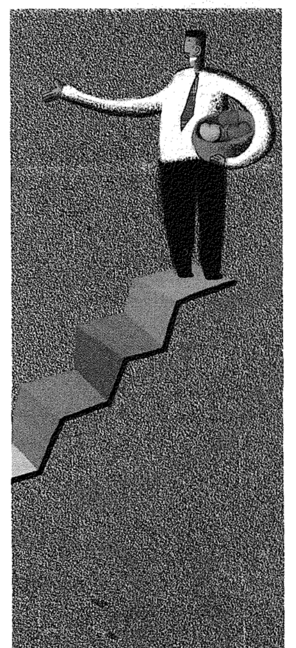
«ماذا تقول في دكتورة ليست بدكتورة.... يهودية أرثوذوكسية ليست يهودية أرثوذوكسية... مناضلة ضد الإباحية تنتشر صورها العارية الإغرائية على صفحات الإنترنت.... ناقدة لممارسة الجنس قبل وخارج إطار الزواج ولكنها متورطة في كليهما... بطلة منافحة عن القيم العائلية منفصلة تمامًا عن حياة أمها لدرجة أنها لم تعرف أنها ماتت إلا بعد عدة شهور». هذا مقطع من أحد فصول الكتاب التي يسلط الكاتب الضوء فيه على أعلام هذه الحركة ورموزها البارزين فيعريهم ويكشف لنا الكثير من تناقضاتهم ويشكك في مؤهلاتهم. والمقطع السابق يتحدث عن الدكتورة لورا شلسنجر، صاحبة برنامج الراديو الشهير الذي يحمل اسمها، والذي يوزع على المئات من محطات الإذاعة، وأحد أهم رموز الحركة التي يحاول أن يتصل بها في برنامجها كل أسبوع ٢٥٠,٠٠٠ متصل، آملين أن تحل لهم مشاكلهم، بينما يتابع برنامجها حوالي عشرين مليون مستمع. وهذه الدكتورة التي نصبت من نفسها مدافعة عن القيم والأخلاق ليست «الدكتورة» التي يظنها الكثيرون. فهي ليست طبيبة نفسية ولا دكتورة في علم النفس ولا معالجة نفسية بل لقب «الدكتورة» الذي دائمًا يسبق اسمها يعني أنها دكتورة في علم وظائف الأعضاء.

أما جون جراي، الذي نعرفه في عالمنا العربي كمؤلف الكتاب الشهير «الرجال من المريخ والنساء من الزهرة» فقد حصل على شهادة الدكتوراه بالمراسلة من إحدى الجامعات غير المعترف بها في

أمريكا والتي أغلقتها السلطات بعد اتهامها بأنها إحدى الجامعات التي تبيع الشهادات. وهكذا يضع الكاتب تحت المجهر الكثير من الأعلام الذين نقرأ كتبهم باستمرار. وهو يفرد فصلين من فصول الكتاب لكل من الدكتور فيل، صاحب البرنامج الشهير، وأنتوني روبينز باعتبارهما أبرز رموز هذه الحركة في الوقت الحالي.

النتائج:

يتطرق الكاتب في الجزء الثاني من الكتاب الذي يحمل عنوان «النتائج» إلى آثار هذه الحركة



على المجتمع الأمريكي من جميع الجوانب، وهي آثار تظهر جلية في كل من الطب حيث ظهر ما يسمى بالطب البديل والعلاقات بين الجنسين والتعليم وفي تغير المعايير الأخلاقية و نظرة الناس لأنفسهم وللآخرين. وسوف أتطرق بشيء من التفصيل هنا إلى الفصل الذي يتناول التعليم وبصورة موجزة إلى ذلك الذي يخص الطب البديل.

انس الأداء- ركز على المشاعر

ليس سرًا اليوم تدني مستوى التعليم في أمريكا، فكل الاختبارات الدولية والمحلية تقول بذلك. ورغم كل ما تقوم به المدارس الأمريكية من أجل توفير جو مثالي للتعليم تزداد معدلات هبوط مستويات الطلاب. وستيف ساليرنو يخصص فصلاً من كتابه للحديث عن هذه الظاهرة التي يعزوها إلى تبني المدارس ما يسمى بتعزيز احترام الذات self esteem بين التلاميذ كأثر مباشر لثقافة تطوير الذات بشقيها التي لونت كل جوانب أمريكا، إذ أصبح الاهتمام بمشاعر التلاميذ أكبر من ذلك الذي يمنح للجوانب الأكاديمية. مما حدا روي بوميستر، وهو برفسور في علم النفس في جامعة كيس ويسترن ريزيرف وناقد لترويج ثقافة احترام الذات إلى أن يقول محذرًا: «في غمرة حرصهم لأن يكونوا حنونين، لأن يغذوا نفوس الأطفال العاطفية، ينسى المعلمون الآن مهمتهم الأساسية، وسوف ندفع الثمن غاليًا لعدة عقود قادمة».

ويذكر المؤلف طريقتين لضمان أداء دراسي مرتفع، الأولى هي أن تتوقع الكثير من الطلاب وأن تتبع سياسات تجبرهم لأن يصلوا إلى هذه التوقعات. ولكن المشكلة هنا أن بعض التلاميذ لن يحققوا المطلوب، وسوف يشعرون بأنهم معزولون أو حتى متخلفون عن الركب، وهذا طبعًا سيجرح مشاعرهم وسيؤثر على حياتهم الاجتماعية وطبعًا، كما يقال لنا، سوف يلقي بظلاله على حياتهم إلى الأبد. وهذا يقود إلى طريقة أخرى لضمان الأداء المرتفع: ببساطة اجعل سقف التوقعات منخفضًا جدًا بحيث لا يفشل أي أحد. واطلب من التلاميذ أن يسعدوا بالنتائج. وهذه هي الطريقة التي

شاعت في السنوات الأخيرة في المدارس الأمريكية. فبدل تشجيع الامتياز، قرر المربون أن يلغوا الفشل بأن يحذفوه تمامًا من القاموس، وفي الوقت نفسه يقنعوا تلاميذ أمريكا أوتوماتيكيًا بأنهم مميزون، ورائعون، وأذكياء.

وفي سبيل ذلك أصبحت المدارس الأمريكية تعطي اختبارات لا تصحح، ومنعت جميع الألعاب التنافسية أثناء حصص الرياضة وحتى وقت الفسحة، واستبدلت بمناهج الرياضيات والانجليزية والعلوم الدسمة مناهج مخففة مليئة بالألعاب. حتى إطراء الطلبة المتفوقين على الملأ اختفى من المدارس، إذ من الممكن أن يجعل الطلاب الآخرين يشعرون بالدونية. بل لقد انحدرت التوقعات في بعض المدارس إلى درك سحيق لدرجة أن مجرد الحضور إلى المدرسة يعامل كما لو كان إنجازًا حقيقيًا.

وكمثال لما تقوم به المدارس من أجل تعزيز ما يسمى احترام الذات يذكر المؤلف تلك المدرسة التي علقت على باب الفصل مرآة كتب فوقها «أنت تنظر الآن إلى أحد أكثر الأشخاص تميزا في العالم بأجمعه!».

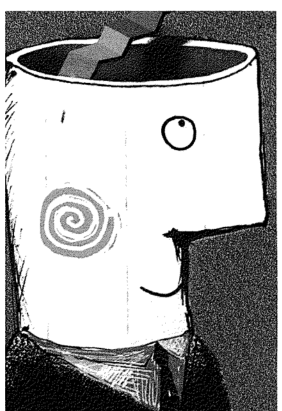
ونتيجة لهذه السياسات فصلت المدارس شعور الفخر عن الأداء. فالطالب الذي كان في السابق يشعر بالفخر عند إنجازه لشيء ما أصبح اليوم ممتلئًا بالعجب والزهو حتى لو كان أقل الطلاب أداءً.

ويتساءل المؤلف أي فائدة سيجنيها الطلاب من سياسة التدليل؟ فاليوم أمريكا تعاني أكثر من أي وقت مضى مما يسمى بـ«تضخم العلامات»، على غرار تضخم الأموال. فالطلاب يتخرجون بمعدلات عالية لا تعكس على أي حال مستوياتهم الحقيقية. وهذا ما تدلل عليه اختبارات قياس مستوى الأداء السابقة لدخول الكليات. ففي عام ١٩٧٢ تخرج فقط ٢٨٪ من الطلاب بمعدلات مرتفعة ومتوسطة. في عام ١٩٩٣ كانت النسبة هي ٨٣٪ من الطلاب و لكن في الوقت ذاته انخفضت مستوياتهم في اختبارات SAT بنسبة ٣٥٪ عنها في السبعينيات. ثم إن هذه السياسات ستجني على المدى البعيد على الطلاب ذاتهم إذ لن يجدوا في بيئة العمل من يبتسم لهم ويربت على ظهورهم عندما يرتكبون أي خطأ. فكيف سيواجهون الحياة الحقيقية وقد نشؤوا من قبل في بيئة خدعتهم عن عيوبهم وزينت لهم نقصهم. وحتى علميًا لا يوجد دليل على أن احترام الذات له أثر حاسم على نجاح الإنسان. فوفقًا لألبرت باندورا، برفسور في علم النفس في ستانفورد، فقد استخلص من دراسة قام بها على مدى أعوام أن احترام الذات ليس له إلا تأثير بسيط وأحيانًا لا تأثير على الإطلاق على الأهداف الشخصية أو الأداء الذي يقوم على المهارة. كما يقول فيتز: «لا يوجد دليل على أن احترام الذات العالي يسبب أو يمنع أي شيء، سواء السيئ أو الجيد. الكثير من الناس يملكون احتراما عاليًا للذات سببوا الكثير من المشاكل للمجتمع».

ويورد المؤلف في كتابه قصة جميلة تثبت أن العودة إلى الأنظمة القديمة التي كانت تعامل الطلاب كطلاب لا قطع زجاج هشة هي الطريقة الأمثل للارتقاء بالتلاميذ. والقصة هي قصة المعلمة ماري دورتي التي وجدت نفسها أمام فصل من طلاب الصف السادس ذوي مستوى متدن جدًا لدرجة أنها شكت في أن البعض منهم مصابون بصعوبات في التعلم. وذات يوم عندما كان مدير المدرسة في الخارج أغارت على مكتبه واطلعت على ملفات التلاميذ التي تحتوي على معدلات ذكائهم وعدد من المعلومات عنهم، وكم فوجئت عندما اكتشفت أن معدلات ذكائهم تتراوح بين ١٢٠ و١٣٠، وهي معدلات قريبة من العبقرية. عندما عادت السيدة دورتي إلى منزلها بدأت تفكر فيما اكتشفته، وقررت أن الخطأ هو خطؤها لأنها أصابت عقولهم العبقرية بالملل عندما كلفتهم بأعمال ذات مستوى بسيط. وقررت أن تغير من طريقتها، فأصبحت تكلفهم بالأعمال الصعبة، وزادت من الواجبات وأصبحت تعاقبهم على إساءة الأدب. مع نهاية العام حصل تغير ١٨٠ درجة، إذ أصبح فصلها واحد من أكثر الفصول تفوقًا وأدبًا. و في نهاية العام سألها المدير المبهور عن السر فاعترفت له بأنها فتشت في الملفات، واكتشفت معدلات ذكائهم العبقرية. فقال لها

المدير مبتسمًا: «كل ما ينتهي نهاية جيدة فهو جيد». ولكن بينما كانت تهم بالخروج من مكتب المدير التفت إليها وقال لها: «بالمناسبة، أعتقد أنه من الأفضل أن تعرفي أن الأرقام التي كانت إلى جانب أسمائهم ليست أرقام معدلات ذكائهم بل أرقام صناديقهم!».

وقارئ هذا الفصل لن يملك إلا أن يتعجب من التشابه الشديد بين الوضع في أمريكا والوضع في بعض مدارسنا. ومعلمو المدارس الخاصة يدركون جيدًا ماذا أعني. اسأل أي واحد من هؤلاء المعلمين كم مرة صبت في أذنه مصطلحات من قبيل «احتواء الطالب» و«مراعاة نفسية الطالب» وعبارات أخرى توحي للسامع بأن الطلاب اليوم هم قطع من الزجاج الذي قد يتهشم عند أول نفخة هواء. اسأل أي معلمة في مدرسةٍ خاصة عن عدد المرات التي عقد فيها اجتماع أنبت فيه المعلمات بسبب شكوى من أم طالبة رأت فيما قامت به المعلمة جرحًا لمشاعر ابنتها. ولا يملك المرء إزاء ذلك إلا أن يترحم على آبائنا الذين كانوا يجلدون ليلاً نهاراً على يد المعلمين ولا من مغيث. أنا لا أقول خذوا الطالب فغلوه وبالسياط اضربوه، ولكن جرعة من الحزم من وقت لآخر ضرورية. وما يحدث في مدارس أمريكا أكبر دليل.



أيها المرضى، عالجوا أنفسكم

وعن الطب البديل يخصص المؤلف فصلاً كاملاً باعتباره أحد آثار حركة مساعدة الذات خاصة في ظل انتشار صرعات مشبوهة تغرس في نفس المرضى أن الشفاء بيدهم وحدهم، وأن كل ما يحتاجونه للتغلب على أمراضهم هو الإرادة والتفكير الإيجابي. وأن علاج كل مرض جسمي يكمن في النفس. أليس هذا هو نفس ما يردده أعلام حركة مساعدة الذات. وهو يذكر قصة دبي بينسون التي توفيت عام ١٩٩٧م في سن الخامسة والخمسين بعد صراع طويل مع السرطان. ودبي التي رفضت أن تخضع للعلاج الطبي التقليدي وضعت كامل ثقتها بمدعي الطب البديل الذين أكدوا لها أن علاجها بيدها، ورغم أن صحتها كانت تتدهور شيئًا فشيئًا استمر سماسرة الطب البديل يحذرونها من الطب التقليدي. بل حتى عندما وصلت إلى مراحل متأخرة من المرض اتهموها هي، وليس ممارساتهم المشكوكة أو حتى السرطان، بأنها السبب في تدهور حالتها لأنها بدأت تفقد ثقتها و تفكيرها الإيجابي.

هل صحيح أن المجموعة الوحيدة من الناس التي تستطيع أن تثبت لك فائدة كتب تطوير الذات هم كتابها أنفسهم؟ وهل الفرق الوحيد بين قارئ هذه الكتب وكاتبها هو أن الكاتب يستطيع أن يكتب جيدًا بحيث يحصل على عقد كتاب؟ وهل جنت حركة مساعدة الذات على المجتمع أكثر مما خدمته؟ هذا ما يذكره ستيف ساليرنو في كتابه الذي دعمه بالكثير من الدراسات والإحصائيات. و كما يقول في نهاية كتابه: «كلنا نريد أن نؤمن بشدة بالمعجزات، هذا ما يجعلنا ضعيفين، وهذا ما يجعلهم أغنياء».

لابد أن نعترف بأن الموجة قد بدأت تغمرنا. أليس من المفيد أن نتريث قليلاً قبل أن نعتنقها ونفيد من تجارب الأمم الأخرى، أم نحن كالعادة، دائمًا نبدأ من حيث بدأ الآخرون و ليس من حيث انتهوا؟ ■



فكر في المستقبل بشيء من الحكمة والتمعن وقدر من الشجاعة

الكاتب: أ.د.هيدلي بير - أستراليا.
المصدر: ورقة عمل مقدمة لمؤتمر «فكرفي الغد» المقام في سيدني بأستراليا عام ٢٠٠٢م.
ترجمة: عبدالله عبدالمحسن الحربي.

مؤتمر القادة التربويين هذا يحمل عنوانًا مثيرًا: «فكر في الغد!»، أنت وأنا نملك الخيار! رغم وجود مهن كثيرة في المجتمع، إلا أن مهنة المعلم هي المهنة الوحيدة التي ينبغي أن تكون مهنة مستقبلية استشرافية تنظر للأمام بحكمة استباقية نحو المهارات والمعارف التي يحتاج إليها هذا الجيل من المتعلمين كمتطلب لحياة جيدة وناجحة تتسم بتقدير المسؤوليات التي ستسند إليهم عندما يصبحون كبارًا.

اختياري لأكون متحدثًا في هذا المؤتمر الذي يقيمه المجلس الأسترالي للقادة التربويين «ACEL» ينطلق من ثلاثة أمور:

❖ أنا أحد الأنصار الوطنيين لـ«ACEL» وموقفي هذا يجعلني أهتم بسلامة المختصين بهذا الحقل.

❖ أنا أحد المهنيين القدماء الذين عاصروا عدة تغييرات على المهنة قبل سنين من إنشاء الـ«ACEL».

❖ ألفت كتابين (Beare ٢٠٠١; Beare and Sluather1993) وعددًا ضخمًا من المقالات حول مستقبل المدارس (Beare 1996, 1998، 2003)، وأنا الآن مدير للتخطيط التربوي الفعال. لذلك تتوقعون مني تغطية بعض الأجزاء الهامة. وبالرغم من ذلك، فدوري كمحاضر في المؤتمر ليس إعطاء الراحة (ربما يكون هناك مكان للراحة بعد المؤتمر) لكن سيكون مثيرًا أكثر وسنوضح ما هو التحدي الذي سنواجهه.

الأسابيع الماضية، سمعت أن الباحث الاجتماعي الأسترالي «هق ماكي» يلفظ برأي مفاده: أنه خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة وبناء على معلوماته، عشنا أربع ثورات متزامنة. كل من هذه الثورات كلفنا الكثير، ولكن الأثر المشترك لهذه الثورات الأربع، أدى إلى تحول فكرنا بشكل كبير.

❖ هناك ثورة تكنولوجية أعادت بناء فكرنا حول المعرفة والاتصال الفوري عبر الكون الذي يختصر المسافات الجغرافية ويدخل عنوة، بل يتطفل على حياة الدول، رضينا أم أبينا، وأمريكا الشمالية مجموعة من القيم والأيديولوجيات.

❖ لدينا ثورة الجنس الآخر، فخلال جيل واحد تم إعادة صياغة حقوق نصف سكان العالم، حيث تم توظيف المرأة وشاركت في القوى العاملة مثلها مثل الرجل، أعطيت الحق كي تقرر: هل تريد أن تنجب أطفالاً أم لا؟ وقس على ذلك كثيرًا من الأمور التي لم يكن لها خيار فيه في وقت مضى. هذه تبرز دور التفكير في اتخاذ اللازم نحو تطوير الدول للتخلص من بعض الممارسات المستمرة داخل المجتمعات التقليدية والتحول بتفكيرها نحو تطور مشهود وملموس.

❖ الثورة الثالثة: الثورة الثقافية التي سببت جراحًا عميقة للدول التي تتعامل حسب الأصول العرقية للأفراد. هذه الثورة تحدت فكرة أن ملكية الأرض تعتمد على جنس أو عرق من يملكها، بل جابهت كل المحاذير والحدود الدينية. استغلت هذه الثورة فكرة العالمية بحيث أصبحت الأفكار

والممارسات في أغلب الدول متشابهة بشكل لاإرادي، وبحجم يجعل بعض الدول والأفراد يرون أنه من المستحيل القبول بها. بالنسبة لأستراليا والدول الأخرى التي تحوي عرقيات مختلفة مثلنا (الأمريكان)، تفتقد الإحساس بالهوية الاجتماعية وهذا يضعنا في دوامة بحر من النسب المئوية والمجهولات.

❖ الثورة الرابعة: الاقتصادية وتقريبًا تحقق الانتصار الكامل للتطور الاقتصادي في عصرنا الحاضر. ميشيل بسي انتقد بشدة في مقترحاته عام ١٩٩١م السياسة الاقتصادية في كانبيرا التي حقيقة تسبب الجفاف للسياسات الوطنية وكل



الجهاز الحكومي. لو افترضنا أن لا أحد يريد الخروج عن هذه النظرة اليوم، فكيف تكونت هذه الحركات التنويرية التي شكلت الإرادة الشعبية العامة. وقد كان نقده بأسلوب عميق السخرية، ضمن كتابه الأخير: «الخبرة في وسط أستراليا: الجانب المظلم في البنية الاقتصادية».

ما التطبيقات التي يمكن أن تحدثها هذه الثورات الأربع بالنسبة لما يتعلق بالمدارس؟

❖ لو أن أنظمة العالم الجغرافية والسياسية كانت ثابتة وبقيت كما هي حتى في المستقبل المنظور، عندها (وعندها فقط) يمكن أن تبقى نماذج المدارس كما هي.

❖ لو أن التطورات المستقبلية، لم تكن جذرية ولا فرعية بل هي نمو طبيعي وليست ثورة على الواقع كما هو الحال، لقلنا أن أنظمتنا التعليمية السابقة يمكن أن تخدم بشكل جيد في وقتنا الحاضر.

❖ لكن لو أن القرن الحادي والعشرين واجه تحديات رجعية، أنظمة ثورية، والنظرة العالمية هزت افتراضاتنا الأساسية ووصلت أبعاد سياسية واقتصادية جديدة، فإنه من الحماقة ترك كل شيء على ما هو عليه بالنسبة للأنظمة التعليمية. من العار ألا تكون المدارس وطلابها مستعدين لمتطلبات العالم الجديد.

❖ إذا كانت التحديات التي تواجه الجنس البشري بهذا الاتساق، فالأفضل أن يبدأ التخطيط وإعادة البناء فورًا في مدارسنا. لكن نحتاج كثيرًا للحكمة وروح الإخلاص والجودة - بقدر ما نستطيع - وبأسرع ما يمكن.

معرفة كل شيء عن مجتمع القرن العشرين هو الطريق الذي سنصل من خلاله إلى بناء نظام جديد لعمل المدارس، ونحن في هذا المؤتمر نحاول أن نناقش هذا الموضوع ورغم اعترافي بفشلي الذريع إلا أنها محاولة نحو إعادة البناء التربوي للعقود المقبلة من هذا القرن.

احتمالات القرن الحادي والعشرين

لا أستطيع أن أعمل أكثر مما أقترح عليكم بالنسبة لخطورة التحدي الذي نواجهه. على

الرغم أني سبق أن تحدثت عن هذا الموضوع مرات عديدة، ولكني في هذه الورقة أضفت معلومات جديدة من كتابين دراماتيكيين،لاثنين من العلماء، هما:

❖ قرننا النهائي: هل سيبقى الجنس البشري في القرن الواحد والعشرين؟ الذي ألفه الأستاذ الدكتور سير مارتن ريز، المتخصص في علم الكونيات من جامعة كامبرج، ومرصد الفلك الملكي في بريطانيا.

❖ الخمسون عامًا القادمة:العلم في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين، مجموعة من ٢٥ تنبؤًا ألفت عن طريق جون بروكمان.

كلا الكتابين صدقت توقعاتهما عما يحدث في هذه السنة.

يمكن أن نضيف كتاب «بل مقر» الموسوم بـ«الدليل المختصر لنهاية العالم» الذي يحمل عنوانًا فرعيًا نصه: «كل شيء لا تتمنى معرفته». «بل مقر» أستاذ دكتور في علم المصادفات الحيوية بجامعة لندن.

علينا أن نتذكر أن الطفل يولد في هذا القرن وعقله متأثر تمامًا بالثورات الأربع الآنفة الذكر. كطفل لثورة التكنولوجيا، فإنه لا يعرف شيئًا عن الزمن الماضي الذي لا يوجد فيه تلفزيونات، أو إنترنت أو هواتف نقالة، ولا أجهزة حاسب. وكطفل للثورة الاقتصادية، فإنه يكسب منحة مالية من خلال دخوله مسابقة أو منافسة في الأسواق الكبرى، ومن خلال الخدمات العامة التي تقدمها شركات خاصة. ومن خلال السياسات الاقتصادية الراشدة فإن تحقيق العدالة في توزيع الأموال على كل البشر مطلب هام لسلام الجميع. وطفلة الثورة الاجتماعية أو ثورة الجنس الآخر، ترى أن كل طالب وطالبة يجب أن يتلقى تدريبًا مهنيًا جيدًا بعد الانتهاء من المدرسة، لتنافس الرجال على العمل، أو تلتحق بأحد قطاعات التعليم لتكمل بقية دراستها. هي تتوقع أن الرجال والنساء حظوظهم متساوية في التنافس على التوظيف المسيطر عليه رقميًا وضمن شبكة اقتصادية عالمية.

وطفل الثورة الثقافية، تفكيره عالمي لايرتبط بمكان ميلاده أو دولته، هو يتوقع أن يسافر كثيرًا ليعمل بقية حياته في دول ما وراء البحار، وهذا يتطلب منه أن يتحدث ويقرأ بلغات عديدة. ويتوقع أن يمتد به العمر حتى الثمانين ويزيد، ومتأكد أن أبناءه سيكونون أحياء عام ٢١٠٠م.

فبينما هناك دليل قاطع على أن مناخ العالم يتغير إلا أن بعض من أجزاء من العالم مازالت غير متفاعلة مع الاتفاقيات الدولية التي تمت من أجل المحافظة على مناخ العالم من المؤثرات البيئية مثلًا ، الولايات المتحدة مازالت تتملص من الالتزام بمعاهدة تخفيض نسبة الكربون بحجة أن هذا الأمر يؤثر على اقتصادها الوطني

الطفل سيواجه تحولات في الحياة على الأرض فوق ما نتخيل، وسيفكر ويعمل بطرق تختلف عن والديه، ومع مرور الوقت سندرك أن كثيرًا من الاحتمالات صارت شيئًا ممكنًا بشكل لا يستطيع أن يستوعبه البالغون في وقتنا الحاضر.

كما ذكرت في مناسبات ماضية، جيل الطلاب الذين في المدارس الآن ربما يكونون أكثر مجموعة استراتيجية في تاريخ الجنس البشري على الإطلاق. ومع مرور الوقت سيكملون مسيرتهم التعليمية ويدخلون مجال العمل في مهن البالغين، القرارات التي سوف تتخذ (أو لن تتخذ) هي التي سوف تحدد فيما إذا كان للجنس البشري أو لكوكب الأرض ككل مستقبل أم لا؟ يجب أ لا يغيب عن أذهاننا ما قاله ريز: «إننا نشعر أن شيئًا ما فقده الوالدان اللذين غير مهتمين بما يحصل لأبنائهما في سن البلوغ، حتى لو كان ذلك خارج عن إرادتهما» (3-Rees,2003:2).

هل أصبح الأمر خارجًا عن إرادتنا؟ فرانكلي، هناك شيء سيفتقده المربون، إذا هم افتقدوا

الاهتمام بهذه الأشياء. إن مسؤوليتهم ضخمة جدًا. هم على وجه التحديد الذين يتوجب عليهم أن يعالجوا هذه المادة بالحكمة، وجمع المواد الخام للتخطيط. والأمر الأكثر صعوبة، إنه يتوجب عليهم حث الآخرين، والشباب، نحو استشراف مبهج للمستقبل. دعنا نتأمل أربع نواح، حيث الدليل ظاهر فيها بشكل واضح.

لغز السكان:

نعيد للأذهان أن سكان العالم لم يتجاوزوا مليارًا واحدًا حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ووصل العدد لهذا الرقم خلال ٢٠٠,٠٠٠ سنة. والآن نواجه حقيقة مفادها أن عدد العالم وخلال ما يقارب مئة سنة يتجه ليصل إلى ٦,١ مليار نسمة. المليار السادس تكون خلال ١٢ سنة فقط. منذ السبعينيات من القرن العشرين الميلادي، سعى كثير من دول الأرض إلى إبطاء عملية سرعة التزايد في عدد السكان. ومع هذا، فإنه من المتوقع أن يزيد عدد سكان العالم ٣ مليارات إضافة على العدد الحالي قبل عام ٢٠٥٠م، وبمعدل مليار لكل ١٧ سنة تقريبًا. نحن لانستطيع الجزم بمقدرة العالم على توفير الغذاء لتسعة مليارات نسمة من البشر، ولا نضمن أن يوفر له حتى الماء ليشرب، أو أنهم ربما بسبب الإهمال قد يلوثون أو يسممون بيئة الأرض. القرن العشرون كان قرنًا دمويًا كما يذكر ريز (٢٠٠٣م:٢٦)، لأول مرة في تاريخ البشر يقتل عدد كبير من الناس بسبب الحروب والكوارث الطبيعية.

الأمر الأكثر أهمية أنه سوف يرافق هذه التطورات العلمية تزايد ضخم في حجم المعلومات بشكل يفوق قدرة العقل البشري ، وهذه المعلومات لا يمكن السيطرة عليها إلا عن طريق أجهزة عالية الذكاء

في هذا القرن يتوجب علينا أن نواجه حقيقة التعداد السكاني الهائل المتمثل في ٩ مليارات نسمة والذي لانستطيع توقع أنه سيتبنى نفس معايير المعيشة التي يعيشها أغلب الناس اليوم. لكن العالم لايمكن أن يعيش أو يستهلك من المصادر مثل ما يفعل الناس في الولايات المتحدة الأمريكية. علق ريز (٢٠٠١م:١٠٢):

«ثلاثة كواكب تقريبًا ربما تكون مطلبًا لمواجهة تزايد سكان العالم ودعمه بأسلوب الحياة وعادات الاستهلاك كمقدمات للوصول لعام ٢٠٥٠م... العالم لن يستمر للأبد يزود هذا الكم المتنامي من السكان بنفس الأسلوب الحاضر للمعيشة كما هو موجود لدى الطبقة المتوسطة من الأوربيين والأمريكيين الشماليين».

ما الاحتمال الأقوى الذي تظنه يحصل لمجموعة من الناس يتمسكون بمبادئ معيشتهم ويؤكدون أن المبادئ الأخرى ستبقى؟ «عش ببساطة؛ لذلك الآخرون ربما يعيشون ببساطة» هذه الحقيقة القاسية لهذا الجيل من الطلاب.

التساؤل المهم الذي نواجه يكمن في: «هل يستطيع كوكبنا الأرضي توفير الحاجات الأساسية لهذه الأعداد المتصاعدة من السكان» وبدون أخطاء كبيرة؟ الطلاب في المدارس الآن يدرسون عواقب التزايد السريع في الجنس البشري، وبين ٢٠٢٠م و٢٠٣٠م، سيعرف الناس في العالم ما إن كانوا قادرين على السيطرة على تصاعد أعداد السكان، أم أن هذا الأمر أصبح بمنزلة صخرة سقطت من السماء ليس بمقدور البشر التحكم في إيقاف سيرها. من إذًا سيقرر أي جزء من سكان الأرض سينقرض وأي جزء سيبقى؟ هل يوجد أحد يستطيع أن يقرر؟

أبدى العلماء ثلاث ملاحظات هامة تحتاج إلى أن ينصت لها بهذا الخصوص. الأولى توزيع السكان على الأماكن الخالية من الأرض لتخفيف ضغوط ازدحام السكان. يقول ريز (٢٠٠٣م:١٧٠):«ليس أكثر من نسبة صغيرة من سكان الأرض يغادرون، ليعيشوا خارج الكوكب الأرضي، القمري. والأخير

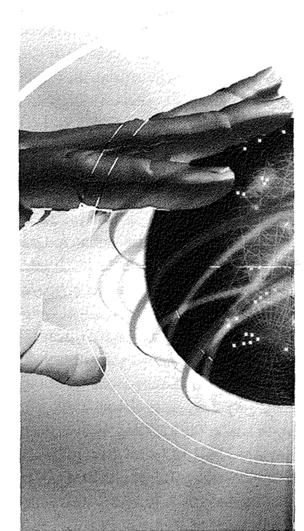
ظهر عام ١٩٧٢م،أي قبل أكثر من ثلاثين سنة». الملاحظة الثانية الفكرة القائلة إن مشروع الوصول إلى الكواكب الأخرى قد تم بنجاح، لذلك يرى كثير من العلماء المستقبليين ومنهم فريمان دايسون أنه وخلال قرن أو قرنين من الآن ربما (ينتج) نوع البشر الفضائيين«Homo Sapiens»، حيث ربما يستطيع بعضهم العيش خارج كوكب الأرض.

ثالثًا: بالرغم من أن الجنس البشري خلال هذا القرن لديه القدرة على التحكم في عملية نموه، إلا أن بروكمان (٢٠٠٢م:١٩٢،١٨٩)، الرائد بالذكاء الصناعي أكد أن: «نمونا كأفراد وكجماعات، أصبح في طريق منحدر، وفي العشر أو العشرين سنة القادمة سيكون هناك تحول ثقافي نحو تبني تقنية الرجل الآلي، والسليكون، والاستيل داخل أجسامنا لتحسين أدائنا وفهمنا للعالم. روني بروكس يسميها «اندماج اللحم مع الآلات». لذلك قال الهنغاري متعدد الثقافات «زنتهلي»، الذي كان مستشارًا لحكومة كلنتون وحكومة بلير في بريطانيا: «بما أننا في مملكة المصممين الرضع، أدرك أننا الآن نقيم الأسباب المجردة للمهارات والذكاء، سيقود قدرتنا على تعزيز هذه السمات وراثيًا من خلال إنتاج نوعية جيدة من البشر بشكل مدروس». قضية تزايد سكان العالم، ريز(٢٠٠٣م:١٣٧) يرى أن لها ثلاثة احتمالات: إما أنه يجب خفض عدد السكان، أو أنه يجب الاحتياط له حتى عند أدنى المستويات (عن طريق نشر المصادر بشفافية وعلى نحو واسع)، أو أن كارثة ستحل بالعالم قبل انتهاء هذا القرن.

الانحلال البيئي:

التساؤل حول مشكلة تزايد أعداد السكان في العالم يقودنا لربط هذه المشكلة بالبيئة. فعدم التوازن في تزايد السكان تسبب في عدم التوازن البيئي لكوكب الأرض. أحد أبعاد هذا الدفء الكوكبي، مثلاً، ردود الفعل المتتالية التي ربما تكون قوية لدرجة لا يستطيع الجنس البشري معاكستها أو الصمود أمامها. إذا كانت الحال كذلك، فإن القطبين المتجمدين سيذوبان بسرعة أكثر، والبحار ستزيد مساحتها بشكل يؤثر على منازل ملايين الناس الذين يسكنون بالقرب من البحار، بعض الكائنات البحرية (مثل المرجان) سوف تنقرض تمامًا، حالة الطقس سوف تتغير متأثرة بما طرأ على البحار من تغير، سيكثر الماء على سطح الأرض، ستحصل وبشكل متكرر سلسلة من الأحداث المفجعة مثل هبوب العواصف والأعاصير،والفيضانات، وحالات المد والجزر، والجفاف والعادات المألوفة للطيور والحيوانات ستتغير وستجدها تهاجر إلى مواطن أخرى بشكل لم يعهد من قبل. فهل هذه التحولات المتعددة في الكون قد بدأت بشكل لا يمكن للجنس البشري السيطرة عليه؟

المشكلة كما يراها ريز(٢٠٠٣م:٢، ١١١)،



فكر في المستقبل بشيء من الحكمة والتمعن وقدر من الشجاعة

أنـه من الممكن أن تبدأ سلسلة من ردود الفعل التي تنحت كل شـيء على سطح الأرضـ. الماء الدافئ يتحرك نحو الشمال الشرقي باتجاه القارة الأوروبية قرب سطح البحر، ويعود ليبرد في أعماق سحيقة منه. ذوبان الجليد ربما يكون كمية ضخمة من الماء العذب الـذي ربما اختلط بالماء المالح بشكل ربما يقلل الملح بحيث إن المواد الطافية ربما لا تغوص بعدما يبرد الماء. وعندما يظهر هذا الأمر ربما يؤثر على درجات الحرارة في أوروبا. لو حصل فيضان للخليج لغمرت بريطانيا والدول المجاورة متأثرة بالظروف الجليدية القريبة منها، وربما يحصل الشيء نفسه في كندا وسيبيريا.



الجهود الكبيرة للتغلب على التحولات البيئية يحبطها الاهتمامات الذاتية للمناطق المختلفة من العالم، فبينما هناك دليل قاطع على أن مناخ العالم يتغير إلا أن بعض من أجزاء من العالم مازالت غير متفاعلة مع الاتفاقيات الدولية التي تمت من أجل المحافظة على مناخ العالم من المؤثرات البيئية مثلاً، الولايات المتحدة مازالت تتملص من الالتزام بمعاهدة تخفيض نسبة الكربون بحجة أن هذا الأمر يؤثر على اقتصادها الوطني. سلايد برستوتز من معهد واشنطن للاستراتيجيات الاقتصادية، والمستشار في إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريغن، ذكر في كتابه: «الشعب المخدوع: أحادية الأمريكي والفشل في تحقيق النوايا الطيبة» عام ٢٠٠٣م: «في الستة الأشهر التي سبقت الهجوم على مبنى التجارة العالمية، كانت الولايات المتحدة تمشي بعيدًا عن معاهدة ضبط العالم بجيوش صغيرة. في السنة التي تلت الهجوم أعلنت أمريكا معاهدة «ABM» التي فرضت تعرفات على الفولاذ الأجنبي مخالفة بذلك محكمة العدل الدولية، وغزت أفغانستان وهاجمت العراق بدون دعم من قرارات مجلس الأمن الدولي. حتي في أحسن الأحوال، تغيرت النظرة تجاه أمريكا من داعية للعدل والديمقراطية إلى دولة فيها أكبر شعب شاذ ومخدوع في العالم».

نفس النفور من أمريكا ظهر عندما بدأت تضغط دبلوماسيًا على كوريا الشمالية لمنعها من حقها في امتلاك التكنولوجيا النووية. نحن هنا نتكلم عن العالم الذي كثير من طلابه ما زالوا يدرسون في مدارسنا.

التطورات الجغرافية والسياسية:

لا نحتاج أكثر من الهجوم الإرهابي المتعمد في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م على برجي التجارة العالمية في نيويورك لنبرهن عواقب العداوات الجغرافية والسياسية. في عام ٢٠٠٢م ميلادي دق ناقوس الخطر في أوروبا، ومن إيرلندا إلى أمريكا الجنوبية إلى مناطق مختلفة من العالم بسبب انتشار مرض «سارس» الذي هدد الاقتصاد العالمي من خلال تناقص إعداد السياح الذين

اعتادوا الذهاب للدول التي انتشر فيها المرض، وذلك أثر بدوره على دخل الخطوط الجوية لكثير من الدول. الاقتصاد العالمي أيضًا يتأثر بمثل هذه الأحداث، فليس بإمكان دولة أن تقيم اقتصادها وتحافظ على صحة مواطنيها بدون تعاون الدول الأخرى، لذلك فإن احتمالية أي عملية تطوير حقيقة تعتمد على الأحداث، والقرارات والاتجاهات لدى جيل الطلاب الذين هم الآن في المدارس في دول العالم المختلفة.

دوامة العلم والتكنولوجيا:

المجتمع العلمي والتكنولوجي لديه الكثير من الإنجازات الجديدة والمستقبلية التي يمكن أن تؤثر في العملية التعليمية والتربوية في المدارس.

الحاسبات الآلية ستزيد من إمكانياتها مئة مليون مرة عن وقتنا الحاضر. ويذكر العلماء أنه خلال السنوات الخمسين القادمة ستظهر الحاسبات الكمية، وستظهر أجهزة الاتصال الكمية. ويذكر (Brockman 2002:98)، أن أكثر ما يمكن أن يكون مخيفًا حدوثه في المستقبل هو ما سماه «قودوين»، «زواج العلم»، بحيث يتطور علم الهندسة الوراثية ويستخدم الاستنساخ بشكل تجاري بحيث تحدث ضغوط انتقائية لإنتاج أو استنساخ أطفال سعداء لتكوين مجتمع سعيد. وربما نصل إلى وقت تحدد فيه الحاسبات المركزية عدد المحاربين والعمال وحتى العاطلين عن العمل الذين نحتاج إليهم للجيل القادم.

الأمر الأكثر أهمية أنه سوف يرافق هذه التطورات العلمية تزايد ضخم في حجم المعلومات بشكل يفوق قدرة العقل البشري، وهذه المعلومات لا يمكن السيطرة عليها إلا عن طريق أجهزة عالية الذكاء كما يذكر ريز (٢٠٠٣م:٩).

ولعلنا نذكر عام ١٩٩٧م كيف دفن بطل الشطرنج الروسي كاسبراوف نفسه عندما تمت هزيمته باللعبة عن طريق حاسب آلي من نوع آي بي إم يسمى «Deep blue»، مع أنه ولقرون مضت كان الشطرنج لعبة عليا للذكاء والخيال والشجاعة والتخطيط، ويوصف الماهر فيها بالعبقري ولكن الآن أثبتت الآلة أنها قادرة على الإبداع بهذه اللعبة أكثر من الإنسان. وهذه نقطة

أطفالنا في هذا القرن معرضون لكم هائل من الانتقال المتزامن للمعلومات وعلى عدة أبعاد ، لذلك يجب علينا تعليمهم ما نتوقع أن يحدث ؛ وذلك من خلال عرض تاريخي للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت عبر العصور الماضية وكيف تكون هذا النموذج الجديد في رؤية العالم ، وتسلسل الأحداث التي كونت المجتمع الحالي

مهمة يجب أن نأخذها في اعتبارنا عند التفكير في مدارس المستقبل.

المدرسة من أجل مجتمع المعرفة:

من خلال العرض السابق يجب أن تكون لدينا قناعة ذاتية بأن أطفالنا في هذا القرن معرضون لكم هائل من الانتقال المتزامن للمعلومات وعلى عدة أبعاد، لذلك يجب علينا تعليمهم ما نتوقع أن يحدث؛ وذلك من خلال عرض تاريخي للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت عبر العصور الماضية وكيف تكون هذا النموذج الجديد في رؤية العالم، وتسلسل الأحداث التي كونت المجتمع الحالي. منذ ما قبل عصر الصناعة حيث كان العصر الزراعي أو العصور الملكية كما تسمى وفيها كان السيطرة لرؤساء المجموعات وشيوخ القبائل على الأراضي الزراعية وفيها كان الناس يأتون من الأرياف ليبيعوا قطعان الماشية من خراف وخنازير وإنتاج المزارع في سوق المدينة الوحيد. وفي تلك العصور كان المجتمع منفصلًا بعضه عن بعض ولا مجال للاتصال بين أفراده، ويمكن تمثيل طبقات الناس بتسلسل هرمي حسب ما يملكون من أراض.

التغير الضخم ظهر مع بداية الثورة الصناعية وإنتاج الميكنة والمصانع عندما ترك الناس الريف

فكر في المستقبل بشيء من الحكمة والتمعن وقدر من الشجاعة

واستوطنوا المدن التي أصبحت تحتاج لإعادة هيكلة للبنى التحتية بسبب تزايد عدد السكان، فهي تحتاج لوسائل نقل وإلى احتياطي في المياه وإلى معالجة مخلفات السكان وإلى تصريف للمجاري وإلى نظام للمدارس. هذا التغير أعاد تشكيل العلاقات الاجتماعية، وفكر المجتمع ومعنى الجوار. في العصر الزراعي المبكر، مجتمع القرية يحتاج للعشب والأرض الخصبة لإنتاج البضائع التجارية. ومجتمع القرية يتميز بالترابط الاجتماعي. وهذا المجتمع أغلب أبنائه يتلقون التعليم الابتدائي، أما التعليم الثانوي فكان من نصيب الطبقة الغنية والحاكمة فيه. العصر الصناعي كان يحتاج إلى مصانع كبيرة تعتمد على مناجم كبيرة وعلى إنتاج المعادن، والطاقة الكهربائية، وعلى حياة طيبة في الضواحي، وعلى لياقة اجتماعية لخدمة تمركز الناس في مكان واحد. وبهذا تكونت المدن الضخمة والمدنيات الكبيرة، ومدارس الضواحي، والتعليم الكوني، والتعليم الإلزامي والتعليم الجامعي.

نحن الآن نواجه تغييرًا آخر - مثل العصور السابقة - يتطلب منا ملاءمة لإبداعات جديدة وثرية، واستخدامًا أفضل للمصادر، وتقدمًا في تكوين المواطن العالمي الذي يشعر بأنه يعيش في

بعد خمسين سنة من الآن ستصبح المدرسة عبارة عن مجموعة عشوائية من أطفال الجوار. كل طفل ستعين له لوحة إلكترونية منفصلة، وعشرون طالبًا يجلسون في فصل في «مدرسة الجوار» وهم في الحقيقة يذهبون إلى عشرين مدرسة منفصلة، لكنهم يستطيعون أن يتناولوا الغداء معًا، ويمرحون في الخارج معًا

مجتمع لا تحده حدود. مجتمع القرن الواحد والعشرين سيتغير مفهومه بشكل يمكن الناس من الاتصال بمحركات إنتاج واستخدام المعرفة لإشباع حاجاتهم الاجتماعية. يجب أن نتوقع لمدينة ومجتمع المعرفة أن يكونا مختلفين عن المدينة والمجتمع في العصور الوسطى أو في عصر الصناعة.

نحن نعرف مسبقًا ماذا تعني مدينة المعرفة وكيف ستكون بدايتها، وقد كتب حول هذا الموضوع بشكل مركز وواضح (Beare 2001,2003)، ولكن فوجئت أن عددًا من العلماء تحدثوا بنفس الطريقة عن الشكل الذي سيطرأ على المدارس والمدن. ديفد جيرلنتر، أستاذ علوم الحاسب الآلي في جامعة ييل وخبير الذكاء الاصطناعي قال في كتاب بروكمان: «بعد خمسين سنة من الآن ستصبح المدرسة عبارة عن مجموعة عشوائية من أطفال الجوار. كل طفل ستعين له لوحة إلكترونية منفصلة، وعشرون طالبًا يجلسون في فصل في «مدرسة الجوار» وهم في الحقيقة يذهبون إلى عشرين مدرسة منفصلة، لكنهم يستطيعون أن يتناولوا الغداء معًا، ويمرحون في الخارج معًا، ويمكن للبالغين (سواء كانوا يحملون شهادة تربوية أو لا) أن يضعوا أعينهم عليهم ويراقبوهم». «مكاتب الجوار سوف تعمل بالطريقة نفسها. فأنت يمكن أن تعمل في مكتب صغير مع ٢٤ موظفًا يوجدون في شركات مختلفة لكنكم تقضون وقت العمل سويًا من خلال الاتصال التقني. ستستمر الحاجة إلى المنازل، وأماكن التجمع العامة. الناس سوف يسافرون وينتقلون، ولكن سيستمرون في البحث عن الراحة في المنزل والجوار». ويضيف جيرلنتر: «العالم بعد نصف قرن من الآن سوف يكون مختلفًا وسيعمل بشكل مختلف. سيكون أغنى من الآن، وسيمتلك تقنية أكثر أناقة وربما أكثر بهجة من وقتنا الحاضر» (Brockman 2002:240-241).

هناك كتابات كثيرة حول: ماذا ستكون عليه المدارس في المستقبل؟ وليس هذا مجال لتعداد تلك الكتابات وما ذهبت إليه. يكفي أن نقول إننا لم نعد نفترض أن المدارس والتعلم ستبقى كأنشطة



للشباب والمراهقين، ولا التسهيلات التعليمية ستبقى قصرًا على فئات عمرية معينة. «التعلم مدى الحياة» عبارة تستخدم كثيرًا هذه الأيام، بشكل سينتج عنه موجة مد وجزر في مجال إصلاح تسهيلات التعلم . الناس يتوقعون أن توفر المعاهد التعليمية المتخصصة احتياجاتهم في المستقبل. أيضًا يتوقعون أن تكون الوسائل التعليمية موجودة في المدارس بشكل أكثر كثافة من وقتنا الحاضر.

عندما تحتوي المدينة على شبكات عمل، وعندما تتبنى المدرسة نفس الهيكل ونمط العمليات، سوف يعملان سويًا متعاونين لدعم عملية التعلم. التعقيد المعطى أيامنا هذه للمعلومات التكنولوجية هو الذي يكوّن مسافة، مع أن الجغرافيا والوقت لا علاقة لهما بأن تكون مجتمعات الأرياف أقل نصيبًا في التعليم من مجتمعات المدن. والمتوقع مستقبلاً أن تتخذ القرى والمدن نفس السياسة التعليمية. وعمومًا المعيشة في كل من المدينة والقرية سوف تتغير طبيعتها.

مجتمع التعلم سوف يصبح عبارة عن شبكة إلكترونية من المتعلمين تمتلئ بخيارات عديدة يقدمها مزودي الخدمة من الحكومة أو القطاعات الأهلية. وهذا الأمر يقودنا إلى التفكير حول الوضع الذي ستكون عليه المدارس في المستقبل، وما هي الخصائص التي يجب أن تتبناها المدارس الآن من أجل توفير فرص الاستخدام المتعدد الذي ربما يكون أمرًا بالغ التعقيد، ولكنه ربما يكون داعيًا لتصميم مدني مبدع.

خطوط التقسيم بين المعاهد سوف تميل إلى الضبابية:

المشروعات الجديدة - التي ستميل إلى أن يكون نصفها بحثيًا ونصفها الآخر إنتاجًا تجاريًا - سوف تظهر على السطح بشكل أكثر، الحكومة والمخططون المدنيون سيوطنون المشروعات في مجموعات صناعية حيث التوزيع والفروق تكون بعيدة عن التعقيد. الفروق الحادة بين المدارس الحكومية والأهلية سوف تختفي.

التقدم للأمام عن طريق النظر للخلف:

عندما نفكر فيما ستكون عليه المدارس في المستقبل يجب علينا أن نرجع إلى الوراء وندرس تاريخ المدارس منذ بدايته ونحلل التحولات عبر الأزمنة المختلفة في وظيفة المدرسة في المجتمع، وندرس ظروف المجتمع في كل حقبة زمنية من فترات التحول أو التطور والنمو المدرسي، وخصوصًا في القرن السابق (العشرين)، ونقارن تلك الظروف بظروف مجتمعنا في وقتنا الحاضر لنستطيع وبقدر كبير من الثقة أن نتنبأ بما سيكون عليه حال المدارس في المستقبل، وما المهام التي يمكن أن تنجزها من أجل بناء مجتمع متوازن ومبدع يتميز بروح التعاون ويستمتع بالأمان والرفاهية.■

فكر في المستقبل بشيء من الحكمة والتمعن وقدر من الشجاعة

المراجع

-BEARE, H. (1990) Educational Administration in the 1990's ACEA Monograph Series No 6. Hawthorn, Victoria: Australian Council for Educational Administration.
-BEARE, H. and SLAUGHTER, R. (1993) Education for the Twenty First Century. London: Routledge.
- BEARE, H. (1995)What is the Next Quantum Leap for Australian School Systems? The 1994 Currie Lecture. Hawthorn, Victoria: Australian Council for Educational Administration.
-BEARE, H. (1996) Education for the Third Millennium . Jolimont, Victoria: IARTV Seminar Series. No 57.
-BEARE, H. (1998) Who Are the Teachers of the Future? Jolimont, Victoria: IARTV Seminar Series No 76
- BEARE, H. (2001) Creating the Future School. London: RoutledgeFalmer.
- BEARE,H. (2003) 'The School of the Future' in Davies, B. and West-Burnham, J. (eds) Handbook of Educational Leadership and Management London: Pearson Longman
-BRAIN, P. (1999) Beyond Meltdown: the Global Battle for Sustained Growth. Sydney: Scribe.
- BROCKMAN, J. (2002) The Next Fifty Years: Science in the First Half of the Twenty-First Century. London: Weidenfeld & Nicholson.
-BRODERICK, D. (1997) The Spike. Sydney: Reed Books.
-DAVIES, B. and WEST-BURNHAM, J. (eds) (2003) Handbook of Educational Leadership and Management. London: Pearson Longman
-ECKERSLEY, R. (2001) 'The End of Humanity?' The Age (Age Extra) 24 Apr 2001. p. 5
-FULLAN, M. (1995) Reshaping the Teaching Profession. IARTV Seminar Series No 50. Jolimont, Victoria: IARTV.
-HANUSHEK, E. (1994) Making Schools Work: Improving Performance and Controlling Costs. Washington, D.C.: Brookings Institution.
-HARGREAVES, A. (1994) Changing teachers, Changing Times: Teacher's work and culture in the postmodern age. New York: Teachers College Press.
-HARGREAVES, A. (1996) 'Transforming Knowledge: Blurring the Boundaries Between Research, Policy, and Practice'. Educational Evaluation and Policy Analysis. 18(2). Summer
-HARGREAVES, D.H. (1997) 'A Road to the Learning Society' School Leadership & Management 17(3) pp. 921-
- KURZWEIL, R. (1999) The Age of Spiritual Machines. London: Orion Books.
- LIPNACK, J. and STAMPS, J. (1994) The Age of the Network: Organizing Principles for the 21st Century New York: Wiley.

LONG, B. (2003) 'The tyranny of assessment in our schools' The Age 3 Sept 2003, p. 12
- MACKAY, H (Hugh). (1993) Reinventing Australia. Pymble, NSW: Angus & Robertson.
- McGUIRE, W. (2002) A Brief Guide to the End of the World. Oxford: Oxford University Press.
- OHMAE, K. (1995a) The End of the Nation State. London: HarperCollins.
- OHMAE, K. (1995b) The Evolving Global Economy. London: Collins.
- OSBORNE, D. and GAEBLER, T. (1993) Reinventing Government: How the Entrepreneurial Spirit is Transforming the Public Sector. New York: Penguin (Plume).
- PINAR, W.F. (2003) International Handbook of Curriculum Research. Louisiana: Lawrence Erlbaum Associates.
- PRESTOWITZ, C. (2003) Rogue Nation: American Unilateralism and the Failure of Good Intentions. New York: Basic Books
- PUSEY, M. (1991) Economic Rationalism in Canberra. Cambridge: Cambridge University Press.
- PUSEY, M. (2003) The Experience of Middle Australia: The Dark Side of Economic Reform. Cambridge: Cambridge University Press.
- REES, M. (2003) Our Final Century. London: William Heinemann
- REYNOLDS, D. and CUTTANCE, P. (eds) (1992)School Effectiveness: Research, policy and practice. London: Cassell
- REYNOLDS, D.(1994) Advances in School Effectiveness Research and Practice. Oxford: Pergamon.
- REYNOLDS, D., CREEMERS, B.P.M., NESSELRODT, P.S., SCHAFFER, E.C. STRINGFIELD, S., and TEDDLIE, C. (eds) (1994) Advances in school effectiveness research and practice. Oxford: Pergamon Press
- SAMMONS, P., HILLMAN, J., and MORTIMORE, P. (1995) Key characteristics of effective schools: A review of school effectiveness research. London: OFSTED
- SCHEERENS, J. and BOSKER, R. (1997) The Foundations of Educational Effectiveness Oxford: Elsevier Science
- STOLL, L. and FINK, D. (1996) Changing Our Schools: Linking School Effectiveness and School Improvement. Buckingham: Open University Press
- SOBEL, D. (1998) Longitude. London: Fourth Estate.
- TOWNSEND, T., CLARKE, P., and ANSCOW. M. (eds) (1999) Third Millennium Schools: A World of Difference in Effectiveness and Improvement . Lisse: Swets & Zeitlinger.
- WINCHESTER, S. (1998) The Surgeon of Crowthorne. London: Viking
- WINCHESTER, S. (2001) The Map that Changed the World. London: Viking
- ZBAR, V. (1995) New Trends in Organization and Management. Melbourne: IARTV Seminar Series. No 43

في بريطانيا

دعوة لإجراء تغيير جذري في المدرسة

المصدر: بي بي سي نيوز بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٧م

الكاتب: إدارة التحرير

ترجمة: أحمد أبوزيد محمد

طالب وزير التعليم البريطاني بإحداث تغيير جذري في الفصول المدرسية من أجل «شخصنة» التعليم لكل طفل.
في مؤتمر عقد في مدينة بريستون البريطانية، عبر وزير التعليم جيم نيت عن رغبته في إيجاد نظام تعليمي لا يتعلم فيه الطفل على نحو روتيني ممل ولا يتخلف فيه طالب عن مواصلة تعليمه. وتأتي دعوة الوزير في أعقاب نشر تقرير رسمي عن النظام التعليمي في البلاد تضمن توصية بتوفير «مرشد تعليمي» لكل طفل. وأوصى التقرير، الذي عرف بتقرير جيلبرت، نسبة إلى كريستين جيلبرت التي تترأس هيئة «أوفستد» للتفتيش التعليمي، بمراجعة المنهج الدراسي القائم ونظام الامتحانات المتبع، وهي الخطوة التي لقيت ترحيبًا من جانب النقابات التعليمية المختلفة.

وقد صرح وزير التعليم قائلًا: «أرغب في أن أرى تغييرًا جذريًا ذا معنى جوهري يفيد جميع الطلاب وأولياء الأمور، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال نظام تعليمي يراعي شخصية الطالب ولا يجعل لمستواه في أي فترة ماضية في حياته تأثيرًا سلبيًا على تقدمه وآماله. ويجب أن يرتفع مستوى الطلاب في هذا النظام نحو الأفضل حتى تضيق الفروق بينهم في النتائج».

من جانبها قالت السيدة جيلبرت، التي ترأست اللجنة التي أعدت التقرير، إن شخصنة التدريس والتعليم هي الأمر الذي يهم كل ولي أمر، وهو الأمر الذي يستحقه كل طفل، وهو الهدف المنشود الذي تحتاج إليه البلاد لتفي بالتحديات العالمية للقرن الحادي والعشرين. ويضيف التقرير «إن الأمر يتعلق بتحقيق الهدف الأخلاقي وبتحقيق العدالة الاجتماعية، حيث إن الطلاب المنحدرين من فئات فقيرة للغاية (المعوزين) هم أقل الناس فرصة من حيث احتمالية تحقيق مستوى طيب».

وقد أوصى التقرير بعدة أمور من بينها:

ضرورة أن تحدد جميع المدارس كيفية «شخصنة» التعليم، أي جعله يتوافق مع المهارات الشخصية لكل طالب، بحيث تصبح هذه العملية حقيقة واقعة.

يجب تشكيل مجموعة لتقوم على وجه السرعة بمراجعة كيف ينبغي تطوير المنهج الدراسي وطرق التقييم.

يجب استخدام المعلومات التي يتم استخلاصها من الطلاب في تصميم الدروس.

يجب أن يتوفر في المدارس الثانوية «مرشدون تعليميون» لرصد التقدم في العملية التعليمية وتقديم النصيحة للطلاب وأولياء الأمور.

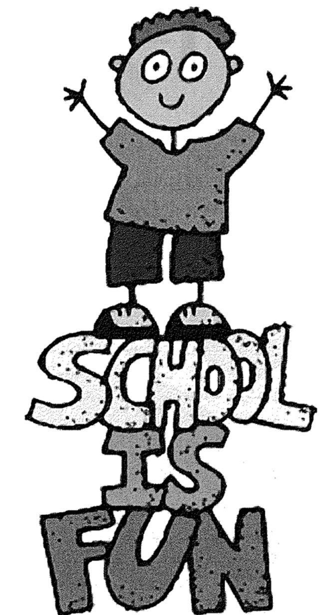
ينبغي مراجعة برامج تدريب المعلمين، ويمكن منح المعلمين المميزين إجازة أو فترات تفرغ لتعزيز مهاراتهم.

يجب تشكيل مجموعة يكون هدفها تمييز الإبداع المؤثر والفعال في التعليم وتفريقه عن الأنماط السائدة في التدريس.

يجب على الحكومة أن تجعل من أهم أهدافها ألا يتخلف أي طالب عن مواصلة التعليم ويجب أن تسعى إلى زيادة مستوى تقدم الطلاب.

بالنسبة للطلاب الذين لا يتقدمون على النحو المأمول، يجب أن يكون لهم الحق في الحصول على دعم إضافي، كتدريس الطالب بشكل منفرد، سواء داخل أو خارج المدرسة.

ويرى وزير التعليم البريطاني/ السيد نايت أن «شخصنة» التعليم ظلت طوال شهور أمرًا أشبه بالحلم البعيد، الذي يبشر في حال تحققه بمستقبل واعد وطيب للغاية. وقد حان الوقت الآن أن نضع الأفكار النظرية قيد التجربة، وهو ما يعني عمليًا إحداث تغيير في نظام التعليم والطريقة التي نقدمه بها، وسيكون لهذا التغيير دلالاته بالنسبة للمناهج الدراسية وتقييم الطلاب والوسائل التي نحكم بها على نجاح الطلاب من عدمه.



مراجعة التقدم

كان ديرك وايز، الناظر في مدرسة كرملنجتون كومينتي الثانوية في بلدة نورثمبرلاند، أحد أفراد فريق المراجعة أو التقرير المشار إليه، وقد صرح قائلًا: «إن الشيء المهم حقًا أن يكون هناك شخص في المدرسة يعرف الطالب، وعلى اطلاع بالعمل الذي يقوم به الطلاب، ودراستهم، وأن يكون لديه الوقت الكافي الذي يقضيه معهم، ولنقل نصف ساعة مع كل طالب في كل نصف «ترم» أو فترة دراسية، وخلال هذا الوقت يراجع مدى تقدم الطلاب ويحدد معهم الأهداف».

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن كثيرًا من الطلاب المجتهدين وأولئك الطلاب الموهوبين وذوي المهارات قد تلقوا بالفعل مساعدة إضافية. وفي هذا السياق، يرى ديرك وايز أن «شخصنة» التعليم ستضمن أن تحصل الأغلبية التي تتعثر في منتصف الطريق على تعليم يتناسب مع ظروفهم ومهاراتهم أيضًا.

وقال رئيس الاتحاد الوطني للمعلمين، ستيف سنوت: «إذا قررت الحكومة أن تقيم التأثير الضار الذي تخلفه الامتحانات على الطلاب والمدارس، فسيكون هذا القرار بمثابة تحول ضخم في نهج التفكير».

ودعا وزير التعليم في حكومة الظل، نيك جيب، المدارس إلى الشروع في التدريس للطلاب على أساس المجموعات ذات القدرات المتساوية أو المتشابهة. وأضاف أن «تفصيل المنهج الدراسي بما يتناسب مع قدرة كل طالب يجب أن يؤدي بالتأكيد إلى تحقيق مستويات مرتفعة من الإنجاز في جميع المجموعات ذات القدرات المتقاربة».

أما الناطقة باسم وزارة التعليم في الحزب الليبرالي الديمقراطي المعارض، سارة تيثر، فشككت في جدوى ما ينادي به الوزير، قائلة: «إن الحديث عن «شخصنة» التعليم يدخل ضمن إطار استخدام اصطلاحات جديدة سرعان ما تذهب مع الريح من دون أن تحقق التغيير الذي نرغب فيه في مجال التعليم». ■

دعوة لإجراء تغيير جذري في المدرسة

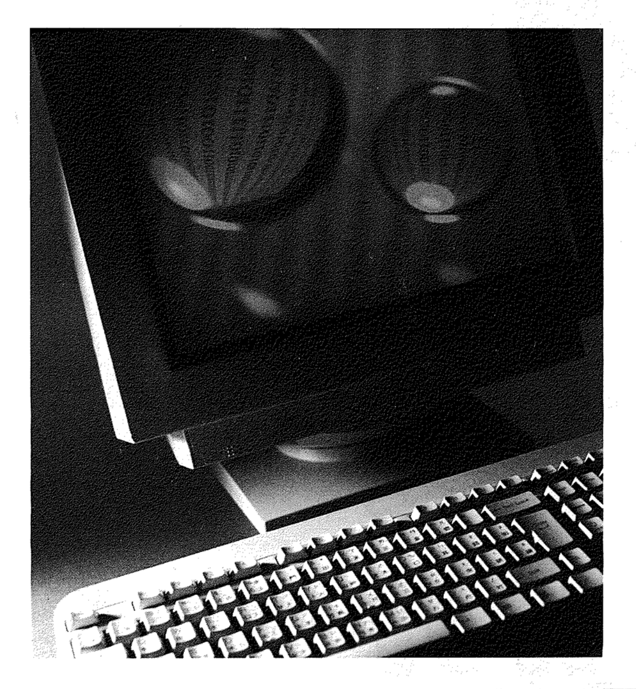


كل ١٠٠ عدد وأنتم بخير

مجلة التدريب والتقنية

سيناريوهات المستقبل للتعليم الإلكتروني السعودي

مجتمع المعرفة أو للخلف دُرْ !!



معرفة المستقبل وإدراكه بدقة غير متاحة للبشر، ولكن السعي إلى استشرافه واجب لا يمكن لمن أراد التخطيط الواعي إلا أن يتبعه. من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي أعدها الباحث د.علي العقلا، وهي أول دراسة عربية تتبنى منهجية بناء السيناريوهات المستقبلية للتعليم الإلكتروني وتطبيقها إمبريقيًا في بلد عربي، وذلك بحسب ما ذكره الباحث.

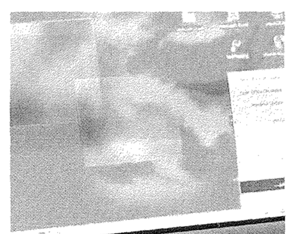
من الناحية النظرية راجعت هذه الدراسة مفهومي «الدراسات المستقبلية» و«التعليم الإلكتروني»، ثم انتقلت إلى الشرح العلمي لمنهجية «بناء السيناريوهات» ووصفتها بأنها قصص مستقبلية. أما من الناحية التطبيقية الإمبريقية فقد تمت مقابلة أكثر من عشرين خبيرًا من الخبراء ذوي العلاقة بالتعليم الإلكتروني في المملكة العربية السعودية، من خلال جولات متلاحقة من المقابلات. ويأتي هؤلاء الخبراء من خلفيات متنوعة في التعليم العام والتعليم العالي، بالإضافة إلى الخبراء المتخصصين في تقنية المعلومات إلى جانب المتخصصين تربويًا، كما أن هناك تنوعًا لمن مُسحت آراؤهم بأسلوب المقابلة بين القطاعين العام والخاص في محاولة لإثراء الدراسة، وإيجاد مناظير متعددة تُنتج بتقاطعها أفضل الصور المستقبلية الممكنة للتعليم الإلكتروني في المملكة. وانتهت الدراسة إلى وجود العديد من العناصر غير المؤكدة التي تشكل ملامح مستقبل التعليم الإلكتروني في المملكة العربية السعودية، وبالتالي تم إمكان رسم مصفوفة للسيناريوهات المستقبلية المحتملة لهذا النمط من التعليم محليًا، وتمثلت في أربع صور رئيسية وهي: عصر المجتمع المعرفي، وعصر الغنى والفقر، وعصر القيادات الفردية، وعصر للخلف در.

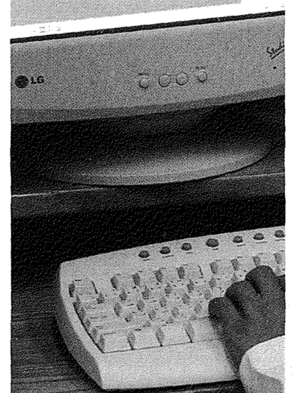
ما التعليم الإلكتروني؟

التعليم الإلكتروني هو ذلك النوع من التعليم المرتكز على الطالب، والمطوِّع لتقنيات المعلومات والاتصالات في عملية التعليم والتعلّم، وقد أصبح من أكثر أنماط التعليم انتشارًا وتسارعًا في العصر الحاضر.

وبذكر تقنية المعلومات والاتصال تطرّق الباحث إلى المجتمع المعرفي كحلم تسعى جميع الأمم للوصول إليه، وفي مجتمع المعرفة تكون المعلومات والمعرفة هي العصب الرئيسي للاقتصاد، وعليه فلن تكون الفجوة بين الدول والأمم، كما كانت في السابق، متعلقة بالدخل، بل قامت تقنية المعلومات والاتصالات بتغيير المعادلة الاقتصادية فصارت الفجوة بين الدول والأمم هي الفجوة المعرفية Knowledge divide.

ومن المهم تأكيد أن التعليم الإلكتروني لا يعني مجرد نشر أجهزة الحاسب الآلي في الفصول الدراسية أو في الممرات في المباني الأكاديمية، ولا يعني – أيضًا – تمديد الشبكات وزيادة سعات الاتصال، ولا يعني نقل المحتوى التعليمي كما هو ونشره على شبكة المعلومات العالمية، فقضية التعليم الإلكتروني ليست تقنية بالمقام الأول، بل هي تطويع التقنية لتيسير عملية التعليم والتعلم. التعليم الإلكتروني، مرة أخرى، هو تعلمٌ مرتكز على الطالب Student – Centered ويتضمن ذلك أن دور المتعلّم في عملية التعليم والتعلّم قد تغير، وبالتالي فإن دور المعلم قد تغيّر هو الآخر من كونه مصدرًا للمعلومات إلى كونه ميسّرًا ومدربًا ومنظمًا ومخططًا





لعملية التعلم وغير ذلك من الأدوار التي يقتضيها تحول المتعلم من مستقبل سلبي للمعلومات إلى متعلم فعّال، وهذا الموقف التعليمي يتم في بيئة غنية بمصادر المعلومات وتقنية المعلومات والاتصال.

ما مشكلته محليًا؟

ما زال مستقبل التعليم الإلكتروني في المملكة العربية السعودية مجهولاً تمامًا، برغم كل النداءات الظاهرة لتبني نمط التعليم الإلكتروني. فعلى مستوى التعليم العام كان أبرز مشروع للاتجاه في هذا السياق هو مشروع «وطني» الذي لم يبدأ بعد، مع أن الخطة التي وضعت له تفترض بأنه قد تم الانتهاء من تطبيقه. وهناك مشروع آخر طال انتظاره، وهو الخطة الوطنية لتقنية المعلومات، التي لم ترَ النور حتى تاريخ تطبيق هذه الدراسة رغم مرور وقت ليس باليسير على البدء بتلك الخطة. وعمومًا لا تزال الجهود وئيدة على مستوى نشر تقنية المعلومات في مدارس التعليم العام. أما على مستوى التعليم العالي – حيث يتوقع الكثيرون أن المسألة مختلفة جدًا – فنجد أن مستوى التقدم في هذا السبيل بطيء، والجهود لا تزال فيه فردية عدا استثناءات واجتهادات نادرة لا يعتد بها.

الدراسة الإمبريقية

إمبريقياً (تجريبيًا) تم إجراء مقابلات في جولات متلاحقة مع عدد من الخبراء من خلفيات متنوعة، أشير إليها في مقدمة هذا العرض، وبناء على هذه المقابلات تم الخروج بسياقين غير مؤكدين رئيسين لسيناريوهات مستقبل التعليم الإلكتروني في المملكة العربية السعودية، وهما: «الجانب التربوي التقني» و«التبني كمشروع دولة»، وبتقاطع هذين السياقين غير المؤكدين فقد تم تمثيل السيناريوهات المستقبلية الأربعة للتعليم الإلكتروني في المملكة وفق أربعة احتمالات وهي:

- التبني كمشروع دولة (مرتفع) + الجانب التربوي التقني (مرتفع) = عصر المجتمع المعرفي.
- التبني كمشروع دولة (مرتفع) + الجانب التربوي التقني (منخفض) = عصر الغنى والفقر.
- التبني كمشروع دولة (منخفض)+ الجانب التربوي التقني (مرتفع) = عصر القيادات الفردية.

- التبني كمشروع دولة (منخفض) + الجانب التربوي التقني (منخفض) = للخلف در.

السيناريو الأول- العصر المعرفي

ومشاهد هذا السيناريو المحتمل بعد عشر سنوات هي التالية:

- التبني كمشروع دولة (مرتفع) + الجانب التربوي التقني (مرتفع).

- تتكامل الجهود وتتضافر من قبل كل القطاعات المهتمة بالتعليم الإلكتروني بشكل خاص وبتقدم المجتمع ورقيه إلى مصاف الدول المتقدمة بشكل عام.

- الدولة تضع رؤية واضحة للتعليم الإلكتروني محليًا، وتعدّ الرسالة اللازمة لتحقيق هذه الرؤية متضمنة الأهداف الواجب تحقيقها.

- الدولة تتبنى مشروع التعليم الإلكتروني، معتبرة إياه الجسر الذي سيوصل البلاد إلى عصر الاقتصاد الرقمي والمجتمع المعرفي والمنافسة العالمية.

- الدولة تطلق مبادرات تقنية متعددة، بدءًا بتحسين شبكة الاتصالات، وضمان وصولها إلى كافة المدن والقرى، وإتاحتها للجميع، والاهتمام بالبنية التحتية الإلكترونية.

- الدولة تيسّر حصول جميع المواطنين على أجهزة الحاسب الآلي عبر برامج ميسرة لجميع شرائح المجتمع، وتقضي بذلك على «الفجوة الرقمية Digital Divide» ويزول الفرق بين مدارس المدن ومدارس القرى في هذا الخصوص.

- الدولة تنشئ مشروعًا عملاقًا في مجال التعليم الإلكتروني في التعليم العام والتعليم العالي، وتوجد قصص نجاح تحتذى من قبل الآخرين.

- الدولة تقيم وتموّل إنشاء مشروعات تجريبية، وتسلّط الأضواء عليها إعلاميًا، مما يؤدي إلى اهتمام الناس بالتعليم الإلكتروني، فيزداد وعيهم وفهمهم له، واقتناعهم به.

- الدولة تعمل على إصدار السياسات والأنظمة المتعلقة بالتعليم الإلكتروني، بالإضافة إلى تطوير المعايير المتعلقة به.

- الدولة تختار النموذج المناسب للحالات المختلفة للتعليم الإلكتروني، فتوجد التعليم عن بعد، والتعليم المباشر، والتعليم المخلوط، ومن البداية تختار الدولة القيادة التربوية الفاعلة لهذا المشروع والتي تضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

ما زال مستقبل التعليم الإلكتروني في المملكة العربية السعودية مجهولاً تمامًا، برغم كل النداءات الظاهرة لتبني نمط التعليم الإلكتروني

- الدولة تدعم القطاع الخاص للاستثمار في مجال التعليم الإلكتروني بعدة وسائل.

- الدولة توفر كل ما يلزم لتدريب المعلمين في مجال التعليم الإلكتروني، نظرًا لأهمية ومحورية دورهم في إنجاح تطبيق التعليم الإلكتروني.

- الدولة تعتبر الإنفاق على التعليم الإلكتروني استثمارًا وليس تكلفة، فهو استثمار في أغلى مورد تملكه أي أمة من الأمم، وهو العنصر البشري.

- في مقابل قيام الدولة بتبني مشروع التعليم الإلكتروني، يقوم النظام التربوي بجهود مماثلة.

- النظام التربوي يعي ويؤمن بالتعليم الإلكتروني بشكل كبير يساعد في تطبيقه في الجامعات والمدارس.

- النظام التربوي يتبنى منهجًا مرنًا يرتكز على الطالب لزيادة رغبة المعلمين والطلاب في تطبيق التعلم الإلكتروني.

- النظام التربوي يعمل على إيجاد محتوى تربوي رقمي ذي جودة عالية، وذي تصميم تعليمي داعم للمعلم والمتعلم في المجال التربوي، حيث تتكامل الصورة المشرقة بالتدريب الناجح للمعلمين وتركز على التطبيقات المثلى لتقنية المعلومات والاتصالات، مستفيدة من الدعم الحكومي المادي والمعنوي في مجال تدريب المعلمين.

- النظام التربوي يجعل جميع البرامج التعليمية مصممة بشكل يراعي الجوانب الاجتماعية والإنسانية، بالإضافة إلى حدوث التغير الثقافي المطلوب تجاه التعلم المستمر مدى الحياة، حيث تنتشر هذه الثقافة وتصبح من متطلبات العيش في هذا العصر.

إن هذا العصر، هو العصر الحلم، وهو الذي تنطلق فيه البلاد للمنافسة العالمية بخطى ثابتة، فلديها الآن الموارد البشرية الثرية التي تمكنها من الوصول إلى ما تصبو إليه. ولاشك أن هذا السيناريو هو المستقبل المؤمل تحقيقه، ولكنه يتطلب عملاً ضخمًا، وهو قابل للتحقيق خاصة إذا تم التعامل مع العقبات على أنها تحديات يجب تخطيها، والدولة قادرة بإذن الله على تبني التعليم الإلكتروني كمشروع متكامل، وأيًا كانت الحالة الاقتصادية فهي لن تكون عائقًا، لأن هذا المشروع، ومن وجهة نظر اقتصادية صرفة، هو استثمار للمستقبل في أنفس الموارد وهو «الإنسان».

السيناريو الثاني- الغنى والفقر

ومشاهد هذا السيناريو المحتمل بعد عشر سنوات هي التالية:

- التبني كمشروع دولة (مرتفع: وهذا المقصود بالغنى) + الجانب التربوي التقني (منخفض: وهذا المقصود بالفقر).

- الدولة تصدر السياسات المناسبة لنشر وتبني التعليم الإلكتروني وتوفر الدعم المالي، حيث تكثر الأجهزة في المنشآت التعليمية في المراحل المختلفة، ويتم تمديد الشبكات وربطها بالاتصالات الحديثة الميسرة للجميع، ولكن كل ذلك لم يؤد إلى النتيجة المرجوة، نتيجة لغياب (أو ضعف) الجوانب التربوية المتعلقة بالتقنية التعليمية.

- النظام التربوي مازال يقدم المنهج بصورته التقليدية القائمة على التلقين، وليس هنالك فهم صحيح ووعي بالتعليم الإلكتروني، ولا يوجد محتوى رقمي، أو مكتبات إلكترونية، وإن وجد بعض المحتوى الرقمي، فهو ليس وفق معايير جودة معتمدة.

- ولكن ذلك لم يمنع من وجود بعض المحاولات الجادة سواء في المدن أو في القرى، فليس هنالك فجوة رقمية لتطبيق التعليم الإلكتروني، ولكن هذه المحاولات تصطدم بعقبات عديدة كغياب المحتوى الرقمي الجيد، أو الخلل في التطبيق التربوي للتقنية نتيجة نقص التدريب، فضلاً عن الإشكالات الناتجة عن عدم مرونة المنهج، وبذلك لم يكن هنالك تجربة عامة في البلاد تسعى للتطوير.

وهذه صورة أخرى للمستقبل وفيها يظهر التقصير من جانب التربويين الذين لم يقوموا بدورهم في تحقيق المناط بهم رغم قيام الدولة بفعل المأمول منها، وفي هذا الحال يجب على القادة التربويين الواعين بأهمية التعليم الإلكتروني الاستمرار في مهماتهم، والتعاون مع أمثالهم في المؤسسات التعليمية كافة، والتعاون مع جميع القطاعات للتذكير والتنويه بأهمية تطبيق التعليم الإلكتروني، وأن يسعوا مع الدولة لاستقطاب الكفاءات ذات الفعالية ليكونوا هم على رأس المنشآت التعليمية ويقودوا التغيير المنشود، وأن يحرصوا على إقامة ورش العمل والمحاضرات التوعوية التي من الممكن أن تغيّر ثقافة الجمود في منشآتنا التعليمية.

السيناريو الثالث- عصر المبادرات الفردية

ومشاهد هذا السيناريو المحتمل بعد عشر سنوات هي التالية:

- التبني كمشروع دولة (منخفض)+ الجانب التربوي التقني (مرتفع).

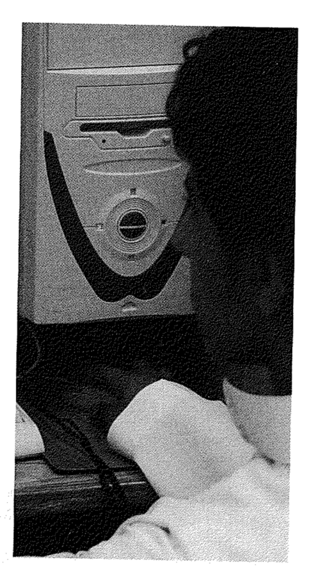
- لا تجري الأمور على ما يشتهي التربويون، فلم تتبن الدولة فعليًا مشروع التعليم الإلكتروني، رغم أن القيادة العليا للبلاد استمرت في الدعم المعنوي، ولكن

لابد من أن يقوم جميع المهتمين بالتعليم الإلكتروني سواء في الدولة وصنع القرار أو في الميدان التربوي بالعمل الجماعي، ودعم بعضهم البعض لتجنب الإحباط، وأن يستمروا في نشر الوعي بين كافة قطاعات المجتمع بالخسائر المحتملة والسيناريو القاتم نتيجة التأخر في تبني نشر وتطبيق التعليم الإلكتروني

لم يتم إصدار رؤية ورسالة وأهداف وبرامج خاصة به، وبقيت الأمور في طور الأمنيات، فالدعم المالي لم يتح في هذا السبيل، واستمر البطء في اعتماد السياسات والأنظمة، ولم يتم إقامة مشروعات كبرى للتعليم الإلكتروني، ولم ير الناس تجارب وقصص نجاح تحتذى، والنظام التربوي الرسمي يستمر في نهجه المتمثل في نشر الأجهزة الحديثة ببطء مع غياب المعايير والممارسات التعليمية المحوسبة.

- وفي المقابل، تكون الجهود التربوية الفردية كبيرة، فيتم تطوير المنهج، ويصبح منهجًا مرنًا، مرتكزًا على المتعلم، مما يتيح قيام صناعة تكاملية للمحتوى التعليمي الرقمي، نتيجة لبعض مغامرات القطاع الخاص.

- الجهود التربوية الفردية تثمر عن قيام بعض المكتبات الرقمية، مما يتيح لبعض المعلمين



تطبيق التعليم الإلكتروني، ولكن في إطار المبادرات والجهود الفردية، فنرى بعض الجامعات التي تتمتع بقيادة ديناميكية مبادرة وفاعلة،تقوم بتبني التعليم الإلكتروني كأساس للتطوير، بينما نرى في الجهة الأخرى جامعات لم تقم بعمل أي خطوة في هذا السبيل نظراً لعدم وجود القيادة المقدّرة للتعليم الإلكتروني. وربما نرى كلية معينة في جامعة ما، لديها قائد يدعم هذا التوجه، بينما الكليات الأخرى تفتقر إلى مثل هذا القائد، وأيضًا من الممكن أن نرى قسمًا معينًا في كلية ما يتبنى الأساليب الحديثة، بل قد يختلف الحال من أستاذ إلى آخر في نفس القسم.

- ويستمر النسق التفاوتي نتيجة للمبادرات الفردية في مراحل التعليم العام، فالمدرسة ذات القائد التربوي المبادر ستجد الفرصة لتبني التعليم الإلكتروني، بعكس المدرسة التي لا يبادر قائدها... وهكذا.

- التعليم الإلكتروني ينمو مثل جزر منعزلة بعضها عن بعض ويتوقف الأمر عند مدى مبادرة القائد.

وفي عصر المبادرات الفردية ينشط التربويون في إنجاز مهامهم المنوطة بهم، ولم يقابل هذا النشاط التربوي تبني الدولة للتعليم الإلكتروني، مما جعل أي عمل في هذا المجال لا يعدو كونه عملاً وجهدًا فرديًا، وليس لدى الأفراد الموارد اللازمة (سواء وقت أو مال) لتعميم المبادرات التي يقومون بها، وهذا ما يجعل المهام تزيد عليهم، فلابد أن ينشطوا في التنبيه على خطورة الأمر، فعدم المساواة بين أفراد المجتمع في المدن والقرى قد يؤدي لمشكلات كبيرة، بالإضافة إلى نشر الوعي، وتنبيه المسؤولين إلى أن أي تكاليف تدفع في هذا السبيل هي تكاليف مبررة، وأن العائد من هذا الاستثمار يفوق التكاليف بمراحل، ويجب عليهم ألا يكفوا عن بذل أقصى الجهود في إقناع المسؤولين الأعلى بهذه القضية وأهميتها، والتعاون مع جميع المؤسسات التعليمية لزيادة انتشار وتطبيق التعليم الإلكتروني.

السيناريو الرابع- للخلف دُرْ

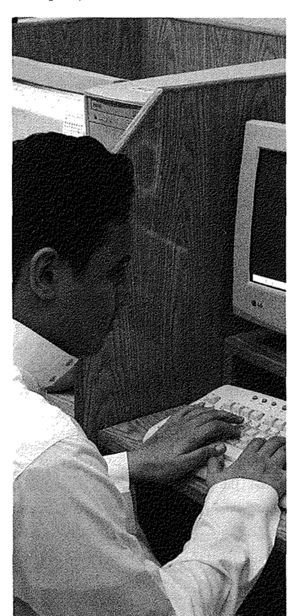
ومشاهد هذا السيناريو المحتمل بعد عشر سنوات هي التالية:

- التبني كمشروع دولة (منخفض) + الجانب التربوي التقني (منخفض).

- العالم من حولنا يتقدم في مجال التعليم الإلكتروني ويحقق مجتمع المعرفة، بينما نحن لا نزال نتجادل حول أهمية التعليم الإلكتروني.

- بعضنا ما زال ينظر إلى التعليم الإلكتروني على أنه مجرد ترف تقني وبهرجة إعلامية لا أكثر.

- تبقى بعض المبادرات الخجولة من قبل بعض المدارس أو الكليات، ولكنها تصطدم بعقبات عديدة، سواء ما تعلق منها بالجانب البيروقراطي غير المشجع للتجديد والتجريب، أو قلة الوعي من قبل المسؤولين أو حتى المعلمين، فالمعلم الذي اعتاد



نمطًا معينًا طيلة حياته متعلمًا ومعلمًا، لن يتقبّل هذا التغيير بسهولة.

- المجتمع التربوي لا يقوم بدوره في هذا المجال، فلا تزال الصبغة التقليدية هي المسيطرة، ولا يوجد تفاهم أو صيغ تنسيق مع المهتمين بالتعليم الإلكتروني.

- القطاع الخاص يوقن بأن البيئة التعليمية في البلاد ليست مشجعة للاستثمار فيها، والخسائر المتعاقبة نتيجة خروقات الملكية الفكرية وغيرها أدت إلى جفاف مواردها، وبالتالي تراجعت صناعة التعليم الإلكتروني.

امتدادًا للحاضر وما يجري فيه جاءت الصورة الرابعة للمستقبل، وهذا ما لا يتمناه أحد ولا يجب - أبدًا - الخنوع والقبول بهذا السيناريو المستقبلي القاتم، بل يجب على كل فرد أن يقوم بمحاولة إصلاح الوضع غير الجيد، وسبل الإصلاح كثيرة، فعلى سبيل المثال، نجد أن الدولة تتبنى نشر التقنية في كافة القطاعات، ومن الممكن استثمار دعم الدولة للتقنية في التدريب وإدارة التغير، فقد بات من المألوف مشاهدة أجهزة الحاسوب في المنشآت التعليمية ولكنها بدون استخدام تربوي، وما ذاك إلا لعدم وجود القيادة المبادرة التي تستغل الموارد بكفاءة.

إذًا لابد من أن يقوم جميع المهتمين بالتعليم الإلكتروني سواء في الدولة وصنع القرار أو في الميدان التربوي بالعمل الجماعي، ودعم بعضهم البعض لتجنب الإحباط، وأن يستمروا في نشر الوعي بين كافة قطاعات المجتمع بالخسائر المحتملة والسيناريو القاتم نتيجة التأخر في تبني نشر وتطبيق التعليم الإلكتروني. ■

عنوان الدراسة:
سيناريوهات التعليم الإلكتروني في المملكة العربية السعودية
دراسة مستقبلية للباحث: د.علي العقلا- أستاذ التعليم الإلكتروني المساعد -جامعة أم القرى
عرض: محمد فالح الجهني - قسم التربية - كلية المعلمين بالمدينة المنورة



المعرفة

المجلة «الثانية» في العالم العربي

الجلسات الإرشادية تخفض القلق وتعالج التلعثم !

د. عبدالله سافر الغامدي - جدة

تعد اللغة من أهم الخصائص التي اختص الله بها الإنسان ليفرده ويميزه عن غيره من سائر المخلوقات، وهي ظاهرة اجتماعية، ووسيلة هامة من وسائل الاتصال الإنساني. ويعتبر الكلام أحد المظاهر الخارجية للغة، والذي يصدر عن الفرد من خلال أقوال منطوقة أو مكتوبة. وهو أداة أساسية لبناء الشخصية، وأداة للاستقلال، وأداة لتوسيع دائرة التعامل مع الآخرين (غنيم وغريب،١٩٦٥م).

ويعدّ التلعثم من أكثر اضطرابات النطق والكلام شيوعًا، وهو عبارة عن اضطرابات أو خلل في إيقاع الكلام، يتميز بالترددات والانسدادات والإعادة والتكرير والإطالة في الأصوات والكلمات، أو في المقاطع الصوتية بصورة لاإرادية. وعادة ما يكون ذلك مصحوبًا بمجاهدة المتلعثم لإطلاق سراح لسانه، وباضطراب نشاطه الحركي وتوتره العضلي. ويبدو ذلك من خلال ارتجاف الشفتين، وارتعاش الفك ورموش العينين وجفونهما، ورفع الأكتاف وتحريك الذراعين، إضافة إلى اضطراب عملية التنفس وعدم انتظامها (إيناس عبدالفتاح، ١٩٨٨م).

وقد ورد في القرآن الكريم أن نبي الله موسى عليه السلام كان يعاني من صعوبة في الكلام: ﴿ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون﴾ (الشعراء:١٣)، ﴿قال رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ (طه:٢٥-٢٨).

وقد ذكر ابن سينا الطبيب العربي هذه المشكلة بشيء من التفصيل قبل ألف سنة، ووصف العلاج لها. وكان أول علاج فعلي للتلعثم في زمن الإغريق، حيث أجريت عملية كيّ اللسان، واستخدمت في فترات مختلفة أنواع من العمليات الجراحية المختلفة على اللسان. وقد بدأت العلاجات الحديثة لمشكلة التلعثم في بريطانيا من خلال جهود الخطباء في العهد الفكتوري من أمثال «جيمس ثيلويل»، وقد اعتمد العلاج حينذاك بالدرجة الأولى على العقاب البدني للمتلعثم. وفيما بعد بدأت تأثيرات النظريات من أمريكا في وصف وعلاج المشكلة (نيكسون، ٢٠٠٠م).

ولاشك أن تعطل وظيفة الكلام كليًا أو جزئيًا؛ يعني فقدان الفرد للوسيلة التي يعبر بها عن آرائه وأفكاره ومشاعره، فتضعف قدرته على التعامل والتفاهم مع الآخرين، وينكفئ على نفسه، يجتر آلامه النفسية الدفينة، ويعاني آثار الوحدة والعزلة. ومن المتوقع أن تنعكس هذه الحالة على قدرة الطالب على التحصيل الدراسي (الريماوي، ١٩٩٤م).

وقد أشار «كراج» (Craig١٩٩٠) إلى أن المتلعثمين لديهم مستوى عال من الخوف والقلق، ويكون الخوف والقلق في المواقف الكلامية الملحة، وينتهي بانتهاء الموقف.

ويرى الباحث أن التلعثم ينتشر في الأماكن

التي يكون فيها الفرد غير قادر على مسايرة ما حوله بالصورة التي ترضيه سواء كان ذلك أسريًا أو اجتماعيًا. وكلما زاد القلق والتوتر وعدم الأمان النفسي وانعدام الثقة بالنفس وفق قدرة الفرد على مواجهة المواقف المختلفة التي يتعرض لها في حياته، كان هناك تلعثم بنسبة معينة قد تزيد وقد تنقص.

علاج التلعثم:

نظرًا لتباين واختلاف النظريات التي تحاول شرح أسباب التلعثم فقد تباينت الأساليب المتبعة في العلاج تبعًا لاختلاف الإطار النظري الذي تعتمد عليه كل طريقة. ومن تلك الأساليب:

العلاج النفسي:

ومن طرقه:

- العلاج عن طريق الإرشاد: وذلك بإعطاء المتلعثم مجموعة من الإرشادات تتلخص في أنه يجب عليه أن يتوقف عن التلعثم، وأنه لابد أن يتحكم في كلامه، وأن عليه أن يركز تفكيره في ذلك، إلى جانب إرشاد الوالدين إلى ضرورة إتاحة الوقت للمتلعثم ليعبر عن نفسه دون ضغط وتشجيعه على الكلام.

- العلاج بالإيحاء والإقناع: وذلك بأن توجه للمتلعثم عملية الإيحاء والإقناع لتلافي الشعور بالنقص والخوف من الكلام لما قد يتعرض له من خيبة أوخجل من خلال بيئته الاجتماعية وإقناعه بأنه بريء من أيه علة تشريحية أو وظيفية تعوقه عن الكلام.

- العلاج عن طريق الاسترخاء: تقوم هذه الطريقة على أساس أن التلعثم ينتج من زيادة الضغط على الجهاز العصبي للفرد، ويتم الاسترخاء بطريقة النوم إذ يعتبر إجراء وقائيًا وعلاجيًا لراحة الجهاز العصبي. وهناك طريقة العلاج بحمامات الماء الدافئ كإحدى طرق العلاج الطبيعي، حيث يتم علاج التوتر العصبي للعضلات عن طريق حمامات الماء الدافئ والمساج بغرض الوصول لاسترخاء العضلات.

العلاج عن طريق صدى الصوت: ويتم باستخدام صدى الصوت، عن طريق وضع سماعات على الأذن أثناء كلام المتلعثم، وفي الوقت نفسه يسمع صوتًا آخر (أي صوت). والغرض من هذا هو عدم سماع المتلعثم لنفسه أثناء الحديث، وبالتالي لن يشعر بأحاسيس الخوف والفشل المصاحبة للتلعثم.

العلاج الجراحي:

في فترة من الفترات انتشر العلاج الجراحي للتلعثم، ففي بعض الأحيان يتم كيّ اللسان،أو قطع العصب المغذي له، أو قطع إحدى العضلات الخارجية له، وذلك للتقليل من توتر عضلات اللسان المصاحب للعثرات. وفي بعض الأحيان يتم استئصال اللوزتين، وتعتبر هذه الطريقة العلاجية من الوسائل البدائية التي لا أساس لها من الصحة.

العلاج بالصدمات الكهربائية:

وقد استخدم منذ فترة بعيدة نسبيًا، وثبت فشله تمامًا،حيث إن التلعثم لا يكون مصحوبًا بأي إصابة عضوية في عضلات الكلام، والعكس هو الصحيح. فالمتلعثم يستخدم العضلات المسؤولة عن الكلام بشدة واضحة، (العسال، ١٩٩٠م)، (مشهور، ٢٠٠١م)، (السعيد، ٢٠٠٣م).

العلاج بالعقاقير الطبية:

هناك محاولات عديدة لعلاج التلعثم عن طريق العقاقير الطبية كالمهدئات والفيتامينات مثل فيتامين ب٦، وذكر عكاشة (١٩٧٥م) أن نسبة عالية من المتلعثمين يعانون من شذوذ في رسم المخ، وأنه لا مانع في بعض الأحيان من استخدام العقاقير

يعدّ التلعثم من أكثر اضطرابات النطق والكلام شيوعًا، وهو عبارة عن اضطرابات أو خلل في إيقاع الكلام، يتميز بالترددات والانسدادات والإعادة والتكرير والإطالة في الأصوات والكلمات، أو في المقاطع الصوتية بصورة لاإرادية

المضادة للصرع، وذكرت نوران العسال (١٩٩٠م) أن «أرون Aron» استخدمت عقار «ترايفلو بيرازين» كمهدئ لعلاج بعض المتلعثمين، وأنها وجدت أن ٨٠٪ من المتلعثمين قد تحسنوا، ولكن لم يشف أحد منهم. ومن أهم العقاقير التي استخدمت في علاج التلعثم عقار «الهالوبيريدول»، بالإضافة إلى بعض الأدوية الحاوية على مهدئات القلق والانفعالات. وأشار حمودة (١٩٩١م) إلى أن استخدام العقاقير غير علمية وغير مجدية ولها محاذيرها مثل الإدمان.

العلاج الجماعي:

ويستخدم على نطاق واسع في علاج المتلعثمين الصغار والكبار. ذلك أن المتلعثم في العلاج الجماعي يرى غيره ممن يعانون نفس أعراض التلعثم (من صعوبة في الكلام وارتعاش الشفاه وغيرها) فيشعر بأنه ليس الشاذ الوحيد في هذا المرض، بل إن كثيرين غيره يعانون نفس الحالة، مما يخلق جوًّا من المشاركة الوجدانية بين المتلعثمين. كما أن أي تقدم في العلاج لأحدهم يدفع بالآخرين للتنافس وازدياد الفرص الواقعية للشفاء. وقد استخدم الباحث هذا الأسلوب في تقديم جلسات البرنامج الإرشادي المقدم في هذه الدراسة.

ومن وسائله: العلاج بالسيكودراما Psychodrama. حيث يستخدم التمثيل كوسيلة أدائية تجمع بين الإسقاط والتنفيس الانفعالي، وهي عبارة عن تصوير مسرحي وتعبير لفظي حر وتنفيس انفعالي تلقائي (حمودة،١٩٩٢م).

العلاج البيئي:

ويقصد به دمج المتلعثم في نشاطات اجتماعية وجماعية تدريجيًا حتى يتدرب على الأخذ والعطاء، وتتاح له فرصة التفاعل الاجتماعي وتنمو شخصيته، وينتفي لديه الخجل والانطواء والانسحاب الاجتماعي، ويتضمن العلاج البيئي الإرشاد الأسري حول الأسلوب الأمثل للتعامل، وتجنب إجبار المتلعثم على الكلام تحت ضغوط انفعالية وفي مواقف غير مناسبة ومخيفة له، كالطلب منه التحدث أثناء وجود أشخاص غرباء.

العلاج الكلامي: ومن طرقه:

- الاسترخاء الكلامي: ويستخدم كوسيلة لخفض التوتر ومن ثم انطلاق الكلام. وينصب هنا الاهتمام حول خفض الشعور بالاضطراب والتوتر أثناء الكلام. وإيجاد ارتباط بين الشعور بالراحة والسهولة عن طريق قراءة الأحرف والكلمات والجمل ببطء وبكل هدوء واسترخاء.

- الكلام الإيقاعي: يمكن استخدام هذه الطريقة مع جهاز يسمى «المتروتوم» إذ يقوم المتلعثم بتقسيم الكلمة إلى مقاطعها، وبتطبيق كل مقطع مع دقة من دقات الجهاز، مما يؤدي إلى اختفاء العثرات أثناء الكلام.

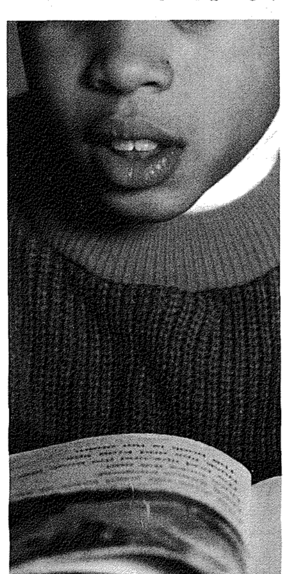
- النطق بالمضغ: وضع هذه الطريقة «فروشيز»، وهي أن يتعلم المتلعثم التكلم بطلاقة عن طريق القيام بحركات المضغ مقترنة بالكلام، ثم يقلل تدريجيًا نشاط المضغ. وفي النهاية يتخيل نفسه فقط أنه يمضغ.

- الممارسة السلبية: وتقوم على تكرار الفعل غير المرغوب فيه عدة مرات، إلى حد شعور المريض بالتعب والإرهاق، حتى ينتج عن ذلك درجة عالية

من القمع أو المنع كرد فعل معاكس.

- التغذية السمعية المتأخرة: أوضح «وينجيت» أن استخدام تأخير التغذية السمعية المرتدة عن طريق جهاز إلكتروني يوضع في الأذن يؤدي إلى تحسين التلعثم، بسبب البطء في الكلام والإطالة في الأصوات المتحركة.

- العلاج بالتظليل: وهو عبارة عن نقل ومحاكاة وتقليد لما يقوله المعالج، حيث يطلب فيه من المتلعثم أن يعيد قراءة ما تم الانتهاء من قراءته له بعد سماعه مباشرة وبفارق زمني يقدر بجزء من الثانية. ويشترط ألا يكون لدى المتلعثم فكرة مسبقة عن مضمون القطعة التي استمع إليها، وتتم القراءة بالسرعة العادية بحيث لا تتعدى كلمة أو كلمتين (على الأكثر) في الثانية.



ويستخدم هذا العلاج بالاستناد إلى الافتراض الذي يؤكد أن عملية الكلام وإخراج الحروف تشتمل على دائرة مغلقة للتغذية الراجعة السمعية التي يراقب فيها المتكلم صوته ويصححه من خلالها، ويحدث التلعثم عادة عندما تتأخر عملية التغذية الراجعة فتحدث تكرارات للأصوات والمقاطع بصورة لا إرادية. وقد استخدم هذا الاسلوب بهدف التدخل في سير عملية التغذية الراجعة، وترتب على ذلك التحسن في عملية التلعثم (العسال،١٩٩٠م)، (حمودة،١٩٩٢م)، (مشهور،٢٠٠١م).

البرنامج الارشادي المقترح:

الجلسة الأولى:

- إجراء التعارف بين المرشد والطلاب المعنيين.
- العمل على بناء علاقة إيجابية، وتوفير جو من الألفة والطمأنينة بين الطلاب.
- التعريف باضطرابات الكلام ومفهوم القلق النفسي ومظاهره.
- وضع الطالب المعني تحت المجهر وذلك عن طريق:ملاحظة الطلاب لحالة الشد في العضلات، متابعة مسار الهواء، مراقبة نظر العين، تحديد الأمور التي يفكر بها، تمييز الأصوات التي تصدر عنه، معرفة الحركات غير العادية.

كما يتم في هذه الجلسة التدريب على تأكيد الذات، وتقوم على أن استجابة تأكيد الذات واستجابة القلق (وهما استجابتان متضادتان) يمكن أن تكف إحداهما الأخرى، حيث يمكن لاستجابة تأكيد الذات أن تكف استجابة القلق. فاستجابة تأكيد الذات تنمي لدى الفرد الثقة والاعتماد على النفس، وتحمل المسؤولية والسيطرة على الذات وإبداء الرأي، والمناقشة بمنطق ومعقولية. وقد أكد «سالتر» أنه يمكن التخلص من حالات القلق بواسطة التدريب على تأكيد الذات، حيث يتم إعادة التركيب المعرفي لدى الفرد، وذلك بواسطة التدليل على عدم عقلانية سلوك القلق من التلعثم (الزراد،١٩٩٧م).

ومع تكرار تأكيد الذات يتعلم المتلعثمون أن يعبروا عن مشاعرهم بوضوح دون قلق أو خوف،

ويعرض كل فرد تجربته مع التلعثم بحرية ودون خوف أو حرج، ويسمح للآخرين التعليق على ما يقوله زميلهم. والهدف من ذلك إيجاد نوع من التغذية الراجعة لدى كل فرد عن طريق الاستماع إلى غيره ورؤيته له.

الجلسة الثانية:

- إكساب المتلعثمين فضيلة قراءة القرآن الكريم، بعد بيان فوائد تلاوة القرآن الكريم وآثارها في هدوء النفس واطمئنان القلب وانبعاث السكينة.
- تشجيعهم على الدعاء والاستغفار لما في الدعاء من آثار عظيمة في تحصيل الثواب، واطمئنان النفس، والتنفيس عن القلب، والتفرج عن الصدر، والشفاء من الكرب والهم.
- بيان فضيلة الصبر على الابتلاء، واحتساب الأجر والثواب في ذلك، ويتم توضيح ذلك بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة.
- إكسابهم المحافظة على أداء الصلاة في جماعة المسجد، وبيان فوائدها وآثارها. ومن فوائد الصلاة النفسية أنها تبعث في النفس الطمأنينة والهدوء، وتخلص الإنسان من الشعور بالضيق، وتقضي على الخوف والقلق، وتمد الإنسان بطاقة روحية هائلة تساعده على شفائه من الأمراض البدنية والنفسية (نجاتي، ١٩٨٨م. ٣١٩).

الجلسة الثالثة:

التدريب على الكلام الطبيعي:

- البداية السلسة: تنفس بهدوء ثم خذ نفسًا أعمق قليلًا وقل (ها)، وبعد خروج كمية صغيرة من الهواء ثم الانتقال التدريجي من الهواء غير المنطوق على (ها).
- مد الصوت الثاني: مد الصوت الثاني من الحرف الأول من الكلمة الأولى من العبارة، حتى يستطيع تخطي التلعثم الذي يمكن أن يحدث له في بداية الكلام.
- الإعياء: تخيل حالتك كمريض، المريض لا يقوم على بذل أي طاقة، فلا تبذل مجهودًا في كلامك بل الكلام الطبيعي حركات بسيطة وسهلة.
- البطء: يوجهون إلى الالتزام بالبطء في كل

العلاج عن طريق صدى الصوت: ويتم باستخدام صدى الصوت، عن طريق وضع سماعات على الأذن أثناء كلام المتلعثم، وفي الوقت نفسه يسمع صوتًا آخر (أي صوت). والغرض من هذا هو عدم سماع المتلعثم لنفسه أثناء الحديث، وبالتالي لن يشعر بأحاسيس الخوف والفشل المصاحبة للتلعثم

أعمالهم الذهنية والعضلية، مما سينعكس على البطء في كلامهم بتوفيق الله تعالى.

الجلسة الرابعة:

- جلسة الاسترخاء وتقوم على مفهوم أن أي استرخاء جسمي يؤدي بشكل آلي إلى خفض حالة القلق والتوتر (الحجار، ١٩٨٨م، ص ٢٦٧).وفيها يتم تدريب المجموعة أولًا على تمارين الاسترخاء الموضعي، وحثهم على استمرار التدرب بذلك في المنزل، وهي كالتالي:

-١ شفط البطن إلى الخلف والاستمرار في هذا الوضع لمدة ٣٠ ثانية، والعودة إلى الوضع الطبيعي بتكرار ٤ مرات.

-٢ شهيق عميق والاستمرار في الاحتفاظ بالشهيق لمدة ١٥ ثانية، وزفير بتكرار العملية ٤مرات.

-٣ إرخاء عضلات الرقبة تدريجيًا وترك الرأس ينسدل على الصدر، والاستمرار في هذا الوضع لمدة ٣٠ ثانية، والعودة إلى الوضع الطبيعي بتكرار ٤ مرات.

-٤ الضغط على الأسنان بأقصى قوة والاستمرار في هذا الوضع لمدة ٣٠ ثانية والعودة للوضع العادي بتكرار ٤مرات.

-٥ الضغط على الشفتين بأقصى قوة، والاستمرار في هذا الوضع لمدة ٣٠ ثانية، والعودة للوضع العادي تكرار ٤مرات.

- ثم تدريب المجموعة على «الاسترخاء الشامل»، وحثهم على استمرار التدرب بذلك في المنزل عن طريق:

١- إغماض العنين مع إيقاف العقل عن التفكير خارج الجسد.

٢- شهيق وزفير يكرر أربع مرات.

٣- إرخاء أعلى الرأس.

٤- إرخاء عضلات الوجه وذلك بإرخاء الفك الأسفل.

٥- إرخاء عضلات الرقبة.

٦- إرخاء الكتفين والذراعين إلى آخر أصابع اليدين.

٧- إرخاء الجذع.

٨- إرخاء أسفل الجسم إلى آخر أصابع الرجلين.



وبعد تحقيق «الاسترخاء الشامل» يطلب من المجموعة أن يعرضوا على عقولهم موقفًا أدى بهم إلى التلعثم، أو كلمات تلعثموا فيها، على أن يحافظوا على استمرارية الاسترخاء. وإذا أحسوا بزوال القلق فعليهم أن يوقفوا عملية الاسترخاء ويعودوا للاسترخاء وهكذا.

الجلسة الخامسة :

جلسة التدريب التمثيلي، وتهدف إلى التخفيف من القدر الزائد من المشاعر السلبية كالإحباط المصاحب للتلعثم، وإزالة الحساسية تجاه التلعثم، وفيها يقوم الطلاب بتمثيل موقف حدث فيه التلعثم، وصاحبه شد وجهد شديد، ثم تعديله إلى لحظات سهلة وبطيئة وخالية من الجهد.

كما يطلب منهم تكرار سلوك التلعثم من إعادة أو تطويل أو انحباس ودون حرج أو ارتباك حتى يتوصلوا إلى فكرة أنهم يستطيعون التحكم بهذه السلوكيات تطويلاً وتقصيرًا. وهذه الفكرة تخفف من تحسسهم تجاه هذه السلوكيات التي أصبح بإمكانهم التحكم بها.

كما تقوم المجموعة بالإنشاد معًا وبصوت عال لأبيات من الشعر العربي الفصيح.

الجلسة السادسة :

جلسة المواجهة؛ وتهدف إلى تبسيط المشكلة، وتقليل الضغط النفسي والواقع، وتشجيعهم على التواصل مع الناس. وفيها يدرب المتلعثمون على كل المواقف التي كانوا يتجنبونها، لأن تجنب بعض المواقف مثل الاتصال بالهاتف، أو إلقاء كلمة أمام الزملاء، أو الكلام أمام الناس يزيد التوتر.

- عمل ما لم يكن يفعلونه بسبب وجود التلعثم.

- طرق التخلص من مواقف السخرية والإحراج ونظرات التهكم، مثلاً: لو واجهوا ردود فعل سلبية أن يبقوا هادئين.

- تقليل الخوف من التلعثم وإنهاء السلوكيات الثانوية المصاحبة لمخاوفه وهي:سلوكيات الهرب، سلوكيات البدء في الكلام، سلوكيات استبدال الكلام، سلوكيات التجنب، الالتفاف حول الكلمات.

المراجع

-١ أمين، سهير محمود (٢٠٠٠م). اللجلجة أسبابها وعلاجها. دار الفكر العربي، القاهرة.

-٢ الجوهي، عبدالله عمر (١٤٢٠هـ). أثر برنامج تدريبي على التعامل مع القلق في تخفيض القلق لدى عينة من معتمدي الهروين (رسالة ماجستير). مركز الترجمة والتأليف والنشر، جامعة الملك فيصل، الأحساء.

-٣ حمدي، محمد نزيه (١٩٧٦م). فعالة الممارسة السلبية والترديد كأسلوبين سلوكيين في معالجة حالات التلعثم (رسالة دكتوراه غير منشورة). كلية التربية، الجامعة الأردنية، القاهرة.

-٤ حمودة، صفاء غازي أحمد (١٩٩١م). فاعلية أسلوب العلاج الجماعي بالسيكودراما والممارسة السلبية لعلاج بعض حالات اللجلجة (رسالة دكتوراه غير منشورة). كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.

-٥ رشاد، أحمد محمد (١٩٩٣م). استخدام برامج متنوعة لعلاج تلعثم المراهقين (رسالة ماجستير غير منشورة). معهد الدراسات العليا للطفولة، القاهرة.

-٦ الريماوي/ محمد عودة (١٩٩٤م). برنامج علاجي جمعي للجلجة الموقفية. مجلة دراسات، المجلد (٢١)، العدد (٤)، الجامعة الأردنية، عمّان.

-٧ الزراد، فيصل محمد خير (١٩٩٠م). اللغة واضطرابات النطق والكلام. دار المريخ، الرياض، السعودية.

-٨ الزراد، فيصل محمد (١٩٩٧م). العلاج السلوكي متعدد الأوجه. مجلة الثقافة النفسية، العدد ٣٢، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٨٠-١١٩.

-٩ السرطاوي عبدالعزيز وأبو جودة وائل (١٤٢٠هـ). اضطرابات اللغة والكلام. أكاديمية التربية الخاصة، الرياض.

-١٠ السعيد، حمزة (٢٠٠٣م). التأتأة المظاهر والأسباب والعلاج. مجلة التربية، العدد١٤٥، الدوحة، قطر، ص (٢٠٨-٢١٩).

-١١ السكري، محمود حسنين (١٩٨٧م). مشكلات الكلام في الأطفال. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الطب، جامعة القاهرة، القاهرة.

-١٢ الشخص، عبدالعزيز (١٩٩٧). اضطرابات النطق والكلام. مكتبة الصفحات الذهبية، الرياض، ط١.

-١٣ عبدالفتاح، إيناس (١٩٨٨م). دراسة نفسية في اضطرابات النطق والكلام. (رسالة دكتوراه غير منشورة). كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.

-١٤ العسال، نوران (١٩٩٠م). التلعثم (رسالة ماجستير). كلية الطب، جامعة عين شمس، القاهرة.

-١٥ علاء الدين كفافي (١٩٩٩م): الإرشاد والعلاج النفسي الأسري. دار الفكر العربي، القاهرة.

-١٦ عيد، محمد إبراهيم (١٩٩٥م). مستوى القلق وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلتين الثانوية والجامعية. المؤتمر الدولي الثاني لمراكز الإرشاد النفسي، المجلد الأول، القاهرة ص٢٠٤-٢٣٠.

-١٧ قاسم، أنسي محمد (٢٠٠٠م). مقدمة في سيكولوجية اللغة. مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة.

-١٨ الكحكي، سحر عبدالحميد(١٩٩٧م). تقييم برنامج علاجي تكاملي لعلاج التلعثم لدى عينة من الأطفال المعاقين (رسالة دكتوراه غير منشورة). كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.

-١٩ كمال، بدرية أحمد (١٩٨٥م). ظاهرة اللجلجة في ضوء بعض العوامل النفسية والاجتماعية. (رسالة دكتوراه غير منشورة). كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة.

-٢٠ لطفي، زينب (١٩٨٠م) عيوب النطق المختلفة بجانب الاهتمام بدراسة الطفل المتلعثم (رسالة دكتوراه غير منشورة). المعهد العالي للتمريض، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية.

-٢١ مشهور، خديجة عبدالحي (٢٠٠١م). أساليب المعاملة الوالدية للأطفال المتلعثمين واقتراح برنامج علاجي إرشادي لمواجهة حالات التلعثم في مدينة جدة (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جدة، السعودية.

-٢٢ مقبل، منال علي محمد (١٩٩٥م). دراسة لبعض خصائص الشخصية لدى الأطفال الذين يعانون من اضطراب اللجلجة في الكلام. (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض.

-٢٣ منصور، طلعت (١٩٦٧م). دراسة تحليلية للمواقف المرتبطة باللجلجة في الكلام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية التربية، جامعة عين شمس القاهرة.

-٢٤ نافع، جمل محمد حسن (١٩٨٧م). اللجلجة وعلاقتها بسمات الشخصية ومستوى التطلع لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.

-٢٥ نيكسون، جين (٢٠٠٠م). مساعدة الأطفال على مواجهة التلعثم. الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.

اللغة العربية

تستحق أن تكون عالمية

محمد سالم - الرياض

تتعاظم أهمية اللغة على خريطة المعرفة الإنسانية، حيث ازدادت علاقة اللغة وثوقًا مع مختلف أنواع هذه المعرفة، حتى أوشك المدخل اللغوي أن يصبح نهجًا معرفيًا عامًا تستهدي به ليس العلوم الانسانية فقط، وإنما (أيضًا) العلوم الطبيعية.

لاشك في أن دور اللغة في مجتمع المعرفة يتعاظم، وذلك لاعتبارات وعوامل عديدة منها:

- محورية الثقافة التي لم تعد بنية فوقية، أو أحد العناصر المكونة لمنظومة المجتمع، وإنما المحور الأساسي الذي تدور في فلكه عملية التنمية.

- محورية معالجتها آليًا بواسطة الحاسب الآلي في تكنولوجيات المعلومات. فاللغة هي المنهل الطبيعي الذي تستقي منه هذه التكنولوجيا أسس ذكائها الاصطناعي، وقواعد معارفها، وهي التي تكسب أجيال الإنسان الآلي القدرة على محاكاة الوظائف البشرية.

- تعاظم دورها الذي تؤديه على مختلف الأصعدة والمستويات، خاصة بعد أن أصبحت الكلمة من أشد الأسلحة الأيدولوجية ضراوة، وبعد أن فرضت قوى السياسة والاقتصاد سيطرتها على أجهزة الإعلام، وعلى صنع الثقافة بوجه عام. وباتت هذه القوى (ومن خلال اللغة) تعمل على توليد خطاب يخدم مصالحها ويتحكم في أقدار الأفراد والجماعات والدول والمجتمعات.

- اتساع مفهوم مجتمع المعرفة ليشمل مجتمع التعلم مدى الحياة (ليس للبشر فقط) بل للآلات والنظم والمؤسسات، وللخلايا والفيروسات. وكل هذا يرتكز في الأساس على اللغة: إنسانية كانت أم برمجية اصطناعية.

لهذه العوامل ولغيرها، يتعاظم دور اللغة في مجتمع المعرفة، مما يتطلب نظرة أعمق وأشمل لمنظومة اللغة العربية بعناصرها الداخلية، وعلاقتها الخارجية التي تربطها بالمنظومة المجتمعية الأخرى. فما الشروط التي يجب توافرها في لغتنا العربية لتفرض نفسها على شعوب العالم؟

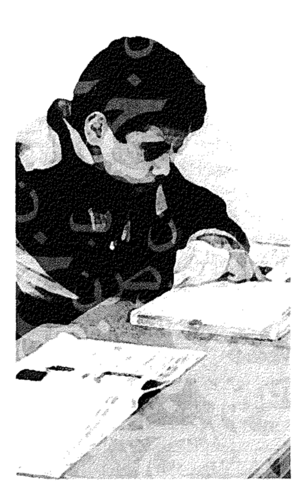
شغلت مجلة «أتلانتيك Atlantic Monthly» الأمريكية الشهرية نفسها بهذه الشروط وشاركها في ذلك عدد من المعاهد ومراكز البحوث التي تهتم بمستقبل اللغة في عالم سريع التغير نتيجة لتقدم أساليب وتكنولوجيا المعلومات والاتصال.

تذكر المجلة أن انتشار اللغات خارج حدود أوطانها يتوقف إلى حد كبير على سهولة اللغة وسرعة تعلمها بفضل بساطة تركيباتها النحوية. وتستشهد على ذلك بأن المتقدمين من الأمريكيين للعمل في الخارجية الأمريكية يحتاجون إلى أربعة وعشرين أسبوعًا فقط لتعلم أي من اللغات: الألمانية، الإيطالية، الفرنسية، الإسبانية، البرتغالية لتقارب تراكيبها النحوية البسيطة مع الإنجليزية. ولذلك تنتشر هذه اللغات أكثر من غيرها في العالم مع بعض التفاوت فيما بينها في درجة الانتشار، بينما يتطلب تعلم لغات من السواحلية (شرق إفريقيا) والإندونيسية والماليزية إلى ستة وثلاثين أسبوعًا. ويحتاج تعلم الهندية والأوردية والروسية إلى أربعة وأربعين أسبوعًا. أما تعلم العربية والصينية واليابانية والكورية فإنه يحتاج إلى ثمانية وثمانين أسبوعًا. وتعتبر الإنجليزية من أبسط هذه اللغات جميعًا وأسرعها في التعلم، لذا

فإنها مؤهلة ومرشحة لأن تكون هي اللغة العالمية التي قد تسود العالم كله في المستقبل. وقد تناقلت وسائل الإعلام مؤخرًا خبرًا مفاده أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الأولى في العالم من حيث المتحدثين بها. ولعل أول هذه الشواهد هو ذلك الكم الهائل من المواد المتاحة باللغة الإنجليزية على شبكات الإنترنت التي تقدر بحوالي ٨٠٪ من كل المواد المعروضة. كما أن عدد الذين يستخدمون الإنترنت للحصول على هذه المواد من بين غير المتكلمين بالإنجليزية (كلغة أصيلة) يزدادون بمعدلات كبيرة جدًا تفوق معدلات الزيادة بين الناطقين بها.

ويقدر عدد الناطقين بالإنجليزية (اللغة الأم) بحوالي ٣٧٥ مليون نسمة، بينما يصل عدد المتكلمين باللغات الأخرى في العالم أكثر من ٥٧٠٠ مليون نسمة تقريبًا. ويؤلف مستخدمو الإنترنت من غير المتكلمين بالإنجليزية للحصول على مواد بالإنجليزية أكثر من ٤٤٪ من مجموع الذين يعتمدون على الإنترنت من مختلف اللغات.

شاهد ثان على انتشار الإنجليزية هو أنها تعتبر الآن لغة العالم التي تستخدم في إجراء البحوث ونشر النتائج على مستوى العالم. ففي ألمانيا على سبيل المثال (وهي دولة تعتز اعتزازًا كبيرًا بلغتها وثقافتها وإنجازاتها العلمية) نجد أن ٩٨٪ من بحوث الفيزياء و٨٣٪ من البحوث الكيميائية تجرى وتنشر باللغة الإنجليزية. كذلك تعتبر الإنجليزية هي اللغة الرسمية للبنك الأوروبي المركزي، رغم أنه يوجد في فرانكفورت، ورغم أن بريطانيا ليست عضوًا في اتحاد النقد الأوروبي.



ولهذا لابد من دراسة علاقة اللغة العربية بمنظومة اكتساب المعرفة بمراحلها المختلفة، ابتداء من النفاذ إلى مصادرها، وامتدادًا إلى نقلها واستيعابها، وتوظيفها، وتوليد معارف جديدة. وهذه الدراسة تتطلب (أول ما تتطلب) تحليلاً دقيقًا لعلاقة اللغة العربية بالفكر على كافة المستويات، وتوفير الآليات والوسائل المناسبة التي تمكنها من القيام بدورها في مرحلة من هذه المراحل. فمرحلة النفاذ إلى مصادر المعرفة تستلزم العديد من الوسائل البرمجية لمعالجة النصوص العربية آليًا: كالفهرسة، والاستخلاص، والتلخيص، والمراجعة الجذرية لتعليم اللغة العربية. أما دور اللغة العربية في توظيف المعرفة وسيادتها فإنه ينطلق في الأساس من منظور حل المشكلة الذي يتطلب بدوره الدقة في تحديدها ووصفها والمقارنة المنهجية من خلال دعم جهود البحث العلمي الحديث في المجالات العلمية المختلفة.

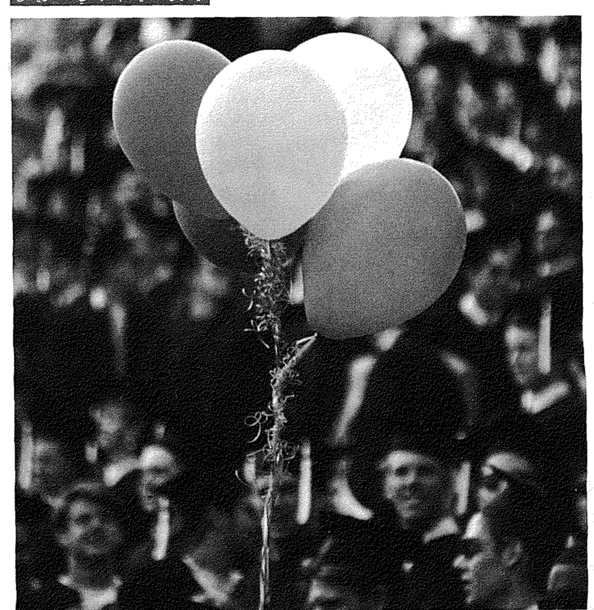
فقد أثبتت اللغة العربية جدارتها على مر العصور، ويشهد تاريخ الفتح الإسلامي على سرعة انتشارها، واندماجها في بيئات لغوية متباينة، وأنها كانت أداة فعالة لنقل المعرفة، ومن ثم فإن من حقها أن تصبح لغة عالمية، خاصة أنها تتسم بالعديد من الخصائص الجوهرية من أهمها: أنها تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى على مستوى جميع فروعها اللغوية، كما أنها (من منظور معالجة اللغات الإنسانية آليًا بواسطة الحاسب الآلي) جديرة أن تكون لغة عالمية. فبفضل توسطها اللغوي يسهل تطويع نماذج البرمجة المصممة للغة العربية، لتلبية مطالب اللغات الأخرى وعلى رأسها الإنجليزية.

انطلاقًا من عالمية الخطاب القرآني وعالمية لغته ينبغي إخضاع اللغة العربية للنظرية العامة التي تندرج في إطارها جميع اللغات الإنسانية، بل إن هذه العالمية تفرض أن تكون اللغة العربية من أوائل اللغات التي تنضم إلى حظيرة العموم اللغوي العالمي.■

في الإدارة التربوية

قيادة التغيير

يسرى حسين عبدالهادي *- الرياض



*مدارس الرياض الأهلية للبنات

انطلاقًا من الأهمية البالغة والدور الحيوي للإدارة والقيادة التربوية للارتقاء بالمؤسسة التربوية والنهوض بها بمختلف مستوياتها ومجالات عملها، تتضح ضرورة تطويرها وتحديثها فلسفة وتنظيمًا وأداء، باعتبارها الأداة القادرة على صنع التربية المستقبلية وتجويد نوعيتها، مثلما تتضح أهمية متابعة النظم التربوية في الدول العربية للتطورات والنماذج والتجديدات العالمية المتميزة في مجال الإدارة والقيادة التربوية، ومواكبة مستجداتها وتقنياتها.

ولغايات إحداث نقلة نوعية ملموسة في أداء الإدارة والقيادة التربوية، لابد من الاطلاع ودراسة التجارب والنماذج المتميزة عالميًا في مجال الإدارة والقيادة التربوية التي حققت نجاحًا ملموسًا في الدول المتقدمة، ومنها قيادة التغيير التي تؤكدها أبرز التوجهات العالمية باعتبارها النمط القيادي الضروري لتحقيق التعايش الفاعل للمؤسسات التربوية في القرن الحادي والعشرين والاستجابة بشكل أفضل لمتطلباته وتحدياته وتقنياته.

وبما أن الهدف الأساسي لكل قائد ناجح في عصرنا هذا هو إتقان المعارف والكفايات والاستراتيجيات الضرورية لإحداث التغيير الإيجابي وتطبيقها بنجاح في مؤسسته التعليمية، فإن اطلاع القادة التربويين على أبرز الأفكار المرتبطة بقيادة التغيير وممارستها الناجحة يغدو أولوية ملحة.

تعريف عام بقيادة التغيير:

إن العملية الإدارية ليست مجرد تسيير للأعمال أو ممارسة للرئاسة، بل هي عملية قيادة بالدرجة الأولى، فالسلطة الإدارية وحدها قد ترغم العاملين في المؤسسة على الطاعة، ولكنها لا تلهمهم ولا تحفزهم ولا تبعث فيهم الحماس والانتماء والإبداع والتفاني.

كما أن الإدارة التربوية بالوقت نفسه هي ممارسة أخلاقية تلتزم بمجموعة من القيم والفضائل التي لا يمكن الاستغناء عنها أو التفريط بها(1).

أي أن الإدارة التربوية في جوهرها هي عملية قيادة بالمقام الأول، وقدرة على التأثير في الآخرين وحفزهم لإنجاز أهداف المؤسسة التربوية وأولوياتها والسعي الدائم لتطويرها، فالعمليات الإدارية وحدها لا تتغير ولا تتطور وإنما الناس هم الذين يعلمون ويتعلمون، ويغيرون ويتغيرون، ويطورون، ويتطورون، لذا ينبغي التركيز على

البشر باعتبارهم الأساس والمحرك للنمو والتطور والارتقاء والتأكيد على أن القيادة هي عملية تعلّم تعاونية مشتركة تسهم في دفع المؤسسة التربوية إلى الأمام، ومراعاة أن العصر الحالي (عصر ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات) يتطلب هندسة العلاقات إضافة إلى هندسة العمليات. وهذا ما يفرض تحديًا رئيسًا يتمثل بتطوير القيادة التربوية ضمن إطار فكري حديث، يراعي قابلية القيادة للتعلم والتطوير وإعادة الصياغة بما ينسجم مع متطلبات العصر ومستجداته وتقنياته، وذلك انطلاقًا من أن القيادة هي عملية صناعة يمكن إعادة اختراعها والتفكير فيها وتشكيلها، مما يمكنها من إدارة مؤسسات المستقبل بكفاية وفاعلية[٢].

تعد القدرة على قيادة التغيير جوهر عملية التنمية الإدارية بأبعادها المختلفة، فقيادة التغيير تعني: «قيادة الجهد المخطط والمنظم للوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة للتغيير من خلال التوظيف العلمي السليم للموارد البشرية والإمكانات المادية والفنية المتاحة للمؤسسة التعليمية».

وتتطلب قيادة التغيير توافر خصائص عدة لدى القائمين عليها، ومن أبرزها:

١ - إرادة جادة قادرة على التحول إلى قيادة جادة تسعى لإحداث التغيير من منطلق استيعابها الواعي لمعطيات الحاضر واقتناعها بضرورة التغيير ومسوغاته.

٢ - امتلاك القدرة على المبادأة والإبداع والابتكار لإحداث التغيير والتطوير في عناصر المؤسسة التعليمية وفعالياتها كافة: بنيتها، وأساليب قيادتها، وطرائق عملها، وأنماط السلوك الإداري السائدة فيها.

٣ - القدرة على توفير المناخ الملائم للتغيير ووضع استراتيجيات فاعلة لإحداثه، وتطبيقها ومتابعة تنفيذها من خلال الاستفادة الفضلى من الموارد: البشرية والمادية والفنية المتاحة، بهدف الارتقاء بالأداء المؤسسي وصولاً إلى تحقيق الغايات المرجوة منه.

٤ - الارتقاء بقدرات المؤسسة وأدائها لتكون قادرة على مواجهة المستجدات المتلاحقة واستيعاب متطلباتها والتعامل معها بإيجابية[٣].

وباختصار تؤكد قيادة التغيير على صنع القرار التشاركي، وتعتمد على نوع مختلف من القوة لا يفرض من الأعلى أو من فوق، وإنما يبرز من خلال العمل الجماعي مع الآخرين، ومساعدتهم على إيجاد معنى أكبر وأعمق لعملهم، واستثمار إمكاناتهم الفردية والجماعية بشكل أفضل وحل المشكلات المدرسية بصورة تعاونية.

مجالات عمل قيادة التغيير

تشمل جهود قيادة التغيير جانبين رئيسين في المؤسسة التربوية هما: الجانب التنظيمي والجانب الثقافي والانفعالي وذلك على النحو الآتي:

١ - الجهود الرامية إلى إعادة بناء وهيكلة التنظيم المؤسسي، وتتضمن إحداث التغييرات في البناء الرسمي للمدرسة، بما فيها: التنظيم المدرسي والجدول المدرسي، والأدوات الوظيفية... إلخ، التي تتضمن تأثيرًا غير مباشر على التحسين والتطوير في العملية التعليمية - التعلمية.

٢- الجهود الرامية إلى إعادة بناء النسق الثقافي في المؤسسة التعليمية، وتتضمن إحداث التغييرات في الأنظمة المتصلة بالنماذج، والقيم، والدوافع، والمهارات، والعلاقات التنظيمية مما يؤدي إلى تعزيز أساليب ووسائل جديدة للعمل الجماعي التعاوني ينعكس أثرها مباشرة في إحداث فرق ملموس في عمليتي التعلم والتعليم داخل المدرسة.

إن جهود إعادة بناء النسق الثقافي باعتبارها تستند إلى العلاقات بشكل رئيس، فإنها تتطلب تدخلاً مباشرًا لتعزيز الجانب الانفعالي سواء من القائد أو العاملين معه أو المعنيين بالعملية التربوية كافة. وتسهم هذه الجهود في زيادة المرونة ودرجة التكيف لدى الأفراد والجماعات نحو التغيير، وتساعد العاملين على مواصلة جهودهم التطويرية بالرغم من الصعوبات التي قد يواجهونها أثناء التطبيق.

وتتضمن مجالات عمل قيادة التغيير: الغايات أو الأهداف، والثقافة المؤسسية، والناس، والبنية التنظيمية أو الهيكلية.

طبيعة قيادة التغيير في المؤسسة التربوية وأبرز ملامحها:

يحرص قادة التغيير بصفة عامة على صياغة رؤية مشتركة للمدرسة، وتنمية الالتزام بتنفيذها وتعزيزه لدى جميع الفئات المعنية بالعملية التربوية من داخل المدرسة وخارجها بصفتهم شركاء مساهمين فيها، انطلاقًا من



اعتبار التعليم «قضية مجتمعية مشتركة». ويسعى قادة التغيير إلى تطبيق الاستراتيجيات المناسبة لتحقيق هذه الرؤية، وترسيخ القيم والاتجاهات الجديدة والتجارب التطويرية داخل ثقافة المؤسسة التربوية.

ولقد اقترح (Sergiovanni,1987) تسع قيم أساسية ينتهجها ويطبقها القادة الناجحون الذين يتفهمون الحاجة إلى التنسيق بين الجوانب التنظيمية وتلك المعنية بالثقافة المؤسسية لتحقيق التغيير الناجح في المؤسسة التربوية والتي تسهم بفاعلية في تقديم فكرة ملخصة ومركزة حول قيادة التغيير في قطاع التربية والتعليم وتوضيح طبيعتها وأبرز ملامحها، وهي على النحو الآتي:

أ - القيادة بالغايات والأهداف:

وتشمل جميع السلوكات والممارسات القيادية التي تسعى إلى نقل وإيصال كل المعاني المهمة وذات القيمة والمرتبطة بأهداف التنظيم المدرسي للعاملين في أنحائه كافة. إن توضيح الغايات يساعد الناس على إدراك المغزى والهدف من وراء عملهم وتقدير أهميته، ويسهم في تحفيزهم وإثارة دافعيتهم لمواصلة أدائهم بنجاح وتميز.

ب - القيادة بالتمكين:

تتمثل بإتاحة الفرص والوسائل والآليات المناسبة أمام هيئة العاملين في المدرسة للمساهمة في صناعة القرارات التربوية، فعندما يشعر الناس بأن لديهم القوة والقدرة لاتخاذ قرار ما بخصوص أمر يهمهم، وأنهم يحظون بالثقة غالبًا ما يؤدون هذه المهمة على النحو الأفضل. وعندما يستثمر قادة المدارس الكفايات التي يتمتع بها العاملون معهم بشكل مناسب، ويعدونهم ويؤهلونهم للمساهمة الفاعلة في تحقيق أهداف التنظيم المدرسي، فإن العائد التربوي غالبًا ما يكون عظيمًا.

ج - القيادة كقوة دافعة للإنجاز

تؤكد دور القائد كداعم ومحفز ومسهل للأداء

والإنجاز، فقادة المدارس الذين يتسمون بالفاعلية لا يحكمون مدارسهم من خلال إصدار الأوامر والتعليمات وباستخدام سلطة الثواب والعقاب، وإنما بالتركيز على ما يمكن أن يحققه العاملون معهم من نجاح فيدعمون جهودهم ويوفرون لهم المناخ المناسب للإنجاز والتميز. وهذا ما يعكس وجهة نظر إيجابية لاستخدام السلطة وتوظيفها في المسار الصحيح.

د - القيادة بنشر السلطة وتفويضها:

ترتبط بالتمكين، وتتضمن نشر الأدوار والمهام والصلاحيات القيادية بين العاملين في المدرسة، فمثلما يستطيع المدير أن يمارس دور المعلم، فإن المعلمين يمكن أن يتحملوا بدورهم مسؤوليات قيادية وفقًا لمجالات تخصصهم، مما ينعكس إيجابًا على تطوير العملية التربوية بمختلف أبعادها ومجالاتها.

هـ - القيادة بالرقابة النوعية:

تختلف الرقابة بالمدارس عن الرقابة في الشركات مثلاً، فهي تتجاوز الاهتمام بالبرامج والضبط والقواعد والأوامر، لتغدو أكثر اهتمامًا بمواقف المعلمين تجاه عملهم واتجاهاتهم نحوه. فالرقابة النوعية تعنى بمعتقدات الناس وكيفية تطابقها وانسجامها مع أدوارهم ومهماتهم، وتسعى إلى تعرف مدى الرضا الذي يشعرون به أثناء إنجازهم لأهدافهم وتحقيقهم لغاياتهم.

و - القيادة بالتحويل والتطوير:

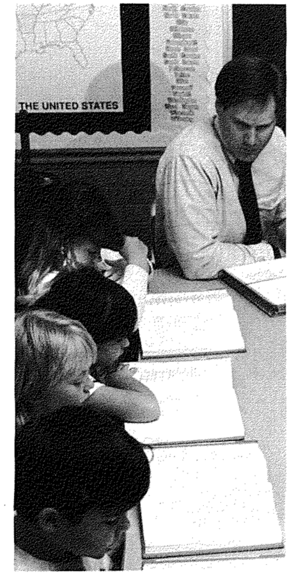
تلخص جهود قيادة التغيير الرامية إلى تحويل العاملين في المدرسة الذين يتصفون بالتزامهم المحدود تجاه غايات المدرسة وأهدافها وتغييرهم ليصبحوا مهنيين ملتزمين يشاركون في صياغة الرؤية العامة للمدرسة، وفي تحديد أهدافها وأولوياتها، ويتسموا بالحماس والدافعية والمساهمة الفاعلة والتأثير الإيجابي على مخرجات التنظيم المدرسي ونواتجه.

ز - القيادة بالبساطة والوضوح:

تتضمن الابتعاد عن تعقيد الأمور وتجنب المبالغة في الإجراءات والأنظمة والتعليمات.

ح - القيادة بالالتزام بالقيم العليا للمؤسسة التربوية:

يتضمن هذا المفهوم التأكيد بشكل قوي على القيم المؤسسية، وينص ببساطة على مجموعة القيم العليا الجوهرية التي بنيت عليها المؤسسة التربوية والتي لا تقبل المساومة بشأنها. وبعد أن يتم إعلان هذه القيم وتوضيحها والتأكيد عليها في أنحاء المؤسسة تتاح هنالك مجالات عدة مناسبة وفرص متعددة لتطبيق هذه القيم من قبل المهنيين



والمختصين في المدرسة من خلال برامجهم التربوية المتنوعة، وإبراز طاقاتهم وتميزهم في هذا المجال. والمطلوب هو الالتزام بهذه القيم العليا، وإذا ما تم تبديلها أو إساءة التعبير عنها، فإن القائد يتدخل ويعمل على إحداث التغيير في الاتجاه الصحيح.

ط - القيادة بالتفكير المتعمق المركب:

تنظر للقيادة باعتبارها تتطلب تفكيرًا متعمقًا ينعكس على الأداء، وتصف القادة الناجحين بأنهم يتميزون بأسلوب التفكير المركب الذي يؤكد أنهم يعملون ضمن إطار متعدد الأبعاد، فعندما يستخدمون أسلوب حل المشكلات فهم يأخذون مختلف الظروف المحيطة بعين الاعتبار، وذلك بعكس القادة الذين لا يتميزون بالتفكير المركب، فهم يميلون إلى اتخاذ القرارات بسرعة كبيرة والتفكير بنمط خطي ثابت، ويتجاهلون نقاطًا عدة مهمة ذات علاقة بالموضوع قيد البحث.

خصائص قائد التغيير الفعال:

أشارت نتائج الدراسات والبحوث التربوية إلى أن القائد الفعال ينبغي أن يكون قائدًا للتغيير في مؤسسته التربوية، وتناولت هذه الدراسات والبحوث أهم الخصائص المميزة لقائد التغيير الفعال والتي تشمل: المواقف وطرق التفكير والمعارف والمهارات، وهي على النحو التالي:

أ- مواقف قائد التغيير الفعال:

- يوفر دعمًا إيجابيًا للعاملين معه ولا يخذلهم.
- يعامل أعضاء الهيئة العاملة معه بالمساواة، ويستمع إليهم بفاعلية.
- يتصف بالحماسة والدافعية، والاهتمام بقضايا التربية والتعليم وأولوياتها.
- يتميز بالالتزام في أداء الأعمال وتنفيذ المهام على النحو الأفضل.
- يتسم بالمثابرة، ولا يبالغ في ردود أفعاله، بل يكون عقلانيًا إذا ساءت الأمور بعكس ما هو منشود.
- لا يحاول فرض وجهة نظره بالقوة، ولا يسعى للانفراد بالحوار دائمًا.
- لديه الاستعداد للتجريب والتغيير.
- لديه دائرة اهتمامات أوسع من مجرد العمل.
- لديه استعداد ورغبة للتعلم من أخطائه ومحاولاته.
- يتقبل التغيير والإصلاح والتطوير كأمور حتمية.
- يعتمد على التوجيه من خلال العمل، ويلتزم بالقيادة من خلال تقديم الأمثلة العملية والسلوك الأنموذج.

ب- طريقة تفكير قائد التغيير الفعال:

- يرى كل موقف كقضية متفردة بذاتها، ويدرك إمكانية وجود فرص للتشابه مع مواقف أخرى مماثلة سابقًا.
- يعد للتغيير ويديره عن طريق استخدام قوائم للتشخيص والمطابقة والتعديل، ثم تطويرها بشكل مناسب لأغراضها.
- لديه قدرة على التخيل والتصور، ويمتاز بالمرونة ويشجع استمرار التفكير ومتابعته أثناء فترة تطبيق التغيير، مما يمكن أن يؤثر بفاعلية على سير العمل والتطوير.
- لديه قدرة على التفكير المتعمق في الأمور، ودراستها وتحليلها، واستنتاج نقاط الاتفاق أو التلاقي بين البدائل والاحتمالات المختلفة.
- يمكنه الوصول إلى جوهر المشكلة وكنهها، ولديه القدرة على توقع المشكلات المحتملة.
- يستطيع أن يتعلم من خلال مروره بالخبرة أو التجربة.
- لديه القدرة على توجيه تعلمه الذاتي، ومتابعة نموه المهني المستمر.

ج- المعارف والمهارات المطلوبة من قائد التغيير الفعال:

- يتفهم ديناميكية عملية التغيير ويستطيع

التعامل معها، والعمل بموجبها بكفاءة ونجاح.

- يعرف النقاط والعناصر الرئيسة التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار في كل موقف من مواقف التغيير.

- يتفهم طبيعة برامج التعلم والعمليات المرتبطة بتصميمها وتطبيقها وتقويمها، إضافة إلى إدراك أساليب التعزيز المنظم وكيفية استخدامها.

- يتفهم ديناميكة البحث الإجرائي وأساليبه وآليات توظيفه.

- يعرف كيفية توثيق نواتج البرامج والجهود التطويرية ونشرها، وذلك على النحو الأفضل.

- يستطيع التطلع قدمًا نحو الأمام والتفكير للمستقبل، مثلما يستطيع إدراك الحاضر وتفهمه والانطلاق منه للتخطيط المستقبلي.

- يمتلك مهارات متنوعة تساعده على الاندماج والتفويض الملائم لهم باعتبارهم الأعضاء الرئيسين في عملية التغير، سواء كان ذلك عن طريق اللقاءات الفردية، أو أثناء العمل في المجموعات الصغيرة، أو من خلال الاجتماعات الرسمية.

- يمتلك حصيلة من مهارات الاتصال الملائمة للمواقف الرسمية وغير الرسمية، ويشمل ذلك الانضمام إلى الجمعيات أو التنظيمات أو الشبكات المحلية.

- يستطيع بناء مناخ عمل إيجابي مساند وتعزيزه.

- لديه أساليب ووسائل للتواصل المستمر مع المعارف والخبرات والتجارب الجديدة في مجالات تخصصه، لإثراء حصيلته منها وجعلها متنامية بصورة مستدامة.

- يتفهم طبيعة عمل وأبعاد عمليتي التعلم والتعليم، ويمتلك حصيلة واسعة من الآليات التي تساعده على تحقيق تعلم فعال.

- يستطيع استخدام التقنيات المناسبة التي تساعده على رفع كفاءته في جميع جوانب العمل ومجالاته.

- يتفهم طبيعة وآليات تحقيق النمو المهني المستدام ذاتيًا.

أبعاد قيادة التغيير:

يمكن توضيح الأبعاد الرئيسة لقيادة التغيير فيما يأتي:

- تطوير رؤية عامة مشتركة للمدرسة:

يتضمن هذا البعد السلوكيات القيادية الهادفة للبحث عن رؤية وآفاق مستقبلية للمدرسة وأن يعمل القائد التربوي على بث هذه الرؤية لدى العاملين معه، ويخلق الحماس لديهم للتغيير والتطوير.

- بناء اتفاق جماعي بخصوص أهداف المدرسة وأولوياتها:

يتضمن هذا البعد السلوك القيادي الهادف إلى تشجيع التعاون بين العاملين في المدرسة وجعلهم يعملون معًا من أجل صياغة أهداف مشتركة، واضحة قابلة للتحقيق، وتتضمن تحديًا حقيقيًا لهم لكي يسعوا لإنجازها.

- بناء ثقافة مؤسسية مشتركة تعنى بالقيم التنظيمية:

يتضمن هذا البعد السلوكيات القيادية الهادفة إلى بناء الثقافة المدرسية المشتركة التي تشمل القواعد السلوكية والقيم والقناعات التي يشترك فيها كافة الأعضاء في المدرسة، وعادة ما تسهم الثقافة المدرسية المشتركة والمتينة في دعم المبادرات التطويرية والإصلاح المدرسي.

- نمذجة السلوك/ تقديم نموذج سلوكي يحتذى به من قبل القائد:

يشمل هذا البعد سلوك القائد الذي يتمثل في كونه يضرب مثالاً حيًا لمعلميه لكي يحذوا حذوه ويتبعوه، بحيث يعكس هذا المثال القيم التي يتبناها القائد ويتمثلها في سلوكه، مما يجعله رمزًا بالنسبة لهيئة العاملين معه في المدرسة.

- مراعاة الحاجات الفردية للعاملين والعمل على تلبيتها:

يتضمن هذا البعد درجة اهتمام القائد التربوي بالحاجات الفردية للعاملين في المدرسة، والاستجابة للفروق الفردية فيما بينهم فيما يتعلق

العالي الجودة من قبل العاملين في المدرسة، وحفزه وتعزيزه.

- هيكلة التغيير ومأسسته وترسيخه في ثقافة المؤسسة:

يتضمن هذا البعد السلوكات الهادفة لتوفير فرص مناسبة لأعضاء التنظيم المدرسي للمساهمة في عملية صنع القرارات المتعلقة بقضايا تهمهم وتؤثر عليهم، ودفعهم نحو التغيير والتطوير على المستويين الفردي والمدرسي.

- التأكيد على التعلم المؤسسي المستمر (مجتمع التعلم).
- التوازن بين الجانبين الانفعالي والمعرفي.
- الاهتمام بالنمو المهني المستمر للعاملين وتمكينهم من عملهم.
- تعزيز أساليب حل المشكلات وفق منهجية علمية.
- الانفتاح على الأفكار والممارسات الجديدة ودعمها.
- نشر السلطة والمعلومات بصورة واسعة في أنحاء التنظيم.
- تفصيل العلاقة مع المجتمع المحلي.

مقترحات خاصة بتفعيل قيادة التغيير في المؤسسة التعليمية:

إدراكًا لأهمية قيادة التغيير باعتبارها النمط القيادي الضروري لقيادة مؤسساتنا التعليمية في عالم القرن الحادي والعشرين ومواكبة تحدياته ومستجداته، وانطلاقًا من خلاصة الدراسات والتجارب العملية للمؤسسات الإدارية عامة والمؤسسات التربوية خاصة التي نجحت في قيادة التغيير داخلها والتغلب على مقاومة العاملين له وحفزهم لدعم جهودها التطويرية، يمكن أن نلخص المقترحات الآتية:

- التأكيد على قيادة التغيير بدلاً من إدارته، ويتضمن ذلك السعي لبناء وتطوير رؤية مستقبلية مشتركة للمؤسسة التربوية، وغرس التغيير في ثقافة المؤسسة وتجذيره.
- الحصول على دعم واضعي السياسة

بالحاجة إلى النمو المهني، وحفزهم وتشجيعهم والإفادة من خبراتهم التربوية ومهاراتهم المهنية.

- التحفيز الذهني أو الاستثارة الفكرية للعاملين:

يتضمن هذا البعد السلوك القيادي لمدير المدرسة باعتباره قائدًا للتغيير يتحدى المعلمين لإعادة النظر في ممارساتهم ومراجعتها وتقويمها وتطويرها، ودفعهم للتفكير في كيفية الأداء بشكل أفضل وتعزيز أسلوب التفكير العلمي لديهم.

- توقع مستويات أداء عليا من العاملين:

يظهر هذا البعد السلوك القيادي المرتبط بتوقعات القائد لدرجة التميز والأداء النوعي

التربوية وصانعي القرار التربوي لعملية التغيير في المؤسسة التربوية، إذ إن مساندتهم لجهود التغيير والتطوير وتعزيزهم لها يضمن للتغيير الاستمرارية وتحقيق نتائج أكثر فعالية ضمن إطار مؤسسي متكامل.

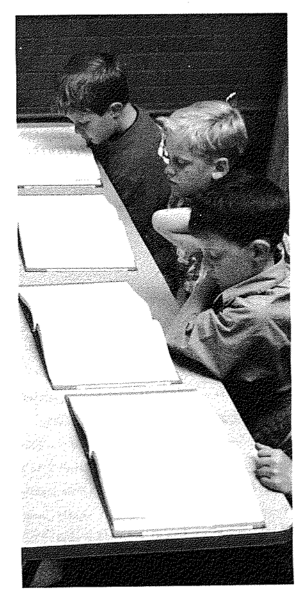
- التركيز على تنمية قادة للتغيير في المؤسسة التربوية يمتازون بمهارات وكفايات تخصصية: عقلية، وتصورية عليا (إدراكية) وإنسانية، وفنية، ترتبط بعملية التغيير، مما يساعدهم على تكوين إطار فكري ورؤية واضحة عن ماهية التغيير ودوافعه وعملياته ونواتجه.
- السعي الجاد لتوفير التسهيلات المادية والفنية والتقنية المساعدة في التهيئة لعملية التغيير وتنفيذها.
- التأكيد على تنمية الموارد البشرية بصورة متكاملة في المؤسسة التربوية بالعمل على تنمية الأنماط القيادية الفاعلة والمنتجة التي تمتاز بالقدرة على الإبداع والابتكار.
- تعزيز نظم مشاركة العاملين في الإدارة، من خلال مشاركة مختلف الأفراد الذين سيتأثرون بالتغيير في تشخيص مشكلات المؤسسة التربوية ورسم أهداف التغيير والتخطيط له.
- توفير الحد الأقصى من البيانات الكمية والنوعية للعاملين كافة، فيما يتعلق بماهية التغيير ومحتواه ومسوغاته، وتوضيح كيفية تنفيذه ومراحل إنجازه.
- التركيز على تنمية جماعات العمل التي تسودها روح الفريق التعاوني داخل المؤسسة التربوية والعمل على دعم الجهود التطويرية التشاركية.

معوقات التغيير

إن قيادة التغيير ليست عملية سهلة أو بسيطة، وإنما هي عملية متشابكة في عناصرها متداخلة في مكوناتها، وتتطلب الإبداع والابتكار في ممارساتها، ويعتمد نجاحها بالدرجة الأولى على العنصر الإنساني الذي يتمثل في جانبين رئيسين هما: حماس قادة التغيير من جهة، والتزام المتأثرين بالتغيير بتنفيذه من جهة أخرى.

إن عملية التغيير في المؤسسات، سواء تضمنت (الهندرة) أي إعادة هندسة نظم العمل، أو إعادة هيكلة بنية المؤسسة، أو برنامجًا طموحًا ومستمرًا لإدارة الجودة الشاملة، أو تجديدًا تربويًا أو ثقافيًا، هي عملية معقدة ونشيطة ومركبة، وقد تواجه بمعوقات عدة. كما قد لا تحقق النجاح المنشود منها، بالرغم من الجهود الجادة التي يبذلها المديرون في هذا المجال، فما هو السبب؟

إن السبب الرئيس في فشل العديد من جهود التغيير في المؤسسات المختلفة هو الإفراط في ممارسة الإدارة وغياب الدور القيادي، فمعظم المديرين يتقنون دور المدير بصورة جيدة، ولكنهم لا يمارسون دور قائد التغيير بشكل فعال، فهم



يقومون بعملية التخطيط، ووضع الموازنات، والتنظيم، وإدارة شؤون الأفراد، والرقابة، وحل مشكلات العمل اليومية، أي ممارسة جميع المهمات التي تدخل في صلب العملية الإدارية التي تحقق الأهداف على المدى القصير. أما عندما يتعلق الأمر بقيادة برامج التغيير والتطوير فقد لا تسعفهم هذه المهارات الإدارية في تحقيق النجاح المأمول.

وفيما يلي مجموعة من الأخطاء التي تقع فيها بعض المؤسسات عندما تطبق التغيير داخلها، فتؤدي إلى فشل هذه الجهود في تحقيق النتائج المستهدفة، ومن أبرز هذه الأخطاء ما يأتي:

- الرضا المبالغ فيه عن الوضع الحالي للمؤسسة، فالمؤسسة الراضية عن ذاتها وعن إنجازاتها لا تبذل الجهود المناسبة لإحداث التغيير.

- غياب التحالف القوي بين الإدارة والأفراد، إذ يحتاج نجاح التغيير إلى وجود تحالف قوي وفعال بين الناس الذين يملكون السلطة والقوة من خلال مواقعهم وخبراتهم وعلاقاتهم والناس الذين ينفذون عملية التغيير ذاتها ومتطلباتها.

- الافتقاد لوجود الرؤية أو ضعف القدرة على توصيلها فدون وجود الرؤية الواضحة حول أهمية ماهية التغيير ومبرراته ونواتجه المتوقعة وكيفية تحقيق ذلك، تبقى جهود التغيير مقتصرة على وجود قائمة من المشروعات المتفرقة وغير المنسجمة التي تتطلب وقتًا وجهدًا ومالاً، وقد تسير في اتجاهات مضادة أو متعارضة. كما أن نجاح التغيير يتطلب أناسًا راغبين في التطوير والتجديد، ولكنهم لن يفعلوا ذلك إذا لم يفهموا بوضوح سبب التغيير ومغزاه، ودورهم في إنجاحه وأثره على مصلحة المؤسسة وأهدافها، وعلى أهدافهم الخاصة.

- وجود مجموعة من العقبات الإدارية ومنها البيروقراطية السائدة في المؤسسة ونظامها القائم، ووجود مراكز قوى داخل المؤسسة أو خارجها ذات نفوذ كبير تعارض التغيير كونه يتعارض مع مصالحها وغاياتها الخاصة.

- عدم تحقيق نجاحات ونواتج ملموسة على المدى القصير أو بشكل سريع.

- عدم وصول التغيير إلى جذور ثقافة المؤسسة، فإذا لم يتم تأصيل التغيير وترسيخه في جذور الثقافة المؤسسية ويصبح جزءًا منها، فإن الجهود المبذولة لإحداث التغيير والتطوير لن تحقق النجاح المنشود وستنتهي في مهدها.

- مقاومة الناس للتغيير ومعارضته وإعاقة الجهود المبذولة لإحداثه لأسباب عدة، من أبرزها:

- الارتياح للمألوف والخوف من المجهول.

- الميل للمحافظة على أنماط السلوك والعادات والتقاليد المألوفة.

- عدم القدرة على إدراك نواحي الضعف، والقصور في الوضع الحالي، أو عدم القدرة على إدراك جوانب القوة أو مزايا الوضع الجديد الذي سينجم نتيجة لعملية التغيير.

- خوف العاملين من الخسارة المادية أو المعنوية، والخشية من فقدان السلطة أو المصالح المكتسبة المرتبطة بالوضع الحالي القائم.

- سوء فهم العاملين للآثار المرتقبة للتغيير، أو إحساسهم بأنه قد تم استغلالهم أو أنهم مجبرون على عملية التغيير.

- الخوف من مخالفة معايير أو مستويات معينة من السلوك أو الأداء تفرضها قيم المجموعة، والخوف من مطالبتهم بتطوير علاقات عمل وأنماط سلوكية جديدة نتيجة لإحداث التغيير.

- اعتياد العاملين على تصريف شؤون العمل بطريقة معينة والأداء ضمن مستوى معين من الإنجاز، والخوف من ارتفاع مستوى الأداء الذي قد تتطلبه عملية التغيير.

الهوامش

١ - تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين ١٩٩١، ص ١٢٩.

٢ - عزت جرادات ومنى مؤتمن، ٢٠٠٠م، التجارب العالمية المتميزة في الإدارة التربوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ص٧.

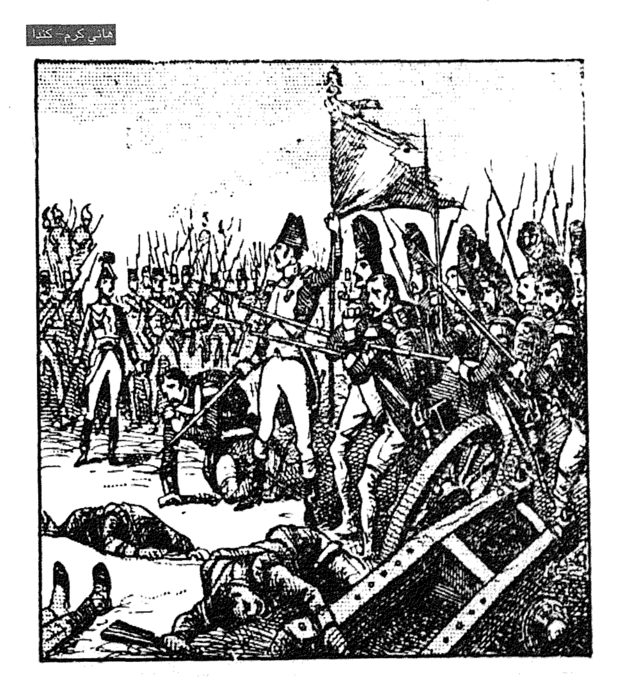
٣ - منى مؤتمن، ١٩٩٥، إدارة التغيير: جوهر عملية التنمية الإدارية، رسالة المعلم، مجلد ٣٦، عدد٤، ص ٤٥ - ٥٢.

حصد أرواح ٥٠ مليونًا

ويترقب الخبراء متى وكيف سيضرب من جديد . .

الوباء الشامل

هاني كرم - كندا



عندما نتخيل الحياة قبل عشرات السنين، نسترجع في الذهن صور تلك الأيام الجميلة بل الرائعة بطابعها التاريخي القديم. ففي بلاد الغرب مثلًا، درجت آنذاك عربات الخيل والتنانير الواسعة الفضفاضة والقبعات الطويلة الرسمية. لكن ليس هذا كل ما كان مسيطرًا على الأجواء في تلك الحقبة من التاريخ القريب. فقد خيّم الذعر على الأجواء بسبب الموت الزاحف بخطواته الثابتة التي اجتاحت العالم بأسره.

لا أقصد بكلامي هذا الحرب التي كانت تستعر نيرانها في تلك الحقبة الحالكة السواد من تاريخ الجنس البشري بل مصيبة أدهى وأعظم. بلوى وُصفت بأنها الأشدّ فتكًا في كل تاريخ الإنسان المكتوب: «الإنفلونزا الإسبانية» التي ضربت العالم سنة ١٩١٨ – ١٩١٩.

ففي غياب العلاجات والأدوية الفعالة كانت الضحايا تتساقط بالجملة. وقد حصد الموت حياة ملايين الشبان المعافين وهم في ريعان الشباب. وصارت الجثث تتكدس بسرعة أكبر من أن يتسنى للأحياء دفنها. ولا نبالغ في القول إن بعض القرى والبلدات انمحت عن بكرة أبيها.

وقعت هذه الأحداث المخيفة منذ ٨٥ سنة تقريبًا. ولكن هل نعرف اليوم سبب ذلك الوباء؟ وهل تضرب كارثة مماثلة أخرى؟ وإذا كان الجواب نعم عن السؤال الأخير، هل يمكننا حماية أنفسنا؟

في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨، كان العالم لا يزال يتخبّط في الحرب العالمية الكبرى كما كانت تُعرف آنذاك. ومع أن هذه الحرب المروعة كانت على وشك الانتهاء، لم تُرفع الرقابة عن التقارير الإخبارية. لذلك كانت الصحف في إسبانيا، التي لم تشارك في الحرب وحافظت على حرية الصحافة، هي أول من أخبر أن المدنيين في أماكن كثيرة يمرضون ويموتون بسرعة مخيفة. وبسبب ذلك أطلق على هذا المرض اسم «الإنفلونزا الإسبانية»، الاسم الذي صار يُعرف به لاحقًا.

بدأ هذا الوباء الشامل في آذار (مارس) ١٩١٨. ويُعتقد كثير من الباحثين أنه ظهر بادئ الأمر في ولاية كانساس بالولايات المتحدة الأمريكية، انتقل بعدها على ما يبدو إلى فرنسا مع وصول الجنود الأمريكيين إلى ذلك البلد. فسقطت ضحايا الإنفلونزا بأعداد هائلة وبسرعة مخيفة. ولكن بحلول تموز (يوليو) ١٩١٨ بدا أن الوضع يعود إلى نصابه، غير أن الأطباء لم يعلموا في ذلك الوقت أن هذا الوباء الشامل كان يحشد قواه ليشنّ هجوما أشد وحشية من السابق.

عندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨، ابتهج العالم بأجمعه وتهلل. لكن المضحك المبكي أن الوباء ضرب العالم بأسره في ذلك الوقت بالتحديد. فتصدرت أخبار هذا الوحش الضاري عناوين الصحف العالمية. وقليلون ممن عاشوا في تلك الحقبة ممن أفلتوا من قبضته، وقد سيطر الخوف والذعر على الجميع. قال أحد المصادر الموثوق بها

عن الإنفلونزا: «انخفض متوسط العمر المتوقع في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من عشر سنوات سنة ١٩١٨». فما الذي يميّز هذا الوباء عن غيره من الأوبئة؟

وباء لا قرين له

إن الطريقة المفاجئة التي ضربت بها الإنفلونزا هي ما جعلت منها المسبب الأكبر لأعنف موجات الذعر التي اجتاحت الناس في تلك الحقبة. إليكم فيما يلي بعض الاقتباسات من كتاب «الإنفلونزا الكبرى» الذي صدر مؤخرًا بالإنكليزية: كان رجل في ريو دو جانيرو يستعلم عن أمر ما من تلميذ في الطب ينتظر وصول الترام وكان صوت الرجل طبيعيًا جدًا لكنه فجأة سقط ميتا. وفي جنوب إفريقيا في كَيب تاون بالتحديد، كان تشارلز لويس يصعد إلى عربة ترام ليرجع إلى بيته في رحلة طولها خمسة كيلومترات، وإذا به يرى قاطع التذاكر يسقط ميتًا. وخلال الخمسة كيلومترات التالية مات ستة أشخاص على متن الترام، من بينهم السائق. لقد ماتوا جميعا بالإنفلونزا.

لقد كان الخوف من المجهول يتربصّ بعقول الناس، خاصة أن العلم لم يتمكن من تحديد سبب المرض أو كيفية انتقاله. لذلك وُضعت تدابير وقائية لحماية الصحة العامة، أقلّ ما يُقال فيها إنها محاولات يائسة للسيطرة على هذا الوحش الطليق الذي يفتك بضحاياه بعشرات الآلاف بل المئات. فقد فُرض الحجر الصحي على المرافئ الجوية والبحرية، أُقفلت دور السينما والعبادة وغيرها من الأماكن العامة. وقد أمر المسؤولون سكان سان فرانسيسكو أن يلبسوا أقنعة من الشاش. وكان كل من يظهر في الأماكن العامة دون قناع يدفع غرامة مالية أو حتى كان يُلقى به في السجن. لكن وعلى الرغم من كل تلك التدابير، إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على الوباء الذي أخذ بالانتشار كالنار في الهشيم. ومما زاد الطين بلّة، وزاد من ذعر الناس وحيرتهم، الطريقة العشوائية التي انتشرت بها الإنفلونزا. فالأسباب ما تزال غامضة حتى الآن، لم يُصِب هذا الوباء الشامل الذي ضرب سنة



١٩١٩ المسنين بشكل رئيس، بل أصاب الشباب المعافين وأودى بحياتهم. فقد تراوحت أعمار ضحايا الإنفلونزا الإسبانية بين عشرين وأربعين سنة.

جسامة الضربة

لقد كانت الإنفلونزا وباء عالميًا فقد وصلت ضربتها إلى الجزر النائية في المنطقة المدارية. فقد انتقل الفيروس القاتل على متن السفن إلى ساموا الغربية المعروفة اليوم بساموا في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨. وكان عدد القتلى في غضون شهرين حوالي ٢٠٪ من السكان البالغ عددهم ٣٨٣٠٢ نسمة. حقًا، لقد اكتسح هذا الوباء كل البلدان الرئيسة في العالم. كما ضرب هذا الوباء في بداياته مدينة فيلادلفيا في بنسلفانيا وكانت الضربة مروّعة. فبحلول منتصف تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨، حدث هنالك نقص كبير في التوابيت. يُخبر المؤرخ ألفرد كروزبي:«قال أحد المصنعين إنه كان يمكن أن يبيع خمسة آلاف تابوت في غضون ساعتين لو توفر لديه هذا العدد. وفي بعض الأحيان، كان عدد الأموات في مشرحة المدينة يصل إلى عشرة أضعاف عدد التوابيت المتوفرة».

وفي وقت قصير نسبيًا، كانت الإنفلونزا قد قتلت أناسًا أكثر مما قتل أي وباء مماثل في كل تاريخ الجنس البشري. ويُقدر أحد التقارير سقوط ٢١ مليون ضحية. غير أن بعض الخبراء اليوم يعتبرون هذا الرقم منخفضا. فعدد من المتخصصين في الأمراض الوبائية اليوم يقدِّرون أن حصيلة الضحايا بلغت على الأرجح ٥٠ مليونًا أو ربما وصلت إلى مئة مليون. ويقول المؤرخ كروزبي:«قتلت الإنفلونزا في سنة واحدة أناسًا أكثر مما قتل الطاعون الأسود في غضون قرن أيام العصور الوسطى. وقتلت في ٢٤ أسبوعًا أعدادًا تفوق تلك التي ذهبت ضحية الإيدز في أربع وعشرين سنة».

ومن المذهل أن عدد الأمريكيين الذين قضوا بسبب الإنفلونزا الإسبانية خلال سنة واحدة تقريبًا فاق عدد الأمريكيين الذين قُتلوا في ساحات المعارك في الحربين العالميتين كلتيهما. تذكر الكاتبة

ويُقدر أحد التقارير سقوط ٢١ مليون ضحية . غير أن بعض الخبراء اليوم يعتبرون هذا الرقم منخفضا . فعدد من المتخصصين في الأمراض الوبائية اليوم يقدِّرون أن حصيلة الضحايا بلغت على الأرجح ٥٠ مليونًا أو ربما وصلت إلى مئة مليون

جينا كولاتا: «لو ضرب مثل هذا الوباء اليوم وقتل النسبة عينها من سكان الولايات المتحدة الأمريكية، لمات مليون ونصف مليون أمريكي، أي أكثر من الذين ماتوا في سنة واحدة بسبب أمراض القلب والسرطان والسكتة الدماغية والأمراض الرئوية المزمنة والإيدز وداء ألزهايمر مجتمعة. ببسيط العبارة، كانت الإنفلونزا الإسبانية أكثر الأوبئة الشاملة فتكًا في تاريخ البشرية. فأية مساعدة تمكن العلم من تقديمها؟

العلم يقف عاجزًا

بعد مرور حوالي ٨٥ عامًا، ماذا تعلمنا عن هذا الوباء الشامل المرعب؟ ما الذي سبّبه؟ هل يجتاح الكرة الرضية مرة ثانية؟ وهل من الممكن النجاح في مكافحته فيما لو فعل؟ إن الأجوبة عن هذه الأسئلة قد تكون أكثر رعبًا من الحقائق التي قدمناها آنفًا.

بدأت القصة سنة ١٩٩٧ في قرية للإسكيمو تُدعى برفيغ في منطقة التُّندرا المتجمدة في شبه جزيرة سيوارد بألاسكا، حيث تمّ اكتشاف جثة إمرأة شابة بعد نبشها من الجليد الدائم. لقد أصيبت هذه الشابة بالإنفلونزا عام ١٩١٨ وبقيت مجمَّدة منذ ذلك الحين. فما المنفعة من فحصها الآن؟ لقد أمل العالم الذي قام باكتشاف الجثة أن يكون العامل المُسبّب للإنفلونزا لا يزال في رئتيها وأن يتمكن من عزله وتصنيفه باستعمال التقنيات

الوراثية المتطورة. ولكي نفهم لماذا هذه المعلومات مفيدة، يلزم أن نفهم كيفية عمل الفيروسات وما الذي يجعلها خطرة إلى هذا الحدّ.

يُعتبر فيروس الإنفلونزا من الطراز «أ» أخطر فيروسات الإنفلونزا. وهو صغير الحجم بالمقارنة مع فيروسات كثيرة أخرى. ويكون عادة كروي الشكل تبرز من سطحه نتوءات. وعندما يصيب هذا الفيروس الخلية البشرية، يتكاثر بسرعة كبيرة جدا بحيث تنفجر الخلية في غضون ١٠ ساعات تقريبًا، ويندفع منها حشد من نسخ جديدة من فيروس الإنفلونزا يتراوح عددها بين مئة ألف ومليون نسخة. والمخيف في هذه الكائنات العضوية البسيطة قدرتها على التغيُّر بسرعة. فبما أن هذا الفيروس يتكاثر بسرعة كبيرة، لا تكون نسخة متطابقة. وأحيانًا، يكون الاختلاف كافيًا بحيث لا يتعرف الجهاز المناعي على الفيروس. لهذا السبب نواجه كل سنة أشكالاً جديدة من فيروسات الإنفلونزا وبالتالي مجموعة جديدة من مولدات الضدّ، وهي مواد تمتحن مناعة جسمنا. فيكفي أن يتغير مولّد الضد إلى حدّ معين حتى يعجز جهاز المناعة عن الدفاع عن نفسه وينشأ خطر حدوث وباء شامل.

بالإضافة إلى ذلك، تصيب فيروسات الإنفلونزا أيضًا الحيوانات. وهنا يكمن الخطر الكبير بالنسبة إلى البشر. يُعتقد أن الخنزير، الذي يمكن أن يكون مضيفا لفيروسات تصيب الطيور مثل الدجاج والبطّ، قد يكون أيضًا مضيفًا لفيروسات أخرى تصيب البشر. وإذا أصيب الخنزير في آن واحد بهذين النوعين من الفيروسات، الذي يصيب الحيوانات والذي يصيب البشر، يمكن أن تمتزج مورثات سلالَتي هذين الفيروسين. وقد يؤدّي ذلك إلى ولادة سلالة جديدة من الإنفلونزا لا يملك البشر مناعة ضدها. ويُعتقد أن المجتمعات الزراعية حيث تعيش الطيور الداجنة، الخنازير، والناس معا- كما هي الحال في آسيا- هي أماكن محتملة لنشوء سلالات جديدة من الإنفلونزا.

ولكن ما الذي جعل فيروس الإنفلونزا الذي ضرب عام ١٩١٨-١٩١٩ يتحوّل إلى مسبب مرض ذات الرئة القاتل الذي أودى بحياة الملايين من الشباب؟ صحيح أنه لم يبقَ فيروس حيّ من تلك الحقبة، ولكن طالما أمل العلماء أن يعثروا على عيّنة مجمّدة منه ليتمكنوا من عزل الـ RNA السليمة واكتشاف السبب الذي جعل هذه السلالة مميتة إلى هذا الحدّ، وقد نجحوا نوعا ما في مساعيهم. فبفضل عيّنة آلاسكا المتجمدة التي أخذت من جثة تلك المرأة، تمكن فريق من العلماء من تصنيف معظم مورِّثات الإنفلونزا لتلك الحقبة والتأكد من تسلسلها. لكنّ العلماء لم يتوصلوا بعد إلى فهم السبب الذي جعل هذه الإنفلونزا قاتلة إلى هذا الحدّ. ولكنّ كما يبدو أن هذه السلالة هي ذات صلة بفيروس للإنفلونزا يصيب الخنازير والطيور كليهما.

المرض سيتفشى بسرعة ويصيب كل فئات الأعمار. وستشهد كل البلدان فوضى عارمة في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية. وسيحصد الموت أعدادًا هائلة من الناس من معظم فئات الأعمار. وعلى الأرجح ستعجز أنظمة العناية الصحية الموجودة حتى في البلدان الأكثر تقدمًا من الناحية الاقتصادية عن سدّ الحاجة إلى خدمات العناية الصحية

هل من علاجات متوفرة؟

ينطوي الجواب عن هذا السؤال على وجهين الأول مُفرح والآخر سيئ. فالمضادات الحيوية يمكن أن تخفض عدد الوفيات الناجمة عن النزلة الجرثومية الثانوية. ويمكن أن تنجح بعض الأدوية في مكافحة عدد من سلالات الإنفلونزا. وهنالك أيضًا لقاحات تساعد في مكافحة فيروس الإنفلونزا اذا حُدّدت سلالاته الصحيحة وأنتجت اللقاحات

في المهلة المحددة. هذا هو الوجه المفرح. ولكن ما هو الوجه السيئ؟

إن تاريخ لقاحات الإنفلونزا تشوبه الأخطاء. بدءًا من مسلسل النزلة الخنزيرية المشؤوم لعام ١٩٧٦ وصولاً إلى النقص في إنتاج اللقاحات الذي حدث عام ٢٠٠٤. وبالرغم من التقدم الكبير الذي أحرزه الطب منذ الحرب العالمية الأولى، لم يعرف الأطباء حتى الآن أي علاج يقضي على فيروس قوي.

لذلك ينشأ السؤال المقلق التالي: هل يحدث مجددًا ما حدث سنة ١٩١٨-١٩١٩؟ لاحظ ما ورد في بحث أجراه المعهد الوطني للبحث الطبي في لندن: «هنالك بعض الظروف المشابهة لتلك التي سادت عام ١٩١٨. فحركة السفر الدولي ناشطة جدا بفضل التقدم في وسائل النقل. أضف إلى ذلك النزاعات القائمة في بلدان عديدة وما يرافقها من سوء تغذية وصحة رديئة. كما أن عدد السكان في العالم ارتفع إلى ستة بلايين ونصف البليون. وتعيش النسبة الكبرى من هؤلاء السكان في مدن تكون فيها البنى التحتية المخصصة للصرف الصحي والتخلص من النفايات في حالة يرثى لها.

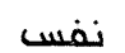
لقد توصل أحد الخبراء الأمريكيين الموثوق بهم إلى الاستنتاج التالي: «ببسيط العبارة، كلما مرّت سنة صار الوباء الشامل التالي أقرب. كما أورد عدد نيسان (إبريل) من مجلة نشوء الأمراض المعدية (بالإنكليزية) الصادر سنة ٢٠٠٥: «لقد تصور الناس المتفائلون مرة أن خطر المرض المعدي سيكون قد ولّى بحلول وقتنا هذا». لكن المجلة تضيف: «لقد استمرت الأمراض المعدية تظهر مرة بعد مرة».

ولكن هل يضرب هذا الوباء الشامل مجددًا؟ وفقًا لما يقوله عدد من الخبراء ليس السؤال المطروح هل يضرب فيروس الإنفلونزا الفتاك ثانية، بل متى وكيف سيضرب؟ وفي الواقع، يتوقع البعض أن تتفشى الإنفلونزا بشكل كبير مرة كل ١١ سنة تقريبًا وأن تضرب بحدة بالغة كل ٣٠ سنة تقريبًا. وبحسب هذه التوقعات، كان يُفترض أن يكون وباء شامل قد ضرب ثانية. عام ٢٠٠٣، ذكرت المجلة الطبية اللقاح: «لقد مرّت ٣٥ سنة منذ



حدث آخر وباء إنفلونزا شامل. وأطول فترة فاصلة بين وباءين شاملين وردت في سجلّ موثوق به هي ٣٩ سنة». وقد تابعت مجلة اللقاح: «قد يظهر فيروس الوباء الشامل في الصين أو أي دولة قريبة منها، وقد يشمل مولدات الضدّ السطحية أو العوامل المسببة للفوعة الناشئة عن فيروسات الإنفلونزا الحيوانية». وأوردت المقالة التي نشرتها مجلة اللقاح توقعاتها بشأن الفيروس، قائلة: «سينتشر بسرعة في كل أنحاء العالم. وستحدث موجات عديدة من العدوى. كما أن المرض سيتفشّى بسرعة ويصيب كل فئات الأعمار، وستشهد كل البلدان فوضى عارمة في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية. وسيحصد الموت أعدادًا هائلة من الناس من معظم فئات الأعمار. وعلى الأرجح ستعجز أنظمة العناية الصحية الموجودة حتى في البلدان الأكثر تقدمًا من الناحية الاقتصادية عن سدّ الحاجة إلى خدمات العناية الصحية».

ولكن ما مدى الخطر الناجم إذا ما تحققت هذه التوقعات؟ أبدى جون باري واضع كتاب الإنفلونزا الكبرى رأيه، فيقول: «إن الإرهابي الذي يملك سلاحًا نوويًا» هو كابوس لكل سياسي في البلد. وكذلك يجب أن يكون وباء الإنفلونزا الشامل الجديد»■

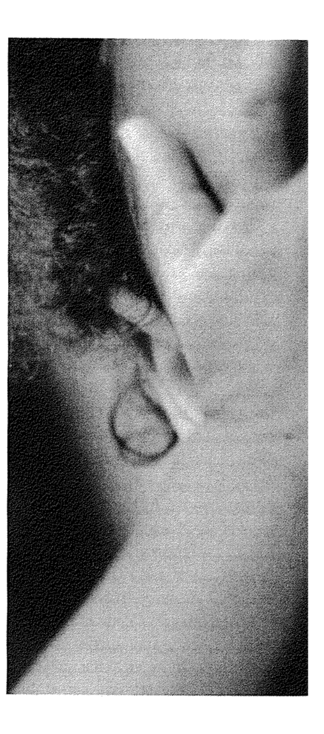


«الأخبار الطيبة» لـ

ربى محمد ديب الدرع - دبي

علاج الخجل

تتفق معظم الآراء التربوية على أهمية مرحلة الطفولة في بناء شخصية الإنسان المستقبلية، فإذا ما اعترى تربية الطفل أي خلل، فإن ذلك سيؤدي حتمًا إلى نتائج غير مرضية تنعكس سلبًا على الفرد والمجتمع معًا.



مشكلة الخجل التي يعانيها بعض الأطفال يجب على الوالدين والمربين مواجهتها وتداركها. فكثير من الأطفال يشبون منطوين على أنفسهم، خجولين، يعتمدون اعتمادًا كاملاً على والديهم ويلتصقون بهم، لا يعرفون كيف يواجهون الحياة منفردين ويظهر ذلك بوضوح عند التحاقهم بالمدرسة. ويستدل من دراسات أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية على أن اثنين من كل خمسة أطفال يعانيان الخجل، وأن آثاره يمكن أن تستمر طول الحياة!

وتظهر الدراسات المختلفة التي أجريت على الأطفال الخجولين أنهم غالبًا ما يحصلون على درجات منخفضة في المدرسة، ولا يشاركون في الأنشطة التي لا تدخل ضمن المناهج الدراسية، ويفتقدون عمليات الأخذ والعطاء التي ترافق عملية النمو الجسمي والعقلي. فكثير من الأشخاص الخجولين لا يتزوجون إطلاقًا أو يتزوجون في وقت متأخر، أو يتشبثون بأول فرصة للزواج تلوح لهم دون تأكد مما إذا كان زواجهم سينجح أم سينتهي سريعًا إلى الطلاق. كما أن الأشخاص الخجولين



يكسبون دخلاً أقل ويشغلون مناصب أقل مسؤولية، وحتى أولئك الذين تتوافر لهم المهارات اللازمة يمكن ألا ينجحوا في الحياة العملية بسبب ما يواجهونه من صعوبات في التعامل مع الآخرين.

ومع أن بعض الأطفال الخجولين منطوون على أنفسهم لدرجة تتطلب استشارة شخص مختص، إلا أن مؤازرة الوالدين يمكن أن تساعد الغالبية على التغلب على خجلهم والتخلص من آثاره السلبية.

وثمة فرق بين «الخجل» و«الحياء» فـ«الخجل» هو انكماش الولد وانطواؤه وتجافيه عن ملاقاة الآخرين، أما «الحياء» فهو التزام الولد منهاج الفضيلة وآداب الإسلام، فليس من الخجل في شيء أن يتعود الطفل منذ نشأته الاستحياء من اقتراف المنكر وارتكاب المعصية، أو أن يتعود الولد توقير الكبير وغض البصر عن المحرمات. وليس من الخجل في شيء أن يتعود الولد منذ صغره تنزيه اللسان عن أن يخوض في أحد أو يكذب أو يغتاب، وعلى فطم البطن عن تناول المحرمات، وعلى صرف الوقت في طاعة الله وابتغاء مرضاته. وهذا المعنى من الحياء، هو ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأخذ والعطاء

يحدث الخجل عند الطفل كانفعال معين بعد سن الثالثة من العمر تقريبًا، ومن فترة لأخرى بمناسبة أو موقف من المواقف، ويرافقه مظاهر تتجلى باحمرار الوجه والإحساس بالضيق والتوتر والقلق واضطراب الأعضاء ومحاولة الهروب والاختفاء عن أنظار الموجودين، كأن يخبئ الطفل عينيه ويغلق أذنيه حتى لا يسمع شيئًا ويدفن رأسه في حضن أمه ليتجنب ملاحظات الآخرين وانتقاداتهم أو تعليقاتهم.

وغالبًا ما نلاحظ أن الطفل الخجول طفل غير آمن، تنقصه المهارات الاجتماعية، ويفتقر إلى الثقة بالنفس والاعتماد على الذات، متردد، لا مبال، منطو على ذاته، غير مستقر، يخاف بسهولة، يتجنب الألفة والمبادرة والدخول في المغامرات الاجتماعية والاتصال مع الآخرين، فلا يبدي اهتمامًا بهم أو التحدث إليهم، ويشعر بالاختلاف والنقص وعدم الارتياح الداخلي، ويحاول دائمًا الابتعاد عن الاندماج أو الاشتراك مع أقرانه في نشاطاتهم ومشروعاتهم في المدرسة لخوفه من تقييمهم السلبي له واعتقاده بأن الآخرين سينقدونه ويفكرون به على نحو سيئ. وغالبًا ما يكون خوفه مصحوبًا بسلوك اجتماعي

غير مناسب يتصف بالارتباك وقلة الكلام مما يحول دون استمتاعه بالخبرات الجديدة أو الحصول على الثناء الاجتماعي من قبل معلميه وأصدقائه والذين بدورهم يتجنبونه على الأغلب.

والطفل الخجول في الواقع طفل مسكين وبائس يعاني عدم القدرة على الأخذ والعطاء مع أقرانه في المدرسة والمجتمع، وبذلك يشعر بالمقارنة مع غيره من الأطفال بالضعف. وهو يحمل في داخله نوعًا من ذم سلوكه، لأن الخجل بحد ذاته هو حالة عاطفية أو انفعالية معقدة تنطوي على شعور بالنقص والعيب. هذه الحالة لا تبعث الارتياح والاطمئنان في النفس. وهو غالبًا ما يتعرض لمتاعب كثيرة عند دخوله المدرسة تبدأ بالتهتهة وتردده في طرح الأسئلة داخل الفصل، وإقامة حوار مع زملائه والمدرسين وهو غالبًا ما يعيش منعزلاً ومنزويًا بعيدًا عن رفاقه وألعابهم وتجاربهم.

ويتسم سلوك الطفل الخجول بالجمود والخمول في وسطه المدرسي والبيئي عمومًا، وبذلك ينمو محدود الخبرات غير قادر على التكيف السوي مع نفسه أو مع الآخرين، واعتلال صحته النفسية. والطفل الخجول يبدو أنانيًا في معظم تصرفاته، لأنه يسعى إلى فرض رغباته على من يعيشون معه وحوله، كما يبدو خجولاً حساسًا وعصبيًا ومتمردًا لجذب الانتباه إليه!

يتكون ٢٠٪ من الخجل عند الأطفال حديثي الولادة، وتحدث لهم أعراض لا يعانيها الطفل العادي. فمثلاً الطفل المصاب بالخجل يدق قلبه في أثناء النوم بسرعة أكبر من مثيله. وفي الشهر الرابع يصبح الخجل واضحًا في الطفل، إذ يخيفه كل جديد، ويدير وجهه أو يغمض عينيه، أو يغطي وجهه بكفيه إذا حدق شخص غريب فيه. وفي السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب إلى دار غريبة، إذ غالبًا ما يكون بجوار أمه يجلس هادئًا في حجرها أو بجانبها.

الوراثة والنقص

الخجل عند الأطفال له أسباب كثيرة أهمها:

- الوراثة: تؤدي الوراثة دورًا كبيرًا في شدة الخجل عند الأطفال. فالجينات الوراثية لها تأثير كبير على خجل الطفل من عدمه، وهذا ما أكدته التجارب، لأن الجينات تنقل الصفات الوراثية من الوالدين إلى الجنين. والطفل الخجول غالبًا ما يكون له أب يتمتع بصفة الخجل، وإن لم يكن الأب كذلك فقد يكون أحد أقارب الأب كالجد أو العم.

- مخاوف الأم الزائدة: أي أم تحب طفلها باعتباره أهم ما لديها، لذا تشعر الأم بأن عليها أن تحميه من أي أذى أو ضرر قد يصيبه، ولكن الحماية الزائدة على الحد تجعلها تشعر بأن طفلها سيتعرض للأذى في كل لحظة! ومن دون قصد تملأ نفس الطفل بأن هناك مئات من الأشياء غير المرئية في المجتمع تشكل خطرًا عليه، ومن ثم يشعر بالخوف، ويرى أن المكان الوحيد الذي يمكن أن يشعر فيه بالأمان والاطمئنان هو إلى جوار أمه. ومثل هذا الطفل يشعر بالخوف دائمًا ولا يستطيع أن يعبر الطريق وحده، أو يستمتع بالجري أو اللعب أو السباحة في البحر، لأنه يتوقع في كل لحظة أن يصاب بأذى، ويظل منطويًا خجولاً بعيدًا عن محاولة فعل أي شيء خوفًا من إصابته بأي أذى.

- مركب النقص: يعاني بعض الأطفال من مشاعر النقص نتيجة نواقص جسمية أو عاهات بارزة، وهذه النواقص والعاهات تساعد على أن ينشأ هؤلاء الأطفال خجولين وميالين للعزلة. ومن

ينبغي للمعلم في المدرسة أن يقوم ببث الثقة في نفوس التلاميذ ومعاملتهم بالمساواة دون تحيز، والبعد عن مقارنة الأطفال بمن هم أكثر حظًا منهم، سواء في الاستعداد الذهني أو الجسمي، أو من حيث الوسامة، أو القدرات والاستعدادات الاجتماعية، لأن مثل هذه المقارنات تضعف ثقة الطفل بنفسه وتؤدي به إلى الخجل

هذه النواقص والعاهات البارزة ضعف البصر، وشلل الأطفال، وضعف السمع، والاضطراب في الكلام، أو السمنة المفرطة، أو قصر القامة المفرط وغيرها.

- التدليل المفرط: فالتدليل المفرط من جانب الوالدين لطفلهما يعد من أهم أسباب خجل الطفل الشديد. ومن مظاهر هذا التدليل المفرط عدم سماح الأم لطفلها بأن يقوم بالأعمال التي أصبح قادرًا عليها اعتقادًا منها أن هذه المعاملة من قبيل الشفقة والرحمة للطفل! ومن مظاهر التدليل المفرط عدم محاسبة الأم لولدها حينما يفسد أثاث المنزل، أو عندما يتسلق المنضدة، أو عندما يكتب على الجدار بقلمه.

- اتباع الوالدين أساليب عشوائية في تربيته: والتي تظهر في نماذج مختلفة، كاستخدام أساليب القسوة واللوم المتكرر والشدة الزائدة على الطفل في أن يكون مهذبًا، والإفراط في توجيهه وإرشاده، أو نبذه بالقول أو بالفعل أو إهماله وعدم الاكتراث به، أو عدم الثبات في معاملته والتأرجح (تارة بين الحزم غير العنيف وتارة التعاطف والتساهل جدًا أو العقاب بعنف)، أو توجيه النقد الزائد له والبحث عن أخطائه، والسخرية من عيوبه، والإكثار من توبيخه وتأنيبه لأتفه الأسباب، وتصحيح أخطائه بأسلوب قاس وعلى نحو متكرر وخصوصًا أمام الآخرين، مما يزيد من شعوره بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا صحيحًا ويتوقع دائمًا الاستجابات السلبية، ويؤدي ذلك بالطفل إلى مزيد من مشاعر القلق والخوف.

إعادة الثقة

يمكننا تخفيف حدة مشاعر الخجل الشديد والحساسية العالية عند الطفل وإعادة ثقته بنفسه وتصحيح فكرته عن ذاته وتنمية مهارات اجتماعية إيجابية لديه من خلال ما يلي:

- توفير الجو الهادئ للأطفال في البيت، وعدم تعريضهم للمواقف التي تؤثر في نفوسهم وتشعرهم بالقلق والخوف وعدم الاطمئنان. ويتحقق ذلك بتجنب القسوة في معاملتهم والمشاحنات والمشاجرات التي تتم بين الوالدين، لأن ذلك يجعلهم قلقين يخشون الاختلاط بالآخرين ويفضلون الانطواء وعدم مواجهة الحياة بثقة واطمئنان. كما يتحتم على الآباء والأمهات أن يوفروا لأولادهم الصغار قدرًا معقولاً من الحب والعطف والحنان، وعدم نقدهم وتعريضهم للإهانة، أو التحقير، وخصوصًا أمام أصدقائهم أو أقرانهم.

- ينبغي على الأم إخفاء قلقها الزائد ولهفتها على طفلها، وأن تتيح له الفرصة للاعتماد على نفسه ومواجهة بعض المواقف التي قد تؤذيه بهدوء وثقة، فكل إنسان لديه غريزة طبيعية يولد بها تدفعه للمحافظة على نفسه وتجنب المخاطر. والطفل يستطيع أن يحافظ على نفسه أمام الخطر الذي قد يواجهه بغريزته الطبيعية، وفي ذلك تشجيع حب الاستقلالية والاعتماد على النفس بشكل تدريجي عند الطفل.

- أن يهتم الوالدان بتعويد أطفالهما الصغار الاجتماع بالناس، سواء بجلب الأصدقاء إلى المنزل لهم بشكل دائم، أو مصاحبتهم لآبائهم وأمهاتهم في زيارة الأصدقاء والأقارب، أو الطلب منهم برفق ليتحدثوا أمام غيرهم سواء كان المتحدث إليهم كبارًا أو صغارًا.

- يجب على الآباء والأمهات أن يقوموا بتدريب الطفل الخجول على الأخذ والعطاء، وتكوين الصداقات مع أقرانه من الأطفال، وذلك بتشجيعه بكل الطرق على الاختلاط والاحتفاظ بالصداقات. كذلك فإن مشاركة الطفل الخجول في أنشطة نوادي أو منظمات تلائم اهتماماته يمكن أن تخرجه من قوقعة الخجل، عن طريق رابطة فاعلة يشعر بأنه جزء في مجموعة مترابطة، مثل جماعات الفنون والحرف اليدوية والألعاب الرياضية.

- ابتعاد الوالدين عن التدليل المفرط للطفل، وتعويده الاعتماد على ذاته في ارتدائه ملابسه وحذائه وغيرهما من الأمور الأخرى، فكلما كان الطفل مدللاً معتمدًا على أبويه، وكان نضجه الانفعالي غير كامل، وكلما كان بعيدًا عن الاعتماد

على ذاته في الأمور الصغيرة، نشأ خجولاً. كما ينبغي على المعلم في المدرسة أن يقوم ببث الثقة في نفوس التلاميذ ومعاملتهم بالمساواة دون تحيز، والبعد عن مقارنة الأطفال بمن هم أكثر حظًا منهم، سواء في الاستعداد الذهني أو الجسمي، أو من حيث الوسامة، أو القدرات والاستعدادات الاجتماعية، لأن مثل هذه المقارنات تضعف ثقة الطفل بنفسه وتؤدي به إلى الخجل.

- التعاطف بدلاً من النقد: إذ إن الطفل الخجول يسمع نقدًا دائمًا، إن لم يكن من الآخرين



فمن نفسه ذاتها. فالأشخاص الخجولون هم أسوأ الناقدين لأنفسهم. فإذا حدث لهم فشل في مناسبة اجتماعية فإنهم ينحون باللائمة على أنفسهم لأنهم لا يحسنون التصرف ولم يكونوا على مستوى الحدث.

- الإنصاف في المعاملة: يحدث أحيانًا أن يكون أحد أطفال الأسرة منبسطًا غير متحفظ، يهيمن على محادثات الأسرة وأنشطتها، بينما يكون طفل آخر خجولاً منطويًا على نفسه. وتلجأ أسرة لها عدد من الأطفال لمعالجة هذا الوضع بممارسة لعبة تدعى «الأخبار الطيبة» على مائدة العشاء، فيطلب من كل عضو في الأسرة، بغض النظر عن سنه، أن يصف شيئًا طيبًا قد حدث خلال ذلك اليوم، ولا يسمح لأحد بأن يشكو من تصرفات الآخرين، وأن تتوافر لكل طفل فرصة الكلام، بينما يصغي الآخرون إليه. ويصبح الطفل بذلك مشاركًا فعالاً، وعدم مقارنته بإخوة أو أصدقاء أفضل منه من حيث القدرات والاستعدادات.

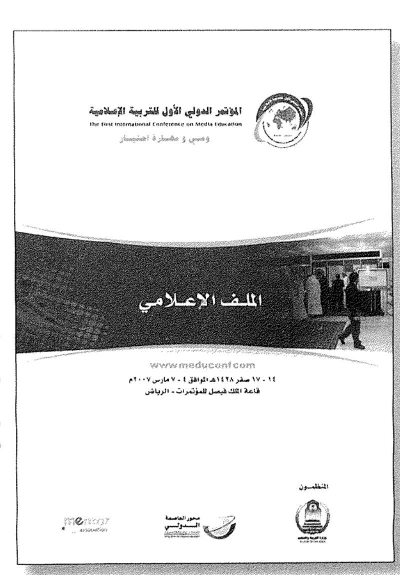
- التحلي بالصبر: إن التخلص من خجل الطفل يحتاج إلى الصبر لفهم ذلك، والصبر لساندة الطفل ومساعدته، والصبر لعدم توقع نتائج ضخمة. إن هناك ملايين الأشخاص البالغين قد تمكنوا من التخلص من خجلهم (ومن المؤكد أن الأطفال الذين يشعرون حاليًا بأنهم أسرى لخجلهم بوسعهم أن يتمكنوا من التحرر والانطلاق) بمساعدة الآباء والأمهات، بإشعاره بالتقبل والحب والتقدير والصداقة والإنصات له ليفصح عما في نفسه من مشاعر غضب وقلق ومخاوف وهواجس، ومحاولة إيجاد الحل لها، والإصغاء إلى أفكار الطفل ومشاعره وآرائه ومتطلباته وقصصه ومحاولة فهمها لدى التعبير عنها ومناقشته بابتسام ولطف.

- تدعيم ثقة الطفل بنفسه: فقد يعاني الطفل الخجول عدم تقديره لذاته ويكون بذلك في حاجة لمساعدة خاصة للتعامل مع الحالات التي يتعرض فيها لعدم القبول لدى الآخرين. فيجب هنا أن يتحدث الوالدان عن النواحي الإيجابية لدى ابنهم أو ابنتهم. ■

(المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية)

مهارات التعامل مع الإعلام

خاص - المعرفة



كثيرًا ما يتجه الفهم لدى الحديث عن التربية الإعلامية إلى أنها أشبه ما تكون بسياج حماية للأطفال والشباب من أخطار وسائل الاعلام على أخلاقهم وأفكارهم ومبادئ مجتمعهم الأساسية. والحقيقة أن هذا السياج لم يعد مجديًا بعد أن تسللت القنوات الرقمية إلى أسطح المنازل وتغلغلت شبكات المعلومات الالكترونية بين جدرانها الخرسانية.

لقد أدت تقنية الاتصال التي نعيش مرحلة من مراحل ازدهارها إلى تمديد معنى التربية الإعلامية بعد الوثوق باستحالة نجاح أي تسييج للمدارك في استقبال مواد الإعلام المتنوعة والمتزايدة بشكل غير محدود، مما دعا إلى توسيع حيز المعاني التي تندرج تحت مصطلح (التربية الإعلامية) لتشمل كل ما يقع تحت مهارات التعامل مع وسائل الإعلام من فهم لمحيطها الثقافي، وحسن انتقاء لمنتجاتها، ومشاركة فاعلة مؤثرة في موادها. هذه المعاني الجديدة هي المادة التي حرصت المملكة العربية السعودية ممثلة في وزارة التربية والتعليم على أخذ زمام المبادرة في نشرها على مستوى قارة آسيا والخليج العربي، وذلك باحتضانها (المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية) خلال أربعة أيام بدءًا من ١٤٢٨/٢/١٤هـ. حيث يعدّ هذا المؤتمر أكبر تظاهرة في مجال التربية الإعلامية في الشرق الأوسط سواء في مستوى المشاركين الذين يمثلون قيادات تربوية وإعلامية وثقافية من مختلف دول العالم، أو في عددهم الذي يتجاوز ٣٠٠٠ مشارك.

ولعل أوجز الاستدلالات للاهتمام البالغ الذي توليه المملكة العربية السعودية لهذا المؤتمر هو رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – يحفظه الله- لفعالياته .

ويمكن تحديد أهداف المؤتمر الذي تنظمه وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع المنظمة الدولية للتربية الإعلامية و منظمة اليونسكو (جامعة برشلونة، مركز مزار للأبحاث ـ ومحور العاصمة الدولي لتنظيم المعارض والمؤتمرات) - بالآتي:

- التعريف بالتربية الإعلامية وأهميتها.
- بناء شراكة مع منظمة اليونسكو في مجال التربية الإعلامية.
- وضع الأطر الرئيسة لقيام وزارة التربية والتعليم بتكييف مشروع (المونتور MP) ليناسب استراتيجياتها.
- إبراز الدور الإعلامي والريادي للمملكة العربية السعودية في مجال الانفتاح الإعلامي المنضبط.
- إبراز عملية التحديث والتطوير في النظام التربوي والتعليمي في المملكة.

أما جلسات المؤتمر فتجيء تحت خمسة محاور، هي:

- التعريف بالتربية الإعلامية.
- أساليب التربية الإعلامية.
- أهمية التربية الإعلامية لوزارة التربية والتعليم في المملكة.
- دور وسائل الإعلام في التربية.
- المراحل التربوية لوسائل الإعلام.

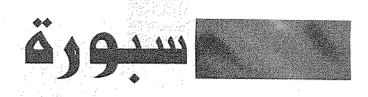
وسوف يصحب المؤتمر تكريم لرعاته من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يحفظه الله، وتكريم للشخصيات البارزة في مجال التربية والتعليم، وورش عمل متخصصة لمشاركين من اليونسكو، ومعرض لتقنيات الاتصال والتعليم.

واعتمادًا على هذا المؤتمر سوف تضاف وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية إلى الأطراف الرئيسة الناشطة في مجال التربية الإعلامية، والتي تضم: تحالف من أجل أمريكا واعية إعلاميًا، ورابطة الوعي الإعلامي (في الولايات المتحدة الأمريكية)، مركز الاتصال بين قطاع التعليم ووسائل الإعلام (في فرنسا)، معهد السينما البريطاني (المملكة المتحدة)، شبكة التوعية الإعلامية (في كندا). ■

- حملة اعتقال مجلة المعرفة!

- الإدارة الثعلبية

- «عشرة عمر»



حملة اعتقال مجلة المعرفة!

عبدالسلام حمدان الدرعان - الجوف

وزارة التربية والتعليم هي «وزارة كل الناس». ولا أريد الخوض في تفاصيل أهمية التربية والتعليم عندنا أو عند غيرنا من بلدان العالم، لكني أؤكد الخصوصية التي لدينا ويمكن إيجازها بالرسالة التي نحملها والإمكانات المدعمة لها.

أيضًا لابد من الإشارة إلى أهمية دور الوزارة في تشكيل ثقافة المجتمع وتوجهاته، كون المجتمع بأكمله يمر عبر المدرسة، وهذا ما جعل «الهم التربوي» يشغل بال الجميع، ويتصدر موضوعات الطرح في أحاديث الناس، وفي وسائل الإعلام والاتصال المختلفة.

وانطلاقًا من توجه الوزارة في الانفتاح على المجتمع وتفعيل الشراكة معه بما يتماشى والدور المنوط بها وأهميته في تحقيق الأهداف المرجوة والنجاح المنشود لكل أطراف المعادلة، ولكون الصحافة هي بمثابة السلطة الرابعة في المجتمع بصفة عامة فإننا نفترض أن تكون مجلة المعرفة هي السلطة الأولى على الوزارة بوجه خاص؛ من خلال إفساح المجال بصورة أكبر للنقد الموضوعي البناء الذي يثري المجلة ويعين المعنيين في أداء عملهم ليسير جنبًا إلى جنب مع أبواب المجلة الأخرى ويسهم في تحقيق رسالتها بصفة عامة.



إننا نتطلع إلى أن تكون مجلة المعرفة ساحة حوار مفتوح للمهتمين والتربويين تحديدًا، يتاح فيها النقاش وتبادل الأفكار وطرح الرؤى والمقترحات، وهذه بحد ذاتها أهداف يجب تعزيزها لدورها في الإسهام في بث ثقافة الحوار، بغض النظر عن نوعية الطرح ومدى الأخذ به. كما أنها هي المجلة المتخصصة في الشأن التربوي والتعليمي، ومن الأهمية أن يكون «زيت التربية في دقيقها»، مع عدم الإقلال من الأطروحات في الإعلام الآخر بما يوافق الشراكة التي أشرنا لها.

لقد بات الإعلام يمتلك كلمة مسموعة ومؤثرة في كل مناحي الحياة، وصار من الأهمية الاستفادة من ذلك في الجوانب التربوية والتعليمية خصوصًا لأهميتها البالغة ولما في ذلك من توفير الوقت والجهد والمال. وإذا كنا نتطلع للإعلام التربوي الفضائي، فإن ذلك لا يعني تجاهل أي من وسائل الإعلام (ومنها المقروء) ونخص هنا مجلة المعرفة. ونرى أهمية النهوض بها من خلال الملاحظات التالية:

- دراسة الوضع الحالي للمجلة خلال سنوات إعادة الإصدار الأخير دراسة تقويمية والاستفادة من بيوت الخبرة ذات الاختصاص.

- أن الصحافة مثل غيرها تعتمد في قوتها وانتشارها على مادتها ومضمونها مع تفاصيل العمل الأخرى. ونرى أن من غير المناسب فرض الاشتراك على المدارس بقوة النظام ولتسمحوا لي إن سميت «حملة انتشار المعرفة» بـ«حملة اعتقال المعرفة»، لأن في ذلك تقييدًا للعقل والتفكير وحصره في شيء محدد. هذا في الوقت الذي ننتظر الاستغناء عن المناهج والمقررات ليس بتعويضها بأقراص الحاسب، ولكن عن طريق ترك المعلم يتصرف في ذلك بعد تحديد الأهداف المرحلية والصفية والمفردات الدراسية لكل مادة من قبل الوزارة. وبالطبع بعد إعادة تقنين اختيار المعلمين.

أمّا الدعاية لمجلة المعرفة في المجلة نفسها، من خلال عبارة «المجلة الثانية في الوطن العربي» لنا فيها رؤية من خلال الأسئلة التالية:

- هل نفهم من هذا الإعلان أن نكتفي بهذا المركز ونقتنع بهذا التحديد، الذي تكرسه المجلة عن طريق تكرار نشره ونتوقف عن الطموح؟!

- ما مصدر هذا التقييم؟ ومن الجهة التي أقرته؟ وما مدى إمكاناتها؟ وهل هذا التقويم مفتوح أم لفترة محددة؟

- هل من المناسب أن يتم إعلان للمجلة في نفس المجلة، أم يترك ذلك للآخرين، وندع الحكم لهم من خلال أطروحاتهم المختلفة؟

ختامًا.. لا يهم على من تحسب هذه الملاحظات، وفي أي فترة زمنية من عمر الوزارة، المهم هل هي موضوعية؟ وهل تأخذ حقها من الدراسة والنشر؟ والأهم: هل نرى مجلة المعرفة «المجلة الأولى في العالم العربي» ثم في العالم أجمع؟ لم لا والإبداع ليس له سقف ولدينا كل المقومات؟! ■

سوبر مدير!

سلمان محمد المطيري - حفر الباطن

مع بداية كل يوم دراسي يوزع علينا مدير المدرسة قصاصة ورقية قصيرة تحتوي على ما هو مطلوب منا عمله في هذا اليوم. ويتكرر هذا الأمر منذ أكثر من أربع سنوات (هي سنوات خدمتي في هذه المدرسة).

في بداية عملي كمرشد طلابي في هذه المدرسة ظننت أن الأمر حماسة ونشاط مدير مستجد، ولكن أن يستمر حتى السنة الرابعة وما زال، فهذا أمر استثنائي قياسًا على واقعنا اليوم.

فبرنامجه يبدأ بتوزيع ورقة المهام على المرشد والهيئة التعليمية والوكيل. وأيضًا لا ينسى نفسه، يضع له ورقة خاصة به وكأنه يكلف نفسه. ولكن من يتابعه؟!

يبدأ يومه في المدرسة قبل الجميع ويفتح دفتر الحضور بعد أن يفتح أبواب المدرسة وينتهي يومه مع آخر طالب ومعلم يخرج من المدرسة. مع دوام إضافي بعد العصر في بداية العام وبعد كل إجازة مدرسية وأثناء الامتحانات. يتابع كل شيء في المدرسة ويعقد الاجتماعات ويعمل عمل الوكيل وأمين المكتبة ومراقب الطلاب ويشرف على حضور الطلاب وانصرافهم.. ما هذا؟! ماذا يُسمى هذا المدير؟! ديكتاتوري، ديمقراطي، يوزع المهام، يمسك بزمام الأمور، متسلط... لا أشك في أنه قد يدخل الفصل ويعطي درسًا في حالة غياب المعلم وتطلّب الأمر ذلك.

هذا المدير يثير اهتمامي فهو مستعد لأن يعمل مديرًا تارة ومرشدًا طلابيًا تارة ووكيلًا تارة أخرى.

يقول لي إنه خلق للعمل بعد عبادة الله.. والإجازة لا تعني له الكثير سوى الاستعداد لبداية جديدة. والإجازة الاضطرارية لا يعرفها إلا عندما تتحقق كمعنى وضرورة لا بد منها.

ولكن فات هذا المدير إجادة توزيع المهام. فالمرشد مرتاح والوكيل عمله منجز!

نحن لا نريد الراحة من العمل بل إثبات الوجود مطلبنا، والخبرة هدفنا، وخدمة الطالب غايتنا. نريد أن نشارك في العمل (على الأقل عملنا) والزائد نتنازل عنه وبكل سرور. ■

لن أعمل بمذكرة متابعة الواجبات المنزلية!

محمد إبراهيم فايع - خميس مشيط

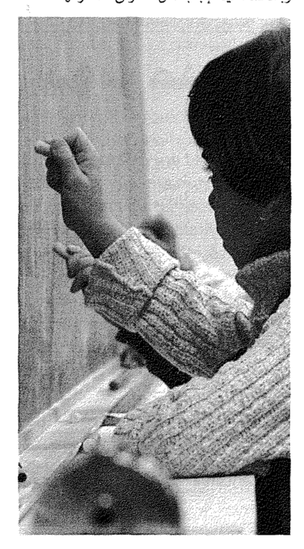
بداية أقول لا يمكن للمدرسة أن تنجح بدون تعاون البيت ولا يمكن للبيت أن يقوم برسالته دون أن تصنع معه المدرسة نوعًا من الشراكة حتى يمكن للطرفين أن يتابعا طلاب المدرسة (أبناء الأسرة) وهي مهمة مشتركة لأهداف مشتركة.

ولأن لمشاركة أسر الطلاب في المتابعة والإشراف دورًا في نجاح أبنائهم دراسيًا ومسلكيًا فلقد أتت «مذكرة متابعة الواجبات المنزلية» لتشكل إحدى قنوات الاتصال بين البيت والمدرسة وكهمزة وصل بين الطرفين ولتعطي تصورًا عن واقع الأبناء في المدرسة وتشير إلى أن هناك متابعة منزلية لأنشطتهم وتحصيلهم الدراسي حتى يكون المعلمون والآباء على اطلاع مشترك يمكنهم من مساعدة أبنائهم وطلابهم.

هذا التواصل يحتاج إلى إدراك كامل بأهمية الواجبات المنزلية التي يجب أن تحظى بمتابعة شديدة من مدير المدرسة ومعلم الطالب وأسرته، وبإرشاد الطلاب وتدريبهم إلى كيفية تسجيل الواجبات وتدوين الملحوظات فيها. مع الإشارة إلى أن معظم المعلمين وأولياء الأدوار يهمهم ويسعدهم متابعة أبنائهم عبر مذكرة الواجبات.

وأنا أشير إلى أهمية الإدراك والوعي الكاملين بأهمية هذه المذكرة تعجبت من موقف لأحد المعلمين الزملاء في الميدان حينما دار الحديث حولها فقال: أنا لست مقتنعًا بها بل لن أعمل بها مهما كانت الأحوال. هذا الرد صاحبه صلف واحتدام في النقاش وصل بالمعلم إلى أن يقول أمام مدير المدرسة كل درجة حول مذكرة الواجبات في الأداء الوظيفي لا أريدها ولن أعمل بمذكرة متابعة الواجبات!

حاولت أن أعقلن الحوار الذي أحاله المعلم الزميل إلى جدل، وقلت: أنت تعمل معلمًا في الصف الأول فأنت أحرى بالأخذ بها وإلا كيف لأسرة الطالب أن تعرف واجبات ابنها وما يكلف به في المنزل وما أنجزه وهي ليست فقط للمقصرين لإبداء الملحوظات، بل كذلك للمتفوقين بوضع عبارات مشجعة وجمل محفزة.. وكنت سألت المعلم الزميل: هل لديك ابن في الصفوف الأولية أو غيرها؟ قال: نعم، قلت: هل أحضرت له مذكرة متابعة الواجبات؟ قال: هي ابنة.. وبعد تلكك في الإجابة قال: لا، ولن أحضر لها. فقلت:



كيف تتابعها قال عن طريق الكتب والكراسات.. إنها لا تكفي لأن هناك تكاليف منزلية وملوحظات ليس شرطًا أن تكون دراسية.. هناك أشياء قد تعطي رأيك فيها وتسجل قناعتك بكل حرية مثل كأس الشاي الذي أمامك أتريده أم لا تريده، ولكن ليس لك أن تحرم طلابك وأسرهم من حقهم المشروع في متابعة الواجبات أو تدوينها. قناعتك - يا سيدي - هي رهن الموقف ومتطلبات العمل لاسيما وأنت معلم للصف الأول المعلم الذي أعطي نصابًا منخفضًا، حجتك وغيرك أمامه ضعيفة إذا ما تحججت بكثرة أعمالك وإلا ماذا يعني حصولك على هذه الميزة والحوافز في الإجازات والإعفاء من حصص الانتظار والإشراف اليومي والمراقبة في الثانويات؟! حقيقة لا أخفي عنكم لقد أسفت أن هناك معلمين لديهم قناعات شخصية يحاول فرضها على مهام ومتطلبات العمل.

إنها مهمة مديري المدارس في اختيار أكفأ المعلمين. ليس هذا فحسب ولكن متابعتهم ومحاسبتهم عند أي قصور «كلكم راع وكلكم مسؤول..» وهي مهمة المشرفين التربويين في متابعة قيام المعلمين برسالتهم ومنها الاهتمام بمذكرة الواجبات المنزلية، علمًا أن من ضمن خطة المرشد الطلابي متابعة مذكرة الواجبات المنزلية والإشراف الدوري عليها. وهي في نهاية كل فصل بمثابة سجل يكشف جهود المعلمين والطلاب ولا غنى عنها. ■

الإدارة الثعلبية!

محمد العريفي الجهني - أملج

فنون الإدارة كثيرة يعرفها من أوتي علم في الإدارة أو مارسها، لكن مع هذا التطور المتسارع في الحياة الاجتماعية والنفسية والعلمية للمجتمع ظهر فن جديد من فنون الإدارة ألا وهو فن الإدارة الثعلبية نسبة إلى حيوان بري يطلق عليه «الثعلب» أو بلغة عامية «أبو الحصين». هذا الفن الإداري اتخذ من مهارات الثعلب فنًا ليسيّر به أمور إدارته. ومن المعروف أن الثعلب يتصف بعدد من صفات المكر والخداع.. أيضًا هذا الإداري يتخذ عددًا من هذه الصفات مع تطويرها لتصل إلى المرحلة «الحمارية» في الصبر والمثابرة وقوة الاحتمال!

وعلى نفس الطريقة لا يتزحزح عنه قيد أنملة. تجده ثعلبيًا في جلسته، في سيارته، في خطاباته، في أسلوبه.

ومن أبرز مقومات الإدارة الثعلبية الكذب، فهو طريق للوصول إلى قلب فريسته، بل إن هذه العوامل الثعلبية ساعدت على نجاح البعض في الإدارة ونيل الشهادات والجوائز والمناصب؛ لأنه كلما أحس بالخطر اتخذ من أساليب الثعلب المختلفة: تغير الشكل والمشية وإصدار الروائح والتظاهر بالضعف والمسكنة.. حتى يحقق ما يصبو إليه.

ولو نظرنا إلى مخرجات هذه الإدارة الثعلبية نجد انهيارًا وضعفًا.. وبصريح العبارة «ضحك على الدقون»! ■



سبورة

«فخر الدُّنا»

شعر: أحمد محمود عبدالباقي - جدة

خُذ في الزمان مكانكَ المرموقا ... ما كنتَ يومًا في العُلا مسبوقا

أنت الثُّريا قد بَدت في عِزة ... بين النجوم تألُّقًا وسُموقا

بل أنت بحرٌ ذاخرٌ متدفقٌ ... يَجني العُلا من غاصَ فيه عميقا

حلّقتَ في العلياءِ تَسمو رفعةً ... فأجدت يا فخرَ الدُّنا التَّحليقا

قالوا المعلمُ شمعةٌ وضاءةٌ ... بل أنتَ شمسُ الخافقين شُرُوقا

من ذا يُضيءُ الحَالكاتِ بنورهِ ... يَهدي الحَيارى السالكين طريقا؟

من ذا الذي لا يستكين لشدّةٍ ... كالسيف يُكسبه اللهيبُ بَريقا؟

من ذا الذي للعالمين نجاتُهم ... كالطوق يُنقذ هالكًا وغَريقا؟

ذاك المعلم وهو يَرسُم لوحةً ... بالتضحياتِ يزيدُها تَنْميقا

مازلتَ تغرسُ في النفوسِ مَبادئًا ... عرفت إلى شغَف القلوب طَريقا

مازلت تغرسُ في ثباتٍ صامتًا ... حتى غَدا الغرسُ الحميدُ وريقا

تتفيأُ الأكوانُ طيبَ ظلالهِ ... عزًا ومجدًا خالدًا وعريقا

وغدوت تبني للمكارمِ صرحَها ... فأتى بناؤك مُحكمًا ودقيقا

شكرًا إليك معلمي أنت الذي ... شوقتني للمرتقى تَشويقا

كم قد زللتُ وأنت تغفر زلتي ... ما كنتَ إلا صاحبًا وصديقا

ما كنتَ فظًا قاسيًا متجهمًا ... بل كنت أنت كوالديَّ شَفوقا

فإذا قسوتَ فكي تقوِّمَ عَثرتي ... لأكونَ من قيْدِ الهَوان طليقا

فإذا اعترتني شدّةٌ أو كُربةٌ ... ولقيتُ من صرف الحياةِ الضيقا

أسرعتَ تمنحني الحياةَ برقةٍ ... متلطفًا مترفقًا ورقيقا

يا صانعَ الأجيالِ كنتَ ولم تزل ... بالحبِّ والتبجيل أنت خليقا

هذا قصيدي في الوفاءِ معلّمي ... ينسابُ منه اللحنُ كالموسيقى

ضرورة وليست ترفًا

الحديقة المدرسية

د. محمد عودة العنزي - الرياض

لا شك أن البيئة المدرسية السليمة والمتوافقة مع سن الطفولة والشباب تعتبر من أهم العوامل المساعدة على نجاح العملية التربوية والتعليمية وخلق جيل ناجح يخدم أمته ووطنه ويملك مفاتيح المعرفة والتطور والتقدم والعلم والثقافة. ولا شك أن من أهم مقومات البيئة المدرسية المثالية والمناسبة هو وجود حديقة مدرسية مقامة بطريقة علمية ويراعى فيها البناء العملي والتكوين النفسي للطالب أو الطالبة.

ورغم أهمية وجود حديقة مدرسية في كل بناء مدرسي كما يوصي بذلك التربويون وخبراء التعليم والطب النفسي والمتخصصون في سلوك الأطفال والشباب، إلا أن الحديقة المدرسية (بكل أسف) لم تحظ بنصيبها الطبيعي كركن أساسي ومهم من البناء المدرسي المتكامل، إما بسبب أن البعض لا يؤمن بأهمية وجودها أو أنه يعتبرها من الكماليات غير الضرورية! وقد تكون الحديقة المدرسية موجودة في الكثير من المدارس، ولكن مصيرها النسيان والإهمال وعدم الاهتمام. وغالبًا ما تكون الحديقة المدرسية ضحية لأي عملية توسع للمبنى المدرسي.

إن وجود الحديقة المدرسية لم يعد ترفًا أو أمرًا ثانويًا بل أصبح جزءًا أساسيًا وضروريًا من العملية التربوية الحديثة لا يستقيم حال التعليم بدونه. فالحديقة المدرسية تعتبر المتنفس الوحيد للطلاب والطالبات، ومصدرًا للتعلم والمعرفة وزيادة الوعي البيئي لدى الطلاب والطالبات وتحسين معرفتهم بالغذاء، مما يؤدي إلى الرقي بحالتهم الغذائية وصحتهم وسلامة أبدانهم. كما أنها وسيلة مهمة لتنقية الجو، وتلطيف درجات الحرارة، وتجديد الهواء الجوي، وزيادة الأكسجين مما يؤدي إلى تهدئة النفوس وتحسين الصحة النفسية للطلاب والطالبات.

ومن المهم أن يقوم الطلاب والطالبات بأنفسهم بعملية غرس الشتلات والورود داخل الحديقة المدرسية كجزء من الأنشطة اللاصفية.

إن بناء وتجهيز الحديقة المدرسية يجب أن يراعي الجوانب الصحية وعوامل السلامة. فالنباتات يجب ألا تشكل خطورة على الطلاب، كأن تحتوي على أشجار شوكية مؤذية أو نباتات سامة، لذا يجب الحرص على قص وتهذيب الأشجار وعلى وضع القوارير والأحواض الزراعية داخل الفصول الدراسية وفي الممرات وفي غرف المعلمين وفي زوايا البناء المدرسي المختلفة وعند مداخل المدرسة من أجل ظهورها بالمظهر الجمالي المناسب المريح للنفس والذي يساعد على اكتساب مهارات التعلم والمعرفة ■



«عشرة عمر»

قصة: محمد عصام علوش - الجبيل

خرج من المدرسة غاضبًا، وامتطى سيارته متوجهًا إلى إدارة المنطقة التعليمية، بعد أن حسم أمره، واتخذ قراره بالتقاعد المبكر. توقف عند إشارة المرور الحمراء شأنه شأن سائقي السيارات الأخرى العابرة إلى المجهول. فتح الحقيبة المدرسية التي كانت بجانبه على المقعد الأمامي، وأخرج طلب الاستقالة الذي كان قد دسه في ملف فيه أوراق الاختبارات وخطابات الشكر والتعاميم المدرسية. تأمل في الطلب مليًا واطمأن بسرعة إلى أن العبارات التي أوردها لتسويغ استقالته مقنعة، وتأكد من أنه ذيل طلب الاستقالة بكتابة اسمه الصريح وتوقيعه، ورقمه الوظيفي، المعلم: (مخلص الطويل) - المدرسة النموذجية للبنين - الرقم الوظيفي (....).. رمق بعينيه إشارة المرور التي مازالت حمراء، وأعاد النظر إلى الاسم (المدرسة النموذجية للبنين) وتذكر أن العرب مازالوا يسمون الأشياء بمضاداتها فيطلقون على اللديغ سليمًا، وعلى الصحراء المهلكة مفازة، وعلى الوجه القبيح جميلاً وصبوحًا! الرقم الوظيفي لم يعن له بعد سنوات الخدمة الطويلة التي تجاوزت ثلاثين عامًا سوى أنه تحول إلى رقم! نعم، مجرد رقم لا قيمة له بعدما كسدت سوق المعلمين، وانحدرت منزلتهم في المجتمع إلى الحضيض. إنه لا يود الآن أن يقارن بين ماضي المعلم وحاضره، ولا يود أن يتغنى بأمجاده كما تتغنى الأمة العربية الإسلامية بأمجادها المشرقة وحاضرها مظلم بائس كئيب. اختزل في برهة قصيرة صور معلميه بل صور كافة المعلمين الغابرين وغبطهم على ما نالوه من حظوة في أيامهم.

نظر إلى وجهه في مرآة السيارة فهاله الشيب الذي اشتعل في رأسه، وامتدت يده إلى الغضون التي غرستها السنون في جبينه، فتذكر أنه ينبغي أن يراجع الطبيب لقياس الضغط والسكر والحصول على العلاج المناسب لالتهاب الحنجرة المتكرر.

أضاء اللون الأصفر في إشارة المرور فأرجع طلب الاستقالة إلى مكانه في الملف وتأهب للانطلاق. اليوم سيصبح بإمكانه أن يقول لكافة أشكال الشقاء والمعاناة وداعًا، فلا مناوبات، ولا حصص إشغال، ولا ريادة صف، ولا اختبارات، ولا تصحيح أوراق، ولا تحضير دروس، ولا حصصًا توضيحية، ولا زيارات صفية لمشرفين تربويين أو غير تربويين.. وقد كان من شأن هذه الأمور أن تكون هينة سهلة لينة لو وجدت طلابًا لديهم دوافع لطلب العلم لا يتسولون الدرجات بمقدار ما يسعون إلى الفائدة، أو طلابًا لا يخرجون من المدرسة عند الانصراف بمثل ما دخلوا إليها في الصباح ولا يميزهم عن الآخرين إلا الحقائب التي يحملونها بأيديهم أو على ظهورهم.

كل مهنة هي الآن أيسر من مهنة التعليم ومن لم يصدق فليجرب دخول الفصل والتعامل مع الطلاب، وكل استثمار يدر على أصحابه أموالاً أكثر من الراتب الضئيل الذي يتقاضاه. الشهر الماضي كان شهر عيد جنت الأسعار فيه جنونًا خياليًا وكان كل همه أن يلبس الأولاد ملابس جديدة أما هو فلا فرق عنده في العيد بين القديم والجديد ما دام مقبول المظهر لكنه لم يستطع تغطية كافة النفقات! لاشك إذًا أن قرار الاستقالة قرار حكيم.

أضاءت الإشارة الخضراء وانطلقت السيارة نحو إدارة المنطقة التعليمية. لقد كان متأكدًا وهو على سرير المستشفى أن الإشارة كانت خضراء مئة بالمئة، وأن اللوم على الشاب الذي قطع الإشارة من أحد المسارات فصدمه بسيارته، وأفقده وعيه، وألزمه المكوث في وحدة العناية المشددة أسبوعين كاملين.

فتح عينيه، وتأمل فيمن حوله، وأدار رأسه يمنة ويسرة. هذه الوجوه الطيبة يعرف أصحابها كلهم، تذكرهم جميعًا بل هو يستطيع أن يعدد أسماءهم واحدًا واحدًا، إنهم زملاؤه وبعض طلابه في المدرسة..

«عشرة عمر» كما يقال. وعلى الرغم من أنه مازال يشعر بالألم الشديد في العمود الفقري في ظهره إلا أن عبارات الطبيب الجراح «أيهم» ونظراته الحانية، وبسمته المشرقة خففت كثيرًا من هذه الآلام عندما بادره بقوله: «حمدًا لله على سلامتك يا أستاذ.. فلقد أنقذك الله من موت محقق، ثم اشكر هؤلاء الزملاء والطلاب الذين هرعوا إلى المستشفى فور وقوع الحادث وتبرعوا بسخاء بدمائهم مما جعلنا نتساءل في المستشفى من يكون هذا الرجل الذي هب الجميع لإسعافه وأصروا على ملازمته مع أهله وأولاده؟! الظاهر أن طلابك يحبونك كثيرًا يا أستاذ، ولعل باقات الزهور التي تزين غرفتك الآن هي خير دليل على الحب والتقدير والاحترام».

أطال الأستاذ «مخلص» النظر في أرجاء غرفته وسره منظر الزهور التي لم ينتبه إليها من قبل، فأحس بعبيرها يملأ رئتيه وغمره شعور بالفخر والفرح، فتذكر طلب الاستقالة والحقيبة التي كانت بجانبه على المقعد في السيارة. نظر إلى الطبيب وقال: «الحقيبة... أين الحقيبة؟» وما إن تمتم بهذه الكلمات حتى دخل أحد رجال الشرطة وقال: «أستاذ: هذه الحقيبة وجدت معك في السيارة مفتوحة، وقد تبعثر ما في داخلها من أوراق إلا أن أهل الخير حرصوا على جمعها كلها وإعادتها إلى ما كانت عليه، فتفقدها ووقع على تسلمها مع الموجودات الأخرى».

تسلم الأستاذ «مخلص» الحقيبة، وامتدت يداه إلى ورقة أخرجها من ملف في داخلها فمزقها وقال: «لم يشأ الله أن أدع مهنة عايشتها وأحببتها، وتذوقت هذا القطاف منها.. إنها بحق عشرة عمر لا يمكن التفريط فيها». وشمل الجميع بنظرة تنم عن الرضا والسعادة والسرور.■

عاجل....

الإخوة والأخوات:

- أحمد سعيد الطيار- الحجرة.
- مهدي عبدالهادي - الجزائر.
- خالد محمد الزواوي - الإسكندرية.
- أمان عبدالمؤمن مخيف - طنطا.
- مساعد بن عبدالله الجنوبي - الرياض.
- محمد ملكاوي - مصر.
- رضا أحمد خليل - مصر.
- جهاد صالح - سوريا.
- سليمان عبدالعزيز آل سليمان - الدمام.
- عبدالله بن عبيد الدوسري - و ادي الدواسر.
- محمد علي الزهراني - المخواة.
- عبدالرحمن بن محمد الفاضل - الرياض.
- عبدالله علي المطمي - أبها.
- أشرف شعبان أبو أحمد - الإسكندرية.
- حسن محمد حسن - الإسكندرية.
- جمال الدين أحمد عبدالستار - الرياض.
- حاتم عبدالهادي السيد - العريش.
- سلمى فادي - مصر.
- بسام الطعان - سوريا.
- أسام الدين أنور عبيد - الأحساء.
- سماح فوزي محمد - الإسكندرية.

مشاركاتكم وصلت وبانتظار الجديد.

* * *

- الأخ/ طلعت الشيخ - تبوك: مشاركتكم «تنبيهات نافعة عن أخطاء شائعة» رغم ما تضمنته من تصويبات لعبارات متواترة على ألسن الطلاب والمعلمين وفي كتاباتهم، إلا أن مادتها غير مناسبة للمجلة.

- الأخ/ محمد أسد - سوريا: تعتذر لكم أسرة التحرير عن نشر مبحثكم «تطور مطلع القصيدة من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي» لاختصاصه في جزئية أدبية لا تدخل ضمن اهتمامات المجلة.

سبورة



■ راشد الكثيري :

فشلت أن أكون مبتسمًا !



■ أوسخ الصحف انتشارًا



■ صرت رجلًا..

عمرك الآن ٤٠ يومًا!

2

حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.
حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!
وضيف هذا العدد هو : أ.د. راشد الكثيري، عضو مجلس الشورى أستاذ المناهج والتربية العلمية بجامعة الملك سعود سابقًا.

راشد الكثيري :

انتقلت إلى كلية التربية بسبب ضفدع!

أن يعترف المرء بمحطات فشله وينشرها على الملأ في مجلة ذائعة الصيت فهذا أمر غير معتاد في مجتمعنا، كما أنه صعب على كبرياء النفس واعتقادها بأن كل قراراتها وخطواتها نجاح تلو نجاح.

والحقيقة أن الفشل مدخل للنجاح وهو ملازم في حياة من يعمل. قد نختلف في مفهوم الفشل هل هو إخفاق أم أنه مدخل من مداخل النجاح؟ حيث يروى عن أديسون أنه قال بعد أن كثرت وتعددت محاولاته لاستعمال المصباح «لقد تعلمت كذا طريقة لا توصلني لإشعال المصباح» وقد نجح بعد عدة محاولات في تحقيق طموحه وأهدافه. وبناءً على ذلك فإن النجاح قد يكون خاتمة لمجموعة من مراحل الفشل، ويتلذذ الفرد بحلاوة النجاح بعد مروره ببعض محطات الفشل، كما تحلو الراحة بعد الجهد والتعب والنصب الكبير.

بعد هذه المقدمة أعترف بأنني حاولت تمرين ذاكرتي لاسترجاع بعض المواقف والإسعاف بما يمكن أن أختاره من محطات الفشل التي مررت بها في حياتي. وبعد جهد جهيد تمكنت من اختيار هذه المحطات من بين مواقف عديدة ومحطات كثيرة. ويطيب لي أن أقدمها للقارئ الكريم ليقرأها ويقرر ما يشاء حيالها.

في المجال الأكاديمي:

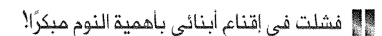
- تحولت من كلية العلوم إلى كلية التربية بجامعة الملك سعود (الرياض سابقًا) بسبب ضعفي في مهارة الرسم وبعد أن صاح أستاذ علم الحيوان علي بأعلى صوت وأطول نفس يملكه بقوله: «أنت ترسم ضفدع أم جملاااااايه» ومد كلمة «جملايه» أكثر من دقيقة. وقد يلاحظ القارئ أن هذا الأستاذ لم يسمي أنثى الإبل باسمها السليم «الناقة» والغريب أنه بقي في الجامعة حتى تجاوز الستين وربما أنه لا يزال.
- فشلت في تحقيق ما أطمح إليه من متابعة



- فشلت أن أكون مبتسمًا !

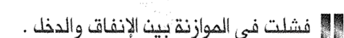
- أساتذة الجامعة بحاجة إلى دورة في استراتيجيات التدريس وأساليب التقويم!

- أفشل دومًا في تذكر أسماء من أقابلهم .



فشلت في إقناع أبنائي بأهمية النوم مبكرًا!

فشلت في الطبخ وحسبت أن السمك يطبخ مثل اللحم!



فشلت في الموازنة بين الإنفاق والدخل .



راشد الكثيري

دقيقة ومستمرة لكل جديد في مجال تخصصي لكثرة الإنتاج في المجال علاوة على أنني لا أملك الوقت الكافي للقراءة كما يجب.

- فشلت مع زملائي في كلية التربية قبل أكثر من عشرين عامًا في إقناع مسؤولي الجامعة بتبني دورة تدريبية لأساتذة الجامعة في مجال استراتيجيات التدريس وأساليب التقويم. وأثناء مشاركتي في مؤتمر تربوي في مصر عرضت الفكرة هناك وعلمت أنها طبقت في الجامعات المصرية.

- فشلت مع زملائي في كلية التربية بجامعة الملك سعود في إقناع الجامعة بالعودة إلى النظام التكاملي في إعداد المعلم.

- فشلت في إنشاء مركز لتطوير تدريس العلوم رغم وضعي للهيكلية لذلك المركز بعد عودتي من البعثة وذلك بسبب التعقيدات والروتين المقيت في بعض الأجهزة التي حاولت التنسيق معها.

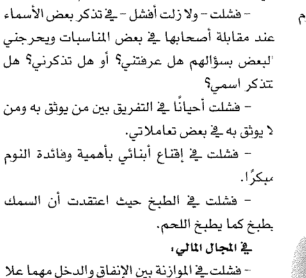


- فشلت في بعض المواقف في اتخاذ القرار السليم في الوقت المناسب.

- فشلت في استعادة بعض كتبي المستعارة ويشترك معي خلق كثير في هذا الموضوع.

في المجال الاجتماعي:

- فشلت في أن أكون مبتسمًا دائمًا بسبب كثرة المشكلات والقضايا المحلية والإقليمية والعالمية ولأنني أرغب أن نكون جادين حتى نتمكن من حل مشكلاتنا كي يتحقق لمجتمعنا الاستقرار والتقدم والنمو.



- فشلت - ولا زلت أفشل - في تذكر بعض الأسماء عند مقابلة أصحابها في بعض المناسبات ويحرجني البعض بسؤالهم هل عرفتني؟ أو هل تذكرني؟ هل تذكر اسمي؟

- فشلت أحيانًا في التفريق بين من يوثق به ومن لا يوثق به في بعض تعاملاتي.

- فشلت في إقناع أبنائي بأهمية وفائدة النوم مبكرًا.

- فشلت في الطبخ حيث اعتقدت أن السمك يطبخ كما يطبخ اللحم.

في المجال المالي:

- فشلت في الموازنة بين الإنفاق والدخل مهما علا الدخل.

- فشلت في الاستثمار في سوق الأسهم عدة مرات وفي الاستثمار العقاري أكثر من مرة.

وأخيرًا أرجو ألا أكون قد فشلت في اختيار المواقف المناسبة التي مررت بها في حياتي الأكاديمية والاجتماعية ودونتها في هذه المقابلة.

راشد الكثيري

من نوادر الأخطاء المطبعية

أوسخ الصحف انتشارًا

محمد عباس عرابي - مصر

في كل المهن تقع أخطاء كثيرة ويستطيع أصحابها أن يتستروا عليها ويخفوها بطرق ملتوية لبعض الوقت، إلا الأخطاء المطبعية فإنه لا يمكن تمريرها، حيث إنها منشورة على الملأ، وهذه الأخطاء غير مقصودة بالطبع إلا أنها تكون مثارًا للتندر والفكاهة، وفي أحيان أخرى تُوقع في مشكلات لا حصر لها وفيما يلي نذكر بعضًا منها:

- نشر المهندس ياسر قطامش، الشاعر وسكرتير تحرير مجلة المهندسين، الطرفة التالية في جريدة الأهرام يوم ٣١ يوليو ٢٠٠١م باب بريد الأهرام تحت عنوان: «لطائف قديمة» وفيها يقول: ..كنت أقرأ في بعض الأعداد القديمة من مجلة «أيام مصرية» فلفت نظري بحث طريف عن صحافة زمان، حين كانت تنشر أخبار المجتمع بجوار صفحة الحوادث..

فتحدث «لخبطة» في بعض الأحيان، وتختلط سطور الحوادث بسطور المجتمع. ومن ذلك اختلاط خبر زواج الخواجة «ساكراكوس» بخبر آخر عن حصان جامح وكان الخبر:

«.. عُقد قران الخواجة ساكراكوس من أعيان الجالية اليونانية وبعد خروجه في الزفة اندفع مبرطعًا في الشارع فحطّم واجهة حانوت حلاق وقتل طفلة، وقد وزعت أكواب الشربات على المدعوين بهذه المناسبة السعيدة.

- وأما خبر الحصان فنُشر كالتالي: «بينما كان العربجي عنتر يقود حصانه في شارع نور العيون، إذ جمح الحصان وخرج هائجًا مع عروسه وركبا عربتهما الخاصة وطافا حول القاهرة، وحضرت فرقة المطافي لإلقاء القبض عليه وتهدئة ثورته!».

- وتم الخلط أيضًا بين إعلانين بالطريقة نفسها، أحدهما تهنئة لمولود والثاني إعلان عن بيع عجل جاموس، ونشرت التهنئة كالتالي:

«رُزق حضرة الوجيه الفاضل عجل جاموس كبير بمولود جعله الله من أبناء السعادة وله تهانينا».

- أما الإعلان فنشر كالتالي:

«إنه في يوم الثلاثاء الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٣٦م سيصير بيع الحاج عبدالعزيز سلامة من أعيان كفر الشرايفة في مزاد علني، وذلك وفاء لمبلغ عشرين جنيهًا.. فعلى راغب الشراء الحضور».

ومن الأخطاء الطريفة التي أوردها أيضًا المهندس ياسر قطامش في رسالته لبريد الأهرام اختلاط خبر عودة أحد الوجهاء من جولة في أوروبا بخبر القبض على مجرم خطير. فكان الخبر الأول كالتالي: «عاد من أوروبا حضرة الوجيه الأمثل مراد بك خريج سجن قراميدان بعد أن دوخ المديرية ثلاث سنوات وقد ألقى القبض عليه مأمور المركز بمعاونة رجال المباحث، وبلغ عدد جرائمه ١٧ جريمة، وهو يشكر كل من تفضل بتهنئته على سلامة العودة».

- أما الخبر الآخر فنشر كالتالي: «ألقى البوليس القبض على الشقي الخطير عبده الأقرع بعد أن أمضى في ربوع أوروبا عدة شهور رفع فيها اسم مصر عاليًا، وقد ألقي في السجن توطئة لإرساله إلى ليمان أبو زعبل محفوفًا بتهاني الوجهاء والنبلاء».

ومن أمثلة الأخطاء المطبعية التي نشرت في عدد من الصحف، وكان يمكن تجنب وقوعها بقليل من الاهتمام عند أداء العمل ما نشرته جريدة الجمهورية (عدد ٦ سبتمبر ١٩٥٦م) عن مكتب تنسيق القبول بالجامعات، فذكرت الآتي: «..سيغلق مكتب القبول أبوابه في تمام الساعة السابعة مساء، ولن يُقبل أي طلب يُقدم إليه بعد هذا الموعد حتى ولو كان به تبريد...» والمقصود بالطبع «تبرير»!

وفي الجمهورية أيضًا (عدد ١٢ إبريل ١٩٥٨م) جاء هذان الخبران تحت عنوان: «انقلاب سيارة، وإصابة ٣ عمال لوكيل نيابة بولاق» وفي التفصيل جاء: «انقلبت مساء أمس سيارة نقل بالجبل الأصفر وأصيب ثلاثة من العمال بإصابات خطيرة. وقامت سيارة الإسعاف بنقلهم إلى مستشفى الدمرداش، وتولى بوليس الوايلي التحقيق».

أما الخبر الآخر فجاء تحت عنوان: «مرضى الصدر يستعملون التهديد بالقتل لزيادة مقرراتهم من الطعام» وفي التفصيل جاء: «يحقق الأستاذ أحمد سعفان وكيل نيابة الساحل في بلاغ تقدم به عامل قال فيه إنه أصيب بمرض ألزمه الفراش أكثر من شهر، وفجأة اختفت زوجته. وبعد شفائه اكتشف أن زوجته تزوجت بصديق الأسرة»!



والمدقق جيدًا في عنواني الخبرين، سيكتشف أن عنوان الخبر الثاني لا علاقة له بمتن الخبر، أما عنوان الخبر الأول ففيه جملة زائدة، وهي «لوكيل نيابة بولاق»، حيث إن متن الخبر لا يحتوي على أي معلومة عن هذه الجملة!

وفي جريدة الأهرام (١٤ مايو ١٩٩٩م) نُشر العنوان التالي:

«المجلس الأعلى للثقافة يحيي الذكرى الـ٨٨ لمولد فتحي رضوان» وكان متن الخبر مفاجأة لنا، حيث جاء فيه: «فتحي رضوان- الوطنية والإبداع

موضوع ندوة يقيمها المجلس الأعلى للثقافة برئاسة الوزير فاروق حسني ١١ صباح غد بمكتبة القاهرة الكبرى بالزمالك في ذكرى مرور ٨٨ سنة على رحيله»!!

وعلامات التعجب من عندنا.. فالعنوان هو الصحيح، فالاحتفال كان بمناسبة مرور ٨٨ عامًا على مولده وليس على رحيله.

وفي رسالة من بغداد، كتب مراسل الجريدة (الأهرام ٢٠ أغسطس ١٩٩٩م) موضوعًا عن المدرسة المستنصرية، وجاء فيه: «قام المغول بتدمير المدرسة وحرق كتبها، كما سرقوا ساعتها التي وصفها المؤخرون بأنها تحفة فنية إحدى عجائب الدنيا».

ونعتقد أن فطنة القارئ ستدله على أن لفظ (المؤخرون) خطأ، والصواب بالطبع المؤرخون.

ونشرت جريدة العالم اليوم (٨ أغسطس ١٩٩٩م) مقالاً بعنوان «ورحل البياتي شاعر الغربة» وردت به عدة أخطاء طريفة مثل: «إن رحيل الشعراء في الغربة يمثل ظاهرة في عالمنا العربي.. قليل من الشعراء ماتوا في أوطانهم واحتفنهم ترابها..». طبعًا الصواب هو: «احتضنهم».

وأيضًا في المقال نفسه، وردت العبارة التالية: «...في أزمنة مضت كان الشعراء يعيشون في بلاط الحمام ومنذ تمرد الشعراء وخرجوا من البلاط كان هذا العداء السافر بينهم وبين السلطة». والصواب طبعًا هو: «كان الشعراء يعيشون في بلاط الحكام».

وأخطاء الإعلانات مثلها مثل الأخطاء المطبعية في الصحف ظاهرة قديمة، فقد أشار الدكتور سيد أبو النجا رائد في الإعلان في مصر إلى بعضها في كتابه «ذكريات عارية»، حيث قال: كانت الأخطاء المطبعية كثيرة، حتى لقد أرادت شركة أن تعلن حضرات عملائها، فظهر إعلان يقول: «شركة.. تلعن حضرات عملائها».

وأرادت دار كبيرة للنشر أن تعلن عن نفسها فقال الإعلان: «إن الدار للنشل».

وكان سمعان صيدناوي يعلن عن محله بوصفه «أكبر معرض في مصر» وفي مرة نسيت الجريدة نقطة الصاد!



وهذا الخطأ القاتل كان سببه الخطأ في مجرد وضع نقطة فوق أحد الحروف، فما بالكم لو تم إبدال حرفين، فنشر الحرف غير المطلوب مكان الصحيح؟!

وهذا هو ما حدث عندما أرادت صحيفة أن تعلن عن نفسها، فقالت إنها: «أوسخ الصحف انتشارًا»! حيث أخطأ عامل الصف فدق إصبعه حرف الخاء بدلاً من العين!

ومن أطرف أخطاء الإعلانات هذا الإعلان المبوب الذي نشر في أخبار المجتمع، وكان نصه: «رزق السيد جون سميث وزوجته السيدة ماري سميث بمولود ذكر سمياه بيتر.. مبروك يا جورج»!

وإعلان آخر شبيه به نشر كالتالي: «قرر النادي تغيير موعد عشاء الأحد الأسبوعي من الثلاثاء إلى الخميس»!

وقد شغلت مشكلة الأخطاء المطبعية واللغوية في الصحف والإصدارات المتنوعة العديد من الكتّاب والصحفيين، فجعلوها موضوعًا لكتاباتهم ومقالاتهم وأحيانًا يتناولونها بالكتابة في المساحات المخصصة لهم في الصحيفة، ويحاول بعضهم إضفاء بسمة على شفاه القراء، ليتسامحوا فيما يقع من أخطاء في مقالاتهم! كما صنع الكاتب الصحفي محمد التابعي، في عدد الأخبار الصادر في ٨ نوفمبر ١٩٥٤م، حيث راح يسخر من هذه الأخطاء، وتحت عنوان «مطلوب عقد امتحان في

دور الصحف!! كتب يقول: «أصبحت أرى- والحجة من الدليل القائم بيدي- أنه ينبغي عقد امتحان عام في دور الصحف لهيئات التحرير والترجمة والتصحيح والتوضيب».

وعن الأخطاء المطبعية كتب الأستاذ أحمد رجب في كتابه «أي كلام» يقول: «..إذا رأيتُ غلطة مطبعية في بعض ما أكتب، أتذكر ما كنتُ أعانيه عندما كنت مسؤولاً عن الأخطاء المطبعية في مجلة «الجيل». فقد اعتاد الأستاذ مصطفى أمين (عند تصفحه للطبعات الأولى الصادرة من المجلة) أن تقع عينه على الأخطاء.

كيف؟! لا أعرف غير أن المرة التي لا أنساها، هي: عندما أشار مصطفى أمين إلى سطور، وهو يتساءل: ما هذا؟! وقرأت سطرًا، فإذا به خطأ قاتل.. نتج من تداخل بين خبرين، فظهر كالتالي: «..ورئيس الوزراء يفضل رياضة المشي، ويكره تقشير البطاطس» فأسرعت للمطبعة، لتصحيح هذا الخطأ، الذي سوف يتسبب بالتأكيد في أن أقشر أنا البطاطس بعد إعطائي إجازة مفتوحة بلا مرتب.

وفي العدد التالي من مجلة «الجيل» أمسكت بـ«ماكيت» المجلة وفتشت سطورها بعناية، وزيادة في الاحتياط رأيت أن أعرض الماكيت على مصطفى أمين، الذي قلّب صفحات أخبار الأسبوع السياسي، ليسألني بعد لحظة: ما هذا؟! وأشار إلى سطور تقول: «..وقال داج همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة إن المحادثات كانت ودية بين الجانبين، وأعلن أنه يكره تقشير البطاطس». ما الحكاية؟! ومن أين تأتي هذه البطاطس؟!

(يُكمل الكاتب الساخر أحمد رجب الحكاية، فيقول: ..على الفور أسرعت أتصل بالمصحح أسأله: يا سيدي.. كيف تترك هذا السطر الذي يُعلن فيه همرشولد «السكرتير العام للأمم المتحدة حينئذ» أنه يكره تقشير البطاطس؟! فوعدني بتصحيحه فورًا.

وطلبت بروفة جديدة لأجد المصحح قد وفى بوعده فعلاً، وصحح العبارة كالتالي: «وأعلن داج همرشولد أنه لا يكره تقشير البطاطس»!

وفي رده على أحد القراء حول كثرة الأخطاء في جريدة «الأخبار» يقول أحمد رجب: الأخطاء المطبعية صنوف ودرجات، وعندما تقع هذه الأخطاء في العناوين الرئيسة تصبح أخطاء لا تغتفر.

فالعنوان الرئيسي أو المانشيت لا يمكن أن تخطئه العين في بروفات الصحيفة. ومع ذلك، فقد ظهر في إحدى صحف ولاية بنسلفانيا الأمريكية هذا المانشيت العريض: «مساجين يهربون من السجن بعد إعدامهم».

وفي صحيفة لانسينج ستيت جورنال: «اتخاذ الإجراءات في الولاية لإعدام جميع المواطنين فوق ١٧ سنة».

وفي جريدة «تكساس»: «ضباط نبراسكا أحسن لصوص بنك».

وفي جريدة «جالفستون بتنيسي»: «كلب في الفراش يطلب الطلاق».

وسقطت كلمة «ثور» من هذا العنوان في صحيفة «نورث فورت ورث نيوز»، فأصبح كما يلي: «مستر فلان يمتلك أكبر قرن في تكساس».

وفي جريدة «بوسطن بوست»، جاء في خبر زفاف: «وبعد انتهاء حفل الزفاف ودّعت العروس عريسها لتقضي شهر العسل»

وفي صحيفة «تيبتو نفيل بتنيسي»: «يجتمع نادي الحدائق في الثانية والنصف يوم الأربعاء القادم لبحث وسائل المحافظة على السراويل الداخلية»!

وفي صحيفة «فوكس فيل بتنيسي»: «وفي حفل الزفاف عزفت الأوركسترا للعروسين نشيد: والآن بدأت الحرب»!

وختم الأستاذ أحمد رجب ردّه على القارئ بهذا الإعلان الذي نشر كالتالي: «اطلب محلات ويزرز لتحصل على فطيرة فاكهة صناعة منزلية من خشب الماهوجني المتين»! ■

المراجع

١- أحمد رجب، أي كلام، القاهرة، دار أخبار اليوم، ١٩٩٠م.

٢- عبدالله السبع، فريق مكافحة الأخطاء المطبعية، القاهرة، مطبعة جزيرة الورد، ٢٠٠٦م.

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: عمر السيف، عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الملك سعود.



عمر السيف :

الشعر أفسد ثقافتنا وفكرنا ولغتنا ولكننا.. أحببناه!

العلمانية: فصل الدين عن الحياة... الحداثة: فصل الدين عن الفن والأدب.

* دائمًا نبتسر المفاهيم الكبرى بعبارات صغيرة، مما يؤدي إلى التسطيح وإثارة اللبس. إن كانت الحداثة فصل الدين عن الأدب؛ فلا بدّ من التذكير بأن القاضي الجرجاني قال: «والدين بمعزل عن الشعر»، ولم يكن وحده القائل بذلك!

«الحداثة» نسخة القرن العشرين، من «تنوير» القرن الثامن عشر.

* إرهاصاتها قبل ذلك.. ثم إنّ الحداثة لم تكن لتنجح وتنجح فلسفة التنوير لو لم ينجح النظام الرأسمالي في مجال الاقتصاد.

استبدل المثل القائل «كحامل التمر إلى هجر» بالمثل القائل «كحامل الفحم إلى نيوكاسل»... تكن حداثيًا حقيقيًا.

* مع الأسف نعم، ولاسيّما عند من اعتقد أنّ الحداثة غليونًا أو كأس خمر. ومع الأسف بعض من قدّموا الحداثة كانوا «سمرمد» ولذلك تُوجّس منها!

معظم الحداثيين العرب من الرجال...

* النساء لا يستعذبن الغليون، ولا يردن أن يقبّح الفحمُ نضارة وجوههن!

أكثر الناس ترديدًا لكلمة «التراث»... هم الحداثيون.

* لأنّ مشروع الحداثة الحقيقي يبدأ من إعادة قراءة التراث بآليات تحليل حديثة، ولكنّ ما «ينرفز» هو من يعيد قراءة التراث ليقول إنّ عبدالقاهر الجرجاني هو السابق لاكتشاف «معنى المعنى» و«نظريّة التلقّي» أعني أنّ الكثير من مفكرينا لا يزالون في مرحلة طفولة التفكير «أبوي أقوى من أبوك، وبيتنا أكبر من بيتكم» عوضًا عن التسلح بالأدوات الحديثة لاستكشاف هذا التراث والبحث عن نظريّات لم تكتشف بعد للإسهام في صناعة الفكر البشري.



دائمًا نبتسر المفاهيم الكبرى بعبارات صغيرة ، مما يؤدي إلى التسطيح وإثارة اللبس!

الحداثة لم تكن لتنجح وتنجح فلسفة التنوير لو لم ينجح النظام الرأسمالي في مجال الاقتصاد .

الكثير من مفكرينا لا يزالون في مرحلة طفولة التفكير . . «أبوي أقوى من أبوك ، وبيتنا أكبر من بيتكم»!

النقد «أسلم» على يدي الغذامي ، وحسُن إسلامه! ويمكننا أن نستفيد من المناهج الحداثيّة دون أن نخلع «أشمغتنا»!

«الحداثة» لا تحلم بدخول «الحرم التربوي العربي».

* لو عرّفنا الحداثة جيدًا لاقتنعنا أنّها دخلت هذا المضمار منذ أن أصبح المعلّم يخبئ العصا (دون أن يلقيها مع الأسف)!

حصر الحداثة في الأدب والفن والنقد... تمويه خطير، لصرف النظر عن الغاية الكبرى.

* ومن قال إنّها في الأدب والنقد وحسب؟ إنّها في كل شؤون الحياة حتى الدين، وما فتح باب الاجتهاد إلا مظهر من هذه المظاهر!

الفصل بين النص والقائل... تملّص حداثي ماكر من المسؤولية.

* هذا صحيح إن أردنا أن نحلّل نصًا مقدّسًا، ولكن لم لا نفصل بين النصّ وقائله في النصوص غير المقدسة!

«النقد الثقافي» هدنة مؤقتة بين الحداثيين والمحافظين.

* قدم الدكتور الغذامي النقد الثقافي بذكاء؛ لأنّه يعرف جيدًا المحاذير المحليّة، ومن ثمّ قيل إنّ هذا النقد «أسلم» على يدي الغذامي، وحسُن إسلامه! على العموم، يمكننا أن نستفيد من المناهج الحداثيّة دون أن نخلع «أشمغتنا»!

«نحن في زمن ساءت فيه أحوال العرب، سوءا لا يقبل معه أن تتلهى نخبتها بإصدار دفاتر تطبيق على مقالات رولان بارت وجاكبسون وسابير وسوسار وامبرتو إيكو وأضرابهم» (مختار سيدي الغوث).

* إنّ مشكلتنا الحقيقية –من الناحية الفكرية– أنّنا لم نؤسس فكرًا فلسفيًا.. ومن ثمّ كانت التطبيقات على مقولات ياكبسون وسابير وإيكو على نصوص هامشيّة غير مؤثّرة في صناعة فكر الأمة وثقافتها!

بدأ الحداثيون السعوديون في السبيعينيات بجدلية «الوجود والعدم»، ازدهروا في الثمانينيات، عادوا إلى جدلية الوجود العدم في نهاية التسعينيات، آلوا إلى الكمون مع مطلع القرن الـ ٢١.

* وستظل هذه الجدليّة.. لكنّ «موضتها» خفتت عند البعض.. فالحداثة عند بعضهم «صرعات» موسميّة!

«مشكلة الحداثة في ساحتنا الثقافية، أنها لم تفهم فهمًا جيدًا منذ البداية، وصاحب ظهورها توجس وخيفة وحذر» (د.عبدالله المعيقل).

* أزعمُ أنّ فهمها بشكل جيد لن يغيّر الكثير.. المشكلة أنّ الإقصاء مكوّن مهم من مكوّناتنا الثقافيّة.

«الحداثة قدر محتوم، كالمستقبل تمامًا» (سعيد السريحي).

* وهذا ما حدث، فعلى سبيل المثال لو أراد أحدٌ تحليل أحد النصوص بمعزل عن التيارات الحديثة؛ فسيضطرّ إلى دفن بحثه في أحد أرفف إحدى جامعاتنا!

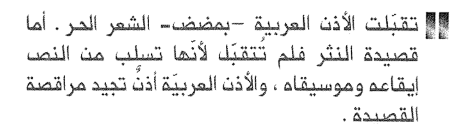
بشار بن برد والمتنبي والمعري وأبو تمام، تجاوزوا بإبداعاتهم قيمًا شعرية كانت سائدة في عصورهم... هم بذلك شعراء حداثيون.

* بلا شكّ هم طوّروا القصيدة وغيّروها كما غيّرها نزار، ولكنّ بعض الحداثيين يريدون نصًا آخر لم يقله أبو نواس ولا نزار..

«يظل مفهوم الحداثة إشكاليًا في طرحه، وكيفية تلقيه، وطبيعة المتلقي نفسه، ومن ثم سياقات السؤال الموازية له» (معجب العدواني).

* المشكلة الكبرى هي ضرورة الوعي أنّ الحداثة ليست مشروعًا واحدًا، إنّها مشروعات مختلفة، وكلّ حداثيّ له مشروعه الذي يجب أن يُتلقّى بمعزل عن غيره..من أكبر المشكلات التي واجهت بعض المفكّرين الذين قرروا الاحتفاظ بهويّتهم –ولاسيّما الدينية– أنّهم أقصوا، ليس لأنهم خرجوا عن الإسلام؛ بل لأنهم خرجوا عن الفهم السائد له..كما أنّهم أقصوا





المشكلة أنّ الإقصاء مكوّن مهم من مكوّناتنا الثقافيّة!

تقبّلت الأذن العربية -بمضض- الشعر الحر. أما قصيدة النثر فلم تُتقبّل لأنّها تسلب من النص إيقاعه وموسيقاه، والأذن العربيّة أذنٌ تجيد مراقصة القصيدة.



عمر السيف

لأنّ الشاعر أدونيس -على سبيل المثال- حداثيّ، ومن ثمّ عدّوا كلّ حداثيّ أدونيسًا!

الحداثيون العرب عجزوا عن الدفاع عن قصيدة النثر... ما بالك بما هو أعظم.

* تقبّلت الأذن العربية -بمضض- الشعر الحر. أما قصيدة النثر فلم تُتقبّل لأنّها تسلب من النص إيقاعه وموسيقاه، والأذن العربيّة أذنٌ تجيد مراقصة القصيدة.

«الحداثة خطر محدق بالثوابت، قزحية الألوان، متعدّدة الأوجه، حربائية التلوّن، إنها كالنار تحت الرماد، لا بل هي بسبع أرواح لا تموت بسهولة» (د. أنصاف بخاري - الشاعرة السعودية).

* الحداثة لا تُهجى بقصيدة شعر، إنها مسألة فكريّة تحتاج إلى طرح فلسفي يؤسس لمنهجيّة تطبيقيّة.

«الجسم العربي يرفض هذا العضو (الحداثة)، لعدم تطابق الجينات الثقافية.. الذائقة تختلف من أمة إلى أخرى، ما يكون جميلا لدى أمة قد يكون كريهًا ممجوجًا لدى أمة أخرى» (صالح العمري - شاعر سعودي)

* لا يُقبل هذا الكلام في زمن نأكل فيه البيتزا الإيطاليّة، ثم نبحث بعده عن الشاي الصيني حتى «نهضّم»! أعني: لا يجوز أن نرفض فاكهة لأنها لم تنبت في أرضنا، ولكن نرفض منها ما يؤلم بطوننا، ويخالف معتقدنا!

من أراد أن يجرح كاتبًا أو شاعرا، بأسلوب عصري، يصفه بأنه «حداثي» بدلا من «زنديق» (عائشة جلال الدين).

* ثمّة من خاف مفردة الحداثة لا لشيء إلا لأنها مفردة سيئة السمعة، وثمّة من عاقرها لا لشيء إلا لأنها كذلك!

«الحية الرقطاء» تمارس الحداثة والتحديث.. ألا ترى أنها تغيّر جلدها دوريًا.

* ولذلك كانت رمزًا للخلود في الحضارة الفرعونيّة والرافديّة واليونانيّة، وإن أردنا خلود فكرنا وأمتنا؛ فلا بدّ أن نغيّر الطبقة المترهلة من جلدنا بشكل دوريّ، دون أن نتوجّس من ذلك!

«العولمة»... المسمى الجديد للحداثة.

* بالمناسبة، أعتقد أنّ العولمة -في البداية- ستجعل بعض المجتمعات تصبغ شعرها باللون الأشقر، ولكنّ العاقبة لنا.. لإسلامنا حين تُقرأ سماحتُه.

«اتفق الناس على أن يكون الفاعل مرفوعًا والمفعول منصوبًا، بإمكانهم الاتفاق على العكس.. أليست القواعد من صنع الإنسان وهو حر في تبديلها؟!» (أحمد عبد المعطي حجازي).

* النحو هو من يتبع اللغة، ومن ثم لا يمكن القول إنّ الناس «اتفقوا» على صناعة اللغة!

تراثيًا: الشاعر لسان الجماعة معبّر عن قضاياها.. حداثيًا: الشاعر متمرّد على الجماعة منسلخ عن قضاياها.

* لا يستطيع شاعرٌ الانسلاخ عن قضايا الجماعة إلا إذا كان يهذي في أحد أروقة «شهار»!

اختصر المشوار بالحداثة، بدلاً من إفناء الصحة والبصر بنحو سيبويه وصرف الفرّاء وعروض الخليل ونقد الجمحي وبلاغة الأصمعي ونظم الجرجاني... إلخ.

* لا يمكن أن يبني المفكّر نظريّته الحداثيّة ما لم يمر من الأبواب التي ذكرتها، بل وأكثر!

عمر السيف

في عرف الحداثة (بافتراض اعترافها بالعرف)... لا يقع الحافر على الحافر وليس هناك تضمين أو اقتباس أو سرقة أو سطو فكري... هناك «تناص» عفوي.

* مصطلح التناص أعقد من ذلك؛ فالناقد ذو العمل «البوليسي» يبحث عما أخذ فلان عن فلان.. وهذا الأمر جهد عضليّ وليس جهدًا فنيًا! أما العرف يا سيدي فليس إلا عجوزًا لا يريد للحياة أن تتغيّر عمّا ألفه!

الحداثيون العرب يزيدون ويعيدون في فنون الرواية وقصيدة النثر والقصة الحديثة... في عصر الفن التفاعلي interactive art وفن الفيديو video art وفن السي- دي CD.art وفن الاتصال المباشر on-line-art وفن الخائلية أو الواقع الافتراضي virtual reality art.

* وأزيدك من الشعر بيتًا: كنت أقرأ قبل قليل رسالة في صناعة الشعر للفارابي! (المعافى يحمد الله!).

«ما بعد الحداثة» تطوير ليس إلا، على غرار: ما بعد الصناعة وما بعد الكينزية وما بعد الكولونيالية وما بعد الكتابة وما بعد البترول وما بعد الإنسانية... إلخ.

* الأحداث المهمة تستحقّ أن يؤرّخ بها.. وما بعد الحداثة مناهج منطلقة من الحداثة ومرتبطة بها..



والمشكلة أنّ المسافة الزمنيّة التي تفصل بين الحداثة وما بعدها لم نعشها!

«هيا بنا صوب الفوضى!!» (مقولة نيتشه التي استندت إليها دعوى ما بعد الحداثة).

* كلّ حداثيّ لا يملك إلا الفوضى تلاشى أو سيتلاشى!

«ما بعد الحداثة» تيار فكري يرفض جميع السرديات التي قامت عليها الحضارة الإنسانية، ويعتبرها نوعًا من ألعاب اللغة...

* ما بعد الحداثة ليس تيارًا وإنما مناهج، وهي تعطي لنفسها الحق في «النقض» ولكنّها لا تستطيع أخذ الحقّ في «الرفض»!

الدين والإبداع الفني: «خصومة مفتعلة»... فنون الفراعنة نابعة من عقائدهم، الفنون الإسلامية نمت في رحاب الدين، المسرح الإغريقي ذا طابع ديني...

* أكثر الفنون الإسلاميّة -حسب زعمي- جدلًا في العلاقة مع الدين هو الشعر؛ لأنّه ذُكر في القرآن الكريم، ومع ذلك استمرّ حاضرًا في ثقافة الأمّة، ودافع عنه كثير من العلماء والفقهاء والمفسرين..

يستحيل أن يبدع العرب مسرحًا... الحوار مفقود في ثقافتهم.

* المسرح ثقافة نفتقدها.. ولا أقصد المسرح بمظهره السلبي المليء بالتهتك والعهر.

«ويستحيل أن يبدعوا شعرًا دراميًا... شعرهم لم ينشغل بحيرة الإنسان مع ذاته وواقعه، لقد انشغل بمدح الحكام والتباهي بالنعرات القبلية».

* لقد «أفسدنا» الشعر.. أفسد ثقافَتنا وفكرَنا ولغتنا، ولكنّنا أحببناه بحثًا عن الجمال!

عجزنا عن تشخيص علتنا اللغوية: مرة نضع اللوم على المدرسة والجامعة ونظام التعليم برمته، ومرة على تقاعس العامة، ومرة على الإعلام... بعضنا يتهم اللغة العربية ذاتها.

* في الإسلام قِيَم عُليا نعلم بوجودها، ونردّ بها على من ينتقد الإسلام، ولكنّنا لا نمتثل لها: إجادة العمل، التسامح، التفكر والتعلم...إلخ.

مجامع اللغة العربية تختار من مشكلات اللغة العربية ما تستطيع أن تعالجه، لا ما يحتاج للمعالجة بالفعل.

* المشكلة الحقيقيّة مشكلة حضاريّة: فلو أنّنا

■ إذا أردنا خلود فكرنا وأمتنا ؛ فلا بدّ أن نغيّر الطبقة المترهلة من جلدنا بشكل دوريّ ، دون أن نتوجّس من ذلك!

■ لا يُقبل هذا الكلام في زمن نأكل فيه البيتزا الإيطاليّة ، ثم نبحث بعده عن الشاي الصيني حتى «نهضم»!

■ الحداثة لا تُهجى بقصيدة شعر ، إنها مسألة فكريّة تحتاج إلى طرح فلسفي يؤسس لمنهجيّة تطبيقيّة

اخترعنا «الفاكس» لما احتجنا إلى كلمة «ناسوخ».

«علم الكلام» كان لقاءً مثيرًا بين اللغة العربية والفلسفة... انقطع الوصال؛ فمات الكلام وتخلفت الفلسفة.

* علم الكلام كان لقاءً بين الدين واللغة والمنطق والفلسفة، وكان نظريّة متطوّرة أفضت إلى نتائج مخيّبة بسبب ثقافتنا الإقصائيّة؛ أقصى وأقصي!

«ما من علة في فكرنا، إلا وراءها علة لغوية» (أمين الخولي).

* ثمّة علاقة مخيفة بين الفكر واللغة، والكثير من أخطائنا تتّكئ على تراث لغوي يسوّغها؛ فلا تزال قوالب «ألا لا يجهلن أحدٌ علينا» و«إنما العاجز من لا يستبد» تُسيّر فكرنا وحياتنا.

العربيةُ... «لغة صلعاء» (شاعر حداثي)

* أخشى أنّ عربيّته هو «صلعاء»..ومن ثمّ أنصحه بعدم خلع «الشماغ» أمام الكاميرات ليواري تساقط «شَعْرِه»!

«الغزو الفكري الثقافي.. كلمة تطلق في كثير من الأحيان على ما يحمل في ثناياه الخير» (علي النجعي).

* نحن نجيد التوجّس.. حتى في ثقافتنا الشعبيّة المحتفية بالكرم؛ يُعد «خاطر الليل مجفي»، والتوجّس ضد الحداثة نوعٌ من الاحتماء بالمعروف ضد المجهول، وبالهويّة ضد تغييرها..والفخر بالثقافة والهويّة أمرٌ مهم لتتمكّن الأمّة من تحقيق التوازن الداخلي، ولكنّه أمرٌ محبط عندما يجرّم كلّ رغبة بالتغيير.

«ليس العلاج في أن نطلب من الثقافات الأخرى الغازية، أن تكف بلاها عنّا..» (علي عقلة عرسان).

* ما دمنا نعلم أنّها لن تكفّ بلاءها عنّا؛ فَلِم لا نخلق في ذواتنا القدرة على الفرز والتمحيص عوضًا عن رفض ما لا نملك القدرة على رفضه!

«البسطاء والسذّج فقط هم الذين يعتقدون أن هناك فاصلاً واضحًا بين: الثقافة والسياسة» (محمد الرميحي).

* السياسة مؤثّر خطر في أشياء عديدة جدًا.

«إذا أردنا أن نتقدم فعلينا أن نأخذ بأسباب الحضارة الغربية كلها؛ حلوها ومرها خيرها وشرها» (طه حسين – مستقبل الثقافة في مصر).

* إذا أردنا أن نتقدم؛ فعلينا أن ننطلق من فحص ثقافتنا فحصًا لا يجامل الأعراف، ومن ثمّ ننهل من الآخرين –في الشرق والغرب- كلّ ما لا يضرّ!

مشكلة المثقفين العرب: أنهم – وحدهم - مازالوا يقفون موقفًا رومانسيًا من مفكري عصر النهضة الأوروبية.

* لا أملك جوابًا، ولكنّي –واسمح لي أن أثرثر- أعلم أنّ الفكر غائبٌ، فمن يُسمّون مفكرين إما خصمون مجادلون، أو شعراء مدح وهجاء!

«الشعر ليس مجرد كلمات مرصوصة يطرب لها البشر، إنه يجمع مابين الإلهام الإلهي والقانون الوضعي والمعرفة البشرية» (بيرسي شيلي – الشاعر الانجليزي)

* قول شاعر..

برنامج «شاعر المليون» جعلنا نؤمن أن المليون يصنع مليون شاعر!!

* ومليون طبيب ومهندس ومعلم..لو وُظّفت بشكل صحيح! ■

عمر السيف

صرت رجلًا.. عمرك الآن ٤٠ يومًا !

فاطمة السهيمي - الرياض

يفتح عينيه الصغيرتين.. عمره اليوم أربعون يومًا.. قطعة صغيرة من لحم ودم تعج ببدايات الحياة.. أطراف صغيرة تسير فيها دماء نقية تسقي زهور الأمل وعشب الأماني.

يفتح فمه الصغير يريد أن يروي حنجرته الصغيرة بحليب الحب والحنان من ثدي الحياة المتدفق.. من صدر الأم الرؤوم الحنون.. يلف رأسه الصغير يمينًا - حيث اعتاد على مدى أربعين يومًا أن يفعل، فيشخب في فمه نهر صغير يروي روحه وقلبه، ليغرق في النوم مالكًا الدنيا بأسرها حيث حضن أمه.

ما باله اليوم ينهش الهواء؟! لا صدر، لا ثدي، لا أم.. لا شيء!

لقد كبرت يا هذا وصرت رجلاً، عمرك الآن أربعون يومًا.. يجب أن تعتمد على نفسك. هل ستظل أمك بجوارك طول العمر؟!

هكذا حدثته العاملة السيرلانيكية وهي تخضُّ له زجاجة صماء بكماء مليئة ببودرة مزجت بماء.. فيما ملأ صراخه المكان حزنًا على هذا الوضع المشين، ثم راح يحرك أطرافه الأربعة في كل الاتجاهات احتجاجًا على هذه المهزلة.

بعد ساعات.. كان قد استسلم للأمر الواقع.. وبدأ يسحب الحليب الصناعي من الزجاجة الصماء ببرود واضح وتبرم وضجر.

قال للراعي الجديد:

- تأملي في جيدًا.. هل أنا إنسان؟

- نعم.

- هل لي كل الأشياء التي يسمى بها الإنسان إنسانًا؟

- نعم.. عندك رأس فيه عقل، وحواس خمس.. وجذع وأطراف و...

- وماذا أيضًا؟

- لا أدري.. أشياء ليس لها مسميات تجعلك إنسانًا وليس قردًا مثلاً أو حتى غزالاً. لا لا.. أنت إنسان، إنسان كامل!

- حسنًا.. متى تترك الغزالة طفلها ليعتمد على نفسه؟

- لست أدري.. ربما بعد أربعين يومًا.

- والحمير والغنم والبقر متى تترك أطفالها؟

- قلت لك لا أعرف.. لا أعرف..

- ربما بعد أربعين يومًا!

- ربما.. والآن أكمل زجاجتك.

- أين أمي؟!

طوفان أغرق المكان.. بركان ثار في الزمان.. قنبلة حولت الصمت لأشلاء.. حرب عالمية كبرى اندلعت في روح هذا الرضيع.. رمى بالزجاجة بعيدًا.. وقبض على الهواء وصرخ فتلونت الجدران!

الجدران ذاتها كانت شاحبة عند تلك المعلمة التي ضغطت بيدها على الطبشورة فحطمتها وهي تتخيل طفلها يغرق في بكاء مرير في حضن السيرلانكية.. لم تتمالك نفسها ورمت بنفسها على المقعد وهي تهتف في صمت كسير أسير: ولدي..!

وفي الليل كان الطفل يبكي بحرقة ويتقيأ باستمرار، ظلت حرارته مرتفعة ولم ينم إلا قرب الفجر، قالت لزوجها بانكسار:

- سأقدم على إجازة رعاية مولود بربع الراتب.

- (نظر لها بطرف عينه!)

- أرجوك..

- أنا في السيارة.. لا تتأخري (قالها بحزم شديد).

بينما يلعب ولدها وولد أختها، وبينما هي



تراقبهما رغم تظاهرها بقراءة الجريدة.. نشب بينهما خلاف حاد حول لعبة كانا يمارسانها.. بدا طفلها متشنجًا للغاية وأنانيًا، بينما أظهر ابن أختها الكثير من المرونة، واقترح العديد من الحلول لكل مشكلة. وراعها اختلاف الألفاظ بين الطفلين؛ فألفاظ طفلها حادة ونابية وجارحة، بل وقذرة أحيانًا، بينما كانت ألفاظ الآخر هادئة (إلا فيما ندر) ولم يبادله (غالبًا) الشتائم. وفكرت مليًا في سبب هذا التباين رغم كونهما يدرسان بنفس الصف، بنفس العمر ولديهما نفس الميول، وتربيا في نفس البيئة تقريبًا، وقضيا معظم وقتهما معًا!

يا لي من أم فاشلة.. قالتها بأسى شديد.. أسندت رأسها إلى الجدار وسحبت نفسًا عميقًا محملاً بإحباطات السنين والأيام، وقحط الأماني وجفاف الأحلام.

روت لصديقتها هذا المشهد الذي جرحها بعمق أمومتها ولهفتها لرؤية ثمرة عمرها ناضجة. فردت بهدوء: ولماذا العجب؟! فأختك لا تعمل.

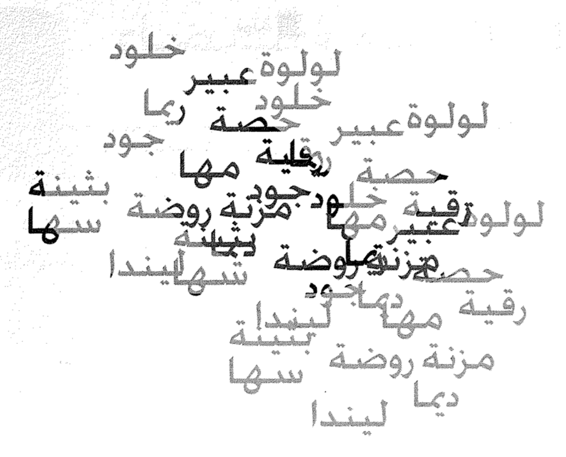
تشنجت، وتوترت أعصابها وغيرت جلستها وهي تقول: وما الفرق؟! قسمًا بربي، لقد بذلت في تربية ولدي أضعاف ما بذلته أختي من جهد ومال وتفكير وعطاء.. إن أختي تستمتع بالقيلولة بينما أنا أجاري ولدي في رغباته، فألعب معه كما يريد، وأشاهد معه أفلام الكرتون التي يريد، وأستمع لجميع أسئلته وأجيب عليها بصبر شديد، وأنا أكاد أذهب في غيبوبة من شدة الإعياء. بينما تأمر أختي طفلها بالذهاب للعب هنا وهناك بعد العصر أو المغرب لتقوم بزيارة ترويحية لبعض الجارات فإنني أظل معه ألبي رغباته، وأستمع لحكاياته، أراقبه وهو يلعب بدراجته في الفناء، أو أشجعه وهو يركل الكرة في كل الاتجاهات، بينما أختي تسخر مني كلما رأت هذا الصنيع.. وبينما تأمر أختي طفلها بالذهاب للنوم في الساعة التي تريد، فإني أبقى معه للساعة التي يريد. كل هذا لأعوضه عن الساعات التي أقضيها بعيدًا عنه.

وانفرط عقد الكلام وانتثر.. وراحت ترميه في كل الاتجاهات بتوتر شديد.. وامتلأت الغرفة بالضجيج.. فيما قفزت الصديقة لخارج الغرفة لتنقذ طفلها من قبضة الولد القاضية فقد كان كعادته متشنجًا ويحكم يديه على رقبة ذلك الطفل وقد ضغط على أسنانه بأقصى ما في فكيه من قوة.. فيما استمرت الأم تروي (وقد غلا الدم في عروقها) مأساتها الكبرى.. للجدار! ■

لحم الجربوع يطهر الفم ودمه يزيل الكلف!!

حصة إبراهيم الجربوع - رفحاء

تبدأ علاقتنا بأسمائنا في السنة الأولى من عمرنا، لكننا لا ندرك مدى رضانا عنها إلا في مرحلة لاحقة وذلك عندما تصبح للكلمات معاني وللجمل تأثيرًا... وغالبًا ما يكون ذلك مع دخولنا إلى المدرسة للمرة الأولى... وأتذكر أن علاقتي باسمي بدأت في الصف الثاني الابتدائي إثر حوار سمعته من أمي مع صويحباتها وكنت ألعب حولهن، فالتقطت أذني من الحوار أن أمي عندما سجلتنا في الملفات الصحية للمستشفى وذكرت اسم العائلة بادرها مسؤول تسجيل الملفات وكان من أهل الشام: «ما لقيتوا إلا الجربوع، ليش ما سميتوا النمر أو الصقر». عرفت بعدها أن اسم عائلتي ليس هو أفضل الأسماء، وأن هناك ما هو أفضل منه... وتمنيت أن يتغير ليكون أفضل، ولكن مضى الحال.. ونسيت الأمر إلى أن جاءت أختي يومًا إلى البيت متذمرة من معلمتها المصرية، وكان أول ظهور للمعلمات المصريات على مسرح التعليم عندنا، حيث اعتدنا على المعلمات الشاميات. ويبدو أنها أظهرت تهكمًا من اسم العائلة، فكان رد أختي أن كل واحد يسمي على بيئته، الجواب الذي يبدو أن المعلمة استحسنته وأيدته.. هذا الرد تلقفته أمي وروته باعتزاز لصويحباتها، فابنتها استطاعت أن تنتصر لاسم العائلة، وأسكتت المعلمة في ذلك الوقت الذي كاد المعلم فيه أن يكون رسولاً. وكنت ألمح على صغر سني علامات الإعجاب والاستحسان برد شقيقتي بادية على وجوههن.. فما كان مني إلا أن حفظت الرد تأهبًا لأي سؤال من هذا النوع مستقبلاً. ويبدو أن أمي عرفت بما يجول في خواطرنا نحو اسم العائلة فكانت تمارس الإسقاط لتمرر لنا معلومات اعتقدت في تلك الفترة أنها من الدين والعلم: (لحم الجربوع يطهر الفم أربعين يومًا) (ودم الجربوع يزيل البقع والكلف من الوجه). ومع مرور سنوات المرحلة الابتدائية عاد لي الاقتناع باسم العائلة نوعًا ما.. خاصة أن المئات من العائلات تشاطرنا الاسم نفسه وهي بأحسن حال!! ولكن مع دخولي إلى مرحلة المراهقة بدأت نظرتي لاسمي الأول تتغير راضية باسم العائلة الذي لا يمكن لي تغييره. فاسم حصة لا معنى له عندي إلا بمعنى (الحصة الدراسية) أو(الحصة بمعنى النصيب) حيث لم يستطع أحد أن يعطيني معناه، وعندما أسأل أمي أو أبي يكون جواب أمي: أنا سميتك على اسم أمي، ويكون جواب أبي أنا سميتك على اسم خالتي، ولكن كنت أعلم أن هذا ليس معنى اسمي. وكانت أسماء جيلي لا تبتعد كثيرًا عن اسمي لولوة.. مزنة.. هيلة.. شعيع.. رقية.. ولترسخ معنى اسمي في أذهان الجميع كنا نتبادل الطرائف حوله، وذلك عندما أسير في المدرسة مع زميلتي وكانت تحمل نفس الاسم، تعلق الزميلات: «حصتين بالرأس توجع»،



وعندما أسير مع زميلتي لولوة يقلن حصة ولولوة والفسحة وهكذا.. كنا نضحك ونعود لنتصالح مع أسمائنا..

لكن الرغبة في التغيير ظلت عالقة في ذهني، ولكن كيف وأمي لا تزال تمارس الإسقاط من الموروث الشعبي المرة تلو المرة، وذلك عندما سألتها ذات يوم: كيف لي أن أغير اسمي؟ قالت: «اللي يغير اسمه لازم يذبح ذبيحتين (خروفين)». يا رب من أين لي بخروفين!!

ولما جن ليل ذلك اليوم روت لنا أمي قصة أخرى قطعت الطريق أمامي نحو تغيير اسمي، ويبدو أنها تريد أن ترسل لي رسالة مفادها أن «احمدي الله على اسمك». وتقول القصة إن امرأة كان لها اسم من أبشع الأسماء لا يمكن أن يتسمى به مخلوق (....)، أتاها طارق يطلب ماء، ولما ناداها يا أهل الدار نهرته وقالت ناديني باسمي (....)؛ قال قبح الله من سماك بهذا الاسم، لم لا تغيرين اسمك؟؟

قالت ليس لدي مال لأغيره، فعرف أنها بالإضافة إلى اسمها البشع هي بلهاء، فرد عليها أنا أبيعك اسمًا جميلًا مقابل هذا السيف وتلك الفرس، فوافقت على الفور.

فأخذ سيف وفرس زوجها وغادر الحي فرحًا بغنيمته...

ولما جاء المساء عاد زوج المرأة وأخذ يناديها يا (...) فلم ترد، واستمر بالمناداة فخرجت عليه قائلة لا تنادني بهذا الاسم مرة أخرى، لقد اشتريت اسمًا جديدًا من أحد عابري السبيل مقابل فرسك وسيفك. فقال زوجها قبحك الله من امرأة، أنت طالق إلا لو وجدت امرأة أغبى منك، وذهب لا يلوي على شيء، ولا يعرف ماذا يفعل، إلى أن قادته قدماه إلى الحي المجاور فتوكأ على جدار أحد البيوت وقد أخذ منه التعب والأسف مأخذه... وماهي لحظات حتى خرجت امرأة من البيت وقالت له من أنت؟ ومن أين قدمت؟

ومن تعبه رد: جئت من جهنم؟

قالت: صحيح وهل رأيت أبي؟

فرد وهو يعتقدها تمزح: نعم، ويسلم عليك!!!

فقالت عندي هدية إذا رجعت أريدك أن تسلمها له.. غابت قليلاً وعادت ومعها فرس وسيف فإذا هما فرسه وسيفه !!

وقالت بالأمس أحضرهما زوجي، وأبي أحق بهما، وسلم عليه وقل من ابنتك فلانة.

أخذهما الرجل وعاد إلى زوجته الأولى... وناداها يا (....) لقد وجدت من هو أغبى منك!!!

كانت قصة أمي كفيلة بأن أترك تغيير اسمي فهو على أي حال ليس كاسم صاحبة القصة... ولكن ظل الأمل موجودًا وظل البحث عن المعنى قائمًا....

مرت مرحلة المراهقة وتناسيت الموضوع، وانصرفت إلى القراءة، وما أنهيت المرحلة الثانوية إلا وكنت قد قرأت العشرات من الكتب والدواوين الشعرية، وكان أهمها على الإطلاق ديوان الدكتور الشاعر إبراهيم العواجي، وهو أول ديوان يكتبه بالعامية لا يحضرني اسمه، ولكن وجدت فيه ما كنت أبحث عنه طوال سنوات عمري الماضية، فما إن فتحت الديوان حتى وجدت الإهداء إلى امرأة تسمى حصة، خصها بالأبيات التالية:

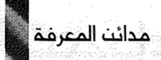
حصة وأنا صياد يا طول ما أبحرت
أبحث وحص البحر جنسه فريدي
لوكان لي عقل به اختار ما اخترت
غيرك ولو كنت خيال بعيدي

بل إن الديوان أوغل في الحديث عن حصة، وكيف أنها تعني أغلى اللؤلؤ عند أهل الخليج للدرجة التي صار اسمي حينها مبعث سعادة..... حفظت الأبيات من النظرة الأولى... صار سلامي الوطني الذاتي الذي أردده لأي سائل عن اسمي... لكن هذا السلام الداخلي لم يستمر طويلاً سرعان ما تبدد مرتين، الأولى مع دخولي الكلية حيث تركت زميلاتي في المرحلة الثانوية لألتقي بزميلات جديدات، وأول ما لفت انتباهي أسماؤهن: (منى.. مها نهلة .. أريج). اندمجت بسرعة في مجتمع الكلية... إلى أن كان ذلك اليوم... !!!

كنا في وسط المحاضرة ولا زلت أذكر ذلك جيدًا، كان الدكتور يناقش إحدى الطالبات، وكان يتحدث عن أبرز الثورات في العالم في العصر الحديث، فبادرها بالسؤال عن قائد الثورة الكوبية فلم تعرف الإجابة، فقلت بصوت مسموع فيدل كاسترو، فقال الدكتور من التي أجابت؟ وكنت لا أعرف كيف أتحدث عن طريق جهاز الدكتافون ومتهيبه من الحديث مع الأستاذ للمرة الأولى... فقلت لزميلتي لا تقولي اسمي.. فردت عليه بأنها لا تعرف المتحدثة، وأغلقت الجهاز والتفتت إلي: ولماذا لا تقولي اسمك؟ تراك (حصة...) وبعد الجربوع أعقبتها بضحكه رنانه كأجمل وأعذب ما يكون الغنج والدلال.. وعندها وفي هذا الوسط كان من المستحيل أن أردد أبيات إبراهيم العواجي الشعرية.. والثانية مع بداية محاولاتي الكتابة في الصحافة، حيث أثرت ألا اكتب باسمي كونه لا جرس ولا موسيقى، وتعثرت بسبب ذلك، وقد حاولت تقليد الأمير خالد الفيصل عندما اختار اسمه المستعار (دائم السيف) بالنظر إلى معنى اسمه الأصلي أو مرادفه خالد: دائم، فيصل: السيف فخرج معي الاسم الأول حصة: دانة، إبراهيم: اسم أعجمي لا معنى له أو مرادف طيب، والجربوع: ليس له مرادف إلا فار الصحراء...

فباءت المحاولة بالفشل كسابق المحاولات وعدت عن الموضوع برمته...

ومع انتهاء المرحلة الجامعية عدت إلى بيئتي، وتذكرت رد أختي الكبرى، وعرفت معنى أن يتناغم الإنسان مع بيئته، وقبل ذلك مع نفسه من حيث كونه إنسانًا ذا قيمة لأسرته ومجتمعه وصولاً إلى وطنه بغض النظر عن الاسم أو اللون أو العرق الذي يحمله، فكان أن أحببت اسمي كما لم أحبه من قبل.



التربية الإعلامية

يأتي المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية ليفتح آفاقًا جديدة في التعاطي مع الإعلام، لأن التربية ستكون منقوصة إذا لم يساندها الإعلام.
وزارة التربية والتعليم ليس في المملكة فقط وإنما في العالم وبصورة أدق المؤسسات التربوية والتعليمية وجدت نفسها في ساحة الإعلام عارية ليس لأن الإعلام يملك سلطة رابعة أو أن له شهية وجاذبية، ولكن وسائل المعرفة والتعليم هي إحدى ما يمتلكه الإعلام، فهناك تعليم من خلال الوسائل الإعلامية وهناك أيضًا تربية عبر أساليب وثقافات إعلامية. لذا كان لا بد أن يقرر - وبشكل جازم ومبكر - قيادات التعليم في إشراك الإعلام عبر الثقافة الإعلامية والوسيلة وأساليب الطرح الإعلامي الذي أصبح في بعض أشكاله مقاربًا لأساليب التعليم ومقاربًا لتلك الفلسفات التي تتبناها بعض مؤسسات التعليم وهو التعليم من خلال اللعب والبيت المدرسي.



د.عبدالعزيز الجارالله

لن أبسط فكرة المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية الذي تنظمه وزارة التربية والتعليم في بلادنا، لأن له أهدافًا وأبعادًا وخططًا قد لا تكون حاضرة في المنظور القريب، لكنها تؤسس لثقافة معرفية تقيمها مع الإعلام، فلربما يؤسس هذا المؤتمر لهيئة دولية في الوطن العربي تتبنى التربية الإعلامية خاصة إذا عرفنا أن المنظمات الدولية المرتبطة بالتعليم والعلوم الإنسانية مشاركة في هذا المؤتمر. كما أن وزارة التربية والتعليم سيكون لها السبق في طرح هذه القضية الحاضرة في عالمنا والتي لم يتنبه لها كثيرون.
فالدول تشعر أن هناك خللاً بين الإعلام والتربية وتشعر أن ما بناه العاملون في حقل التعليم في سنة هناك جهاز آخر يهد هذا البناء بساعة، أو يوجد في واجهاته شروخ وشقوق ونتوءات بقصد وغير قصد..

كما أن التربويين يشعرون أن هناك من يسرق التلامذة والطلاب منهم ويحاول صياغة الجيل صياغة قد تبعده عن القيم وأخلاقيات الدين، بل هناك من يجفف أخلاقياته ويجرده من الموروث القيمي..

لن أستبق الحدث فالمشاركون في المؤتمر من دول عديدة عربية وأجنبية جاؤوا يحملون همومهم التعليمية والتربوية وقادرون على كشف كل المحاور وطرح الآراء الجديدة حول جدلية التربية والإعلام انسجامًا وتباعدًا.■